

جويس ويلى

الحركة الإسلامية الشيوعية في العراق

ترجمة

مصطفى نعمان أحمد د. هناء خليل غني

تاریخ

۱۳۴۵

۱۳۴۶

۱۳۴۷

۱۳۴۸

۱۳۴۹

۱۳۵۰

۱۳۵۱

۱۳۵۲

۱۳۵۳

۱۳۵۴

۱۳۵۵

۱۳۵۶

۱۳۵۷

۱۳۵۸

۱۳۵۹

۱۳۶۰

تاریخ

عراق

۹

۱

۲۱

۲۲

۲۳

۲۴

۲۵

The Islamic Movement of Iraqi Shi'as

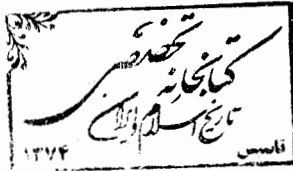
Joyce N. Wiley

Translated By

Mustafa N. Ahmed Dr. Hana' Kh. Ghani

جويس ويلى

الحركة الإسلامية الشيعية في العراق



ترجمة

مصطفى نعمان أحمد د. هناء خليف غني

بغداد ٢٠١١

جميع حقوق الطبع محفوظة

مطبعة الكتاب

العراق بغداد

اسم الكتاب : الحركة الإسلامية الشيعية في العراق

المؤلف : جويس ويلي

رقم الإيداع في دار الكتب و الوثائق ببغداد

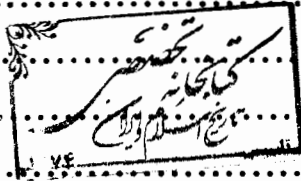
(٢١٤) لسنة (٢٠١١)

جميع الحقوق محفوظة ، لا يسمح بنشر هذا الكتاب او تخزينه او نقله او

استنساخه الا باخذ موافقة خطية من المؤلف

المحتويات

- ١- المقدمة ٧
- ٢- السياق التاريخي ١٩
 - اصل الشيعة ٢١
 - من عاصمة للامبراطورية الإسلامية إلى موضع خلفي للعثمانيين ٢٥
 - الهيمنة البريطانية، ١٩١٧ - ١٩٥٨ ٣٣
 - الخلاصة ٥١
- ٣- الدعوة ٦٣
 - التجنيد ٧٤
 - المعارضة للحركة ٧٦
- ٤- عنف الدولة ٨٩
 - نحو الشمولية ٩٨
 - الدعوة الثورية ١٠٥
- ٥- الاسس الاجتماعية للحركة الإسلامية ١٣٧
 - رجال الدين ١٤٩
 - الانتلجنسيا الشابة ١٥٤
 - فقراء المدن ١٥٦
 - المجموعات الاجتماعية الأخرى ١٦٠
- ٦- مراحل الصيرورة ١٧٧
 - التغييرات الاجتماعية/الاقتصادية الواسعة ١٧٧
 - التكتيفات المرحلية ١٩٥
- ٧- الايديولوجية السياسية ٢١٥
 - الايديولوجية السياسية الشيعية التقليدية ٢١٧
 - التفسيرات التي ساقها الإمام الصدر ٢٢٥
 - الإمام الخميني وإقامة النظام الإسلامي ٢٣٦
 - التناقضات الداخلية ٢٤٤



- ٨- ما الذي ستقبله الحركة الإسلامية العراقية؟ ٢٥٧
- المصالح التي تجتذب الحكومة الإسلامية ٢٦٥
 - العوامل المرفوضة بوصفها محددات ٢٦٧
 - مستقبل الحركة الإسلامية ٢٧٠
- الاشكال والجداول ٢٧٩
- المراجع ٣١٠

كلمة لا بدّ منها

ان الآراء والتحليلات الواردة في الكتاب تُعبر عن وجهة نظر المؤلفة، وان الاقتباسات تُعبر عن وجهة نظر أصحابها..

— المترجمان —

-١- المقدمة

في القرن السابع الميلادي، أحدث النبي محمد (عليه الصلاة والسلام - المترجم) تغييراً في المجتمع العربي بوحى من الدين الاسلامي، وفي القرن العشرين، يحاول المسلمون مجدداً توظيف اصول الاسلام ومفاهيمه في محاولة لتغيير المجتمع العربي ويسعى الناشطون السياسيون الاسلاميون، انطلاقاً من اعتبار اخلاقي ومن الاخفاقات التي مُنيت بها الحكومات القائمة، إلى إعادة هيكلة حكوماتهم طبقاً لارادة الله، كما هي مُجسدة بالوحي. وباسم قضية الاسلام، يتحدى المواطنون الساخطون الحكومات العلمانية. ومع السماح باجراء انتخابات حرة أو حرة نسبياً، يتسم اداء الاحزاب السياسية ذات البرامج الاسلامية في الدول المسلمة بالايجابية. فقد كسبت جبهة الانقاذ الاسلامية اغلبيه الاصوات في الانتخابات الجزائرية المحلية التي جرت عام ١٩٩٠، وسجلت الاحزاب الاسلامية نجاحات انتخابية في الاردن، وتونس، ومصر.

وحتى في غياب الانتخابات، فإن المجموعات ذات البرامج الاسلامية قد نجحت في احداث تغيير سياسي. ففي ايران، شكلت الجماهير الحضرية العزلاء التي كان لها دور اساسي في الاطاحة بنظام الشاه قاعدة دعم لحكومة اسلامية. وفي دول اسلامية اخرى، لجأت مجموعات ذات برامج سياسية اسلامية إلى العمل المباشر، بل حتى الاغتيال، في محاولاتهم لاحداث تغيير^(١).

وليس ثمة شك حيال طائفية الحركات الاسلامية في ايران، والاردن، ودول شمال افريقيا، لأن الحكومات ومناوئها الاسلاميين ينتمون إلى

الطائفة نفسها؛ فحكومة الشاه وخصومها المنطلقون من بواعث دينية هم شيعة، وحكومات الاردن ودول شمال افريقيا وخصومها المنطلقون من بواعث دينية جلّهم سنّة^(٢). وعلى الرغم من ذلك، فإن المعارضة السياسية الإسلامية في العراق قد وصّمت بالطائفية ومرد ذلك إلى سعي الإيرانيين إلى تصدير ثورتهم. وفي تفسيرها الرسمي لمهاجمة ايران في ايلول ١٩٨٠، اوردت الحكومة العراقية ان حدوث "اعمال ارهابية وتخريب مردها إلى المتسللين القادمين من ايران، والمقيمين الإيرانيين في العراق، وناشٍ آخرين من ذوي اصولٍ إيرانية، ممن ارتكبوا اعمال قتل والحق اصابات جراء التفجيرات"^(٣). وفي خطابه الذي القاه في الخامس عشر من تشرين الاول امام مجلس الامن التابع للأمم المتحدة وجه سعدون حمادي، وزير الخارجية العراقي، الاتهام "لقادة حزب الدعوة الرجعي والطائفي" (مضيفاً) ان هذا الحزب ارهابي ومتواطىء مع ايران^(٤).

وقد حذا عدد من الكتّاب حذو الحكومة العراقية، حيث القوا باللائمة، في ما يخص مبدأ تصدير الثورة الذي يتبناه الإيرانيون وتشجيع النزعة الطائفية، على المعارضة الإسلامية للحكومة العراقية وعلى اندلاع الحرب الإيرانية - العراقية: "لقد شرّع الخميني بحملة حسنة التمويل لتحويل الشيعة في العراق، الذين يشكلون اكثر من نصف عدد السكان، إلى معادين للحكومة التي يهيمن عليها السنّة"^(٥). "لقد تعدد آية الله تأطير الحرب باطار ديني وهو صدام بين الشيعة في فارس والسنّة في العراق، حيث شجب، ومازال، العراقيين بوصفهم "ملحدين"، و"وثنيين"، و"اتباع بني امية"^(٦).

ان وجود الحركات السياسية الإسلامية في دول تخلص من الانقسامات الطائفية يُلقى بشكٍ ما على التهمة التي تسوقها الحكومة العراقية بان الحركة

الإسلامية العراقية طائفية في بواعثها وناشئة عن التخريب الإيراني. وعلى نحوٍ مشابه، فإن النشوء الزمني للحركة الإسلامية العراقية يدحض الاتهام بأن الحركة تتبع إيران تاريخياً. وكما تُظهر هذه الدراسة، فإن الحركة تسبق زمنياً قيام الثورة الإسلامية في إيران بعقدين من الزمان. ومع ذلك، فإن التركيبة الدينية للحركة الإسلامية العراقية جعلت الحركة عرضة للاتهام بالطائفية؛ فغالبية الناشطين، شأنهم شأن غالبية الشعب العراقي، هم من الشيعة^(٧).

غير أن الطائفية الشيعية إذا كانت تتضمن عداءً للسنة أو خصوصية دينية، عندها لا تُعد الحركة الإسلامية العراقية طائفية. إن أدب الحركة ينم عن محاولة للمسلمين الاتقياء بتحديث العراق وحكمه ضمن سياق إسلامي؛ فالسيد محمد باقر الصدر^(٨)، مؤسس وزعيم الحركة الإسلامية العراقية المعاصرة، لم يقترح استبدال حكام العراق السنة بحاكمين شيعة، ولم يقترح اندلاع ثورة اقتصادية يقوم الأغنياء السنة على ضوئها بإفساح المجال لحكومة يقودها الفقراء الشيعة. وبدلاً من ذلك، فقد سعى إلى استبدال الزعماء غير الاتقياء بزعماء اتقياء، لتوحيد "الفضلاء الأغنياء والفضلاء الفقراء"^(٩) دفاعاً عن الدين والقيم التقليدية. وتوقع أن تقوم الحكومة الإسلامية بحث الناس على الفضائل والحيولة دون ارتكابهم للشرور وذلك بتطبيق تعاليم الإسلام المعترف بها^(١٠). وهو يتشاطر في هذا الاعتقاد مع الأصوليين الإسلاميين السنة، كما يُعبر أبو الأعلى المودودي، مؤسس الجماعة الإسلامية الأصولية في باكستان عن أفكارهم قائلاً: "إن هدف الحركة الإسلامية، في هذا العالم، ينطوي على ثورة في القيادة؛ فثمة قيادة

تمردت على الله ونهجه وهي مسؤولة عن معاناة الجنس البشري ينبغي استبدالها بقيادة واعية بالله، وقوية، وملتزمة باتباع النهج الالهي^(١١).

وقد سعى السيد الصدر إلى جعل الممارسات الإسلامية متماشية مع التغيير المأمول وادخال رجال الدين الاسلاميين في صلب عملية التغيير في العراق. وسعيًا لاقامة حكومة اسلامية، فقد عمل علماء (اساتذة دينيون) شيعة اصلاحيون على جعل الشيعة يتخلون عن سباتهم السياسي التقليدي والانخراط في السياسة، بالتعاون مع السنّة الفضلاء. وقد اخبرني متحدّ باسم حزب الدعوة الاسلامية، وهي اكبر مجموعة في الحركة الاسلامية، في ١٩٨٦ ان (١٠%) من اعضاء الحزب هم من السنّة^(١٢).

وقد صورت حكومة العراق البعثية النشاط السياسي الاسلامي العراقي تصويراً ناجعاً ليس بوصفه طائفيًا وحسب، بل ضعيف ويفتقر للشعبية، في حين يجري استخدام وسائل شديدة القسوة لقمع الناشطين. وقد اظهر المراقبون الخارجيون توافقاً مع رأي الحكومة، رافضين فكرة تسييس الاسلام كونها لا تحوز على مقبولية لدى العراقيين. ولعدم بلورة دراية بالحركة الاسلامية العراقية، بل حتى ابداء اهتمام بها، فان الحركة تُعد بمثابة عوائق يواجهها المراسلون والباحثون في مجتمع ينطوي على حكم قمعي بشدة وشعب يمتلكه الخوف. ويُساهم توارى شيعة العراق ايضاً في إنجاح وصف الحكومة للحركة بكونها طائفية؛ فالعرب الشيعة لم يحظوا باهتمام بحثي واسع، فالتاريخ لا يدون سوى افعال الاقوياء، والمسلمون الشيعة لم يقيموا سلطة سياسية على المستوى الوطني في أي مكان، سوى في ايران، منذ القرون الوسطى.

ان اعطاء تقييم للتفسيرات المقدمة وتقييمات للنشاط السياسي الاسلامي في العراق يتطلب بحثاً في السجل التاريخي للحركة. ففي الرواية اللاحقة، انصب اهتمامي على تحديد اصناف الفاعلين في الحركة واعطاء تعريفات لهم وقبول صحة بواعثهم الدينية. ان العلاقات بين البشر وكائن خارق للطبيعة بارزة في العديد من الحسابات الانسانية، سواء اتفق عالم الاجتماع مع معتقد الفاعلين الدينيين في وجود قوة خارقة للطبيعة أم لم يتفق.

ان الناشطين السياسيين في الحركة الاسلامية العراقية اصوليون من ناحية انهم يرفضون العلمانية ويُصرون على وجوب خضوع المسلمين للشرعية الاسلامية؛ فهم اصوليون بمعنى انهم يحاولون اقامة اصول العقيدة الاسلامية في مجتمع حديث. وهم يقبلون تسميتهم بالاصوليين، ويفسرونها على انها تعني "المسلمين غير القابلين بالحلول الوسطية"^(١٣) ويعنون بذلك انهم يرفضون الآراء التوفيقية ويقبلون بالمصادر الحقيقية للشرعية المحصورة في القرآن، وسنة النبي (عليه الصلاة والسلام - المترجم)، والتشريع الاسلامي. ولاعترافهم اعترافاً ضمناً بان كتاب المسلمين المقدس يسمح باكثر من تفسير، فان الناشطين الاسلاميين العراقيين يقبلون بالاحكام الاصلاحية ذات الصلة بالتفسيرات التقليدية في حالة صدور هذه الاحكام عن فقهاء مجليين، وان ما يرفضون قبوله ينحصر في مصادر التشريع غير الاسلامية.

ان الناشطين الاسلاميين العراقيين ليسوا اصوليين اذا ما انطوى معنى هذه الكلمة على رفض للحدثة والتغيير. فهم يسعون إلى التكنولوجيا الحديثة قولاً وفعلاً، ولا يرفضون كل تغيير في الممارسات الاجتماعية. وهم يعترفون بالحاجة إلى إدخال الاصلاح على ممارسات اجتماعية تقليدية

معينة، بما فيها "عادات غير اسلامية واعراف اجتماعية تُعد مسؤولة عن تخلف المرأة [المسلمة]"^(١٤) وحيث ان كلمة "اصولي" تُستخدم احياناً للإشارة إلى رفض التغيير ولدى بعض الناس تنطوي على مضمون باعث على التهديد أو الانتقاص ، لذا سادعو الناشطين السياسيين الاسلاميين العراقيين بالاسلاميين. فهم اسلاميون لأنهم يناصرون الاسلام سياسياً ودينياً، ويصرون على وجوب قيام حكومة اسلامية لحكم المسلمين.

ويُرجع بعض رجال الدين العراقيين بزوغ الحركة الاسلامية العراقية إلى فترة ما بعد الحرب العالمية الاولى، حين جاهد رجال الدين لاقامة حكومة اسلامية شرعية تحل محل الحكومة التركية التي اطاح بها البريطانيون من حكم العراق، غير انني أرى ان الفترة المحصورة بين ١٩١٩-١٩٢٣ تُعد فترة تمهيدية للحركة الاسلامية المعاصرة. وهذا يعود إلى أن العقود التي تخللت قيام الملكية الهاشمية لم تتطور بالاساس على معارضة للحكم القائم بالنيابة عن الاسلام، ولأنَّ الحركة السياسية التي بدأت في ١٩٥٧-١٩٥٨ كانت مختلفة في طبيعتها عن الحملة العسكرية التي تولى العلماء زمام قيادتها في ١٩٢٠. وفي كلتا الفترتين كان للعلماء الهدف المعلن نفسه، وهو، حكومة شرعية طبقاً لتعاليم الاسلام، وفقاً لتصورهم، بيد ان الحركة الاسلامية المعاصرة هي حركة إصلاحية دينياً وتُعد جزءاً من التعبئة السياسية غير المركزية شأنها في ذلك شأن اية حركة اجتماعية، وقد طورت الحركة الاسلامية العراقية ادباً يُجسد افكارها ومبادئها الاساسية. ويتمثل هذا الادب بنزعتين: نخبوية وشعبوية؛ فاعمال النزعة النخبوية ، كمؤلفات آية الله الصدر (فلسفتنا) في (١٩٥٩) و(اقتصادنا) في (١٩٦١) موجهة بالاساس إلى العلماء. وتسعى هذه الكتب إلى ترسيخ معتقدات

الحركة بالاسلام وتُظهر ان تفسيرات المؤلف أمينة على الاسلام. وللحصول على قراءة ابسط إلى حد ما لهذه الكتب بالامكان الرجوع إلى نسخ مختصرة لها، مكتوبة لعامة الناس من المؤمنين، ومقالات كتبها الصدر لصحف كصوت الدعوة. وقد قدم آية الله الصدر وصفاً لهدفه في المجموعة الثانية من مؤلفاته بكونها "إضافة وتبسيط" للمناقشات الواردة في كتبه الموجهة إلى العلماء^(١٥). وتُعد فحوى كتاباته وعظية مكتوبة من رجل دين لبث روح جديدة في نفوس مريديه، كما يظهر في المقتبس الآتي من مقالة كتبها لصوت الدعوة: "في غياب المهدي [المنقذ]، يصبح الجنس البشري مسؤولاً عن المهمة المقدسة. ويدافع اعضاء حزب الدعوة الاسلامية عن قضيته بتمجيد الله. وقد فهم اولئك الذين اصدروا دعوتهم للاسلام واجبههم الديني على نحو اسبق [في الزمن] من اخوانهم الآخرين من المسلمين"^(١٦).

ويُقدم الادب الشعبي للحركة، غالباً بشكل كراريس وصحف، اخباراً عن الحركة وافعال الحكومة العراقية، بما فيها اخبار لا تظهر في الصحف العراقية الرسمية، التي كانت اداة بيد الحكومة، لمعظم فترة وجود الحركة الاسلامية. ففي المطبوعات الاسلامية، فان السياسات والاساليب ذات الصلة بالمناحي العملية للحركة الاسلامية يجري توضيحها والدفاع عنها. فالمطبوعات من هذا الاتجاه تهدف إلى تعبئة المؤمنين وتعزيز همة الناشطين في الحركة. وتُعد صحيفتا (الجهاد) و(العمل الاسلامي) الموجهتان عموماً للاسلاميين والمتعاطفين معهم امثلة عن مطبوعات ضمن النطاق الشعبي.

ولكون الحركة الاسلامية تفتقر للمركزية افتقاراً كبيراً، كما هو حال جميع الحركات الاجتماعية، فان الدعم لقضيتها يتجسد مراراً بالحس

بالانتماء بدلاً من العضوية الرسمية في صفوف جماعة اسلامية. ان المؤمنين الذين يستجيبون للرمزية الدينية التي يثيرها الزعماء الدينيون يشكلون طيفاً واسعاً من المتعاطفين، بيد ان الاوامر لا تُعطى سوى للاعضاء الرسميين.

ان معلوماتي حول الحركة الاسلامية مستقاة من المطبوعات التي ينشرها الاسلاميون العراقيون، فضلاً عن مقابلات شخصية اجريتها مع زعماء المجموعات الاسلامية واعضاءها والمتعاطفين معها. وان المعلومات المستقاة من التصريحات من المصادر المختلفة ترتبط بالمعلومات العملية الخاصة بنشاطات الاسلاميين العراقيين وبالصيغ السياسية التي تتخذها جمهورية ايران الاسلامية، وهو امتداد تسمح به الصلة بين زعامة العلماء في ايران وزعامة العلماء للاسلاميين العراقيين.

ورغم ان عقائد الاسلاميين الدينية قد افضت بهم إلى مستويات اخلاقية عليا وان الاسلاميين خارج العراق ليسوا مجبرين على المناورة كما هو حال الاسلاميين داخل العراق، فان المنشورات التي كتبها الناشطون الاسلاميون والمعلومات الشفهية التي ادلى بها ناشطون المراد منها بالضرورة خدمة الذات إلى حد ما. وقد تختلف تأويلات الفاعلين السياسيين عن تأويلاتي وتأويلات المراقبين الخارجيين، لدونما سبب سوى غياب التجربة المشتركة. وبينما من الضروري بمكان بلورة دراية بتعريفات الفاعلين السياسيين لوضعهم بغية تقييم المعنى الذاتي للاحداث الخاصة بالمشاركين، فمن غير الضروري قبول هذه التعريفات بالصورة التي تُقدم بها؛ ولذا فانني أخضع المعلومات حول الحركة للدراسة للوقوف على التناقضات الداخلية والمثالية المفرطة.

ان التناقضات الداخلية توجد بدرجات مختلفة في اية ايديولوجية وهي تؤثر في فرص نجاح اية حركة سياسة تستمد افكارها من الايديولوجية. وان موارد اية نخبة حاكمة بالامكان حشدها ضد حركة سياسية ما تؤثر في فرص نجاحها. وتاماماً كما يعمل حشد التطورات التاريخية على تهيئة المجال لنشوء حركة سياسية، فان القوى المحركة الداخلية لبلد ما والموارد الخارجية المتوافرة لاصحاب قضية ما تؤثر في تطور حركة سياسية ما. وسيكون السياق التاريخي الذي نشأت في خضمه الحركة الاسلامية العراقية موضوع الفصل اللاحق، ويليه عرض للاحداث على اساس تسلسلها الزمني في ما يخص التطور الفعلي للحركة، وسيتم، اخيراً، ايراد تحليلات للحركة.

الهوامش

١. يُعد الرئيس المصري انور السادات أشهر ضحية للاغتيال على يد مجموعة تتبنى اجندة سياسية اسلامية.
٢. السني تتعلق بالمسلمين ممن يتبعون سُنّة النبي (عليه الصلاة والسلام - المترجم) وهم يشكلون (٨٩%) من المسلمين. والشيعي تتعلق بالشيعية ، الذين يشكلون نسبة الـ (١١%) الاخرى من المسلمين. ويعد الشيعة علياً (عليه السلام - المترجم) بوصفه الخليفة الشرعي للنبي محمد (عليه الصلاة والسلام - المترجم). وبقدر تعلق الامر بهذا العمل، فان اصطلاح الشيعة يُشير إلى الشيعة الاثني عشرية، وهم الطائفة الاكبر ضمن الطيف الشيعي. ويشكل الشيعة الاثني عشرية غالبية السكان في العراق، وايران، والبحرين، فضلاً عن اقليات لها وزنها في دول الخليج الاخرى، ولبنان، وباكستان، وافغانستان. وثمة فروع اصغر للشيعة وهم الزيديون في اليمن، والاسماعيليون الموجودون في الوقت الحاضر في الهند.
٣. العراق، النزاع العراقي - الايراني، ص ١٣. (الترجمات الخاصة بالمصادر العربية تعود إلى المؤلفة).
٤. تصريح معاد طباعته في اسماعيل، ايران والعراق، ص ٢٠٦. كان وزير الخارجية يُشير إلى حزب الدعوة الاسلامية، الذي أسسه آية الله محمد باقر الصدر في ١٩٥٧ في العراق.
٥. رينفروو، "مَنْ بدء الحرب؟" ص ١٠٠.

٦. جانسن ، "مَنْ بدء حرب الخليج؟" ص ١٥-١٦ . "آية الله" هو لقب يجري منحه إلى رجال الدين الشيعة الرفيعي المستوى. وفي هذه الإشارة، يلمح جانسن إلى الإمام الايراني روح الله الخميني (١٩٠٢-١٩٨٩).
٧. ثمة تعداد سكاني أجرته السلطات العسكرية البريطانية في ١٩٢٠ وارد في الخلاصة الاحصائية للعديد من الدول التابعة للتاج البريطاني والمحميات الخارجية (لندن، ١٩٢٤)، وجد ان الشيعة في العراق يشكلون ٥٦% (وارد في طربوش)، دور الجيش في السياسة، (ص ١٤). للحصول على تقديرات لاحقة للتركيبة الدينية في العراق. انظر الجدول (٢-٢).
٨. في العراق، يُخاطب المنحدرون من النبي محمد (عليه الصلاة والسلام - المترجم) بلقب سيد (والمؤنث سيدة).
٩. محمد باقر الصدر، كما يرد في بطاطو، "المنظمات الشيعية في العراق"، ص ١٨١.
١٠. الصدر، النظام السياسي الاسلامي، ص ٣٦.
١١. المودودي، الحركة الاسلامية، ص ٧١.
١٢. السابع من آب، ١٩٨٦، مقابلة مع الدكتور ابو علي، الذي تم تعيينه متحدثاً باسم حزب الدعوة في لندن، والاخ علي، عضو في حزب الدعوة.
١٣. الدعوة كرونكل ، تشرين الاول ١٩٨١، ص ١.
١٤. الصدر، النظام السياسي الاسلامي، ص ٣٦.

١٥. الصدر، الرجل المعاصر والمشكلة الاجتماعية، ص ٢٢. في الرجل المعاصر، قام آية الله الصدر بتبسيط وتكملة نقده الموجه للرأسمالية والاشتراكية المقدم في كتابه "فلسفتنا".

١٦. الصدر، من فكر الدعوة، ص ١١.

- ٢ -

السياق التاريخي

لوقوعه في الطرف الشمال الغربي للخليج، يُعد العراق^(١) مفترق طرق تلاقت فيه الثقافة السامية من جهة الجنوب والغرب بالثقافة الايرانية من جهة الشرق. ويُعد الجزء الغربي والجنوب الغربي جغرافياً جزءاً من صحراء شبه الجزيرة العربية. ويتألف الجزء الشمال الشرقي للعراق من جبال وسهوب (السهب سهل واسع خالٍ من الاشجار - المترجم)، والجزء المشار إليه الوارد ثانياً يتلقى نسبة امطار تكفي للزراعة دون الحاجة إلى الري السحي ويقع السهل المركزي المعروف سابقاً ببابل أو بلاد وادي الرافدين، دجلة والفرات بين الصحراء والسهب. وقد استخدم الناس، منذ القدم، مياه النهر لزراعة التمور والقمح. ويُعد الجزء الجنوب الشرقي من العراق حتى الآن بمثابة منطقة مميزة رابعة - الاهوار التي لا يُمكن الزراعة فيها إلا بنطاق ضيق.

والعراق من ناحية الحجم يُضاهي كاليفورنيا. وعدد سكانه يقل كثيراً عن عدد سكان كاليفورنيا بيد انه يُقدر بحلول ١٩٩٠ بثمانية عشر مليون نسمة^(٢). ورغم موقعه المطل على الخليج، لا يحوز العراق سوى على (٢٦) ميلاً على خط الساحل. ويقع ميناء العراق الرئيس، البصرة، على مبعده (١٦) ميلاً من البحر، على شط العرب، حيث يلتقي دجلة والفرات، اللذان يتدفقان معاً في آخر (١٠٠) ميلاً لهما إلى البحر.

وليس بعيداً عن التقاء النهرين، تطورت حضارة السومريين القدماء، وهم شعب لا ينحدر من الساميين ومن اصل غير معروف. وفي الالفيات

اللاحقة، قام بدو الصحراء من الجنوب بالتجاوز على اراضي السومريين وخلفائهم في السهل . وقد اقام بعض الساميين من الجنوب، والبابليين، والآشوريين، والكلدانيين، والعرب امبراطوريات عظيمة قبل ان تتلاشى في بحر التعددية العرقية لوادي الرافدين.

وجاء الفاتحون ايضاً من الشرق؛ فوادي الرافدين، دجلة والفرات، خضع للسيطرة الفارسية لما يزيد على (٨٠٠) عاماً حين انتصرت جيوش العرب المسلمون في عام ٦٣٧ ميلادية. وعلى الرغم من ذلك، فقد تبنت الغالبية الساحقة من السكان الدين الاسلامي واللغة العربية لغة الفاتحين، وحافظت عليهما منذ ذلك الحين رغم الفترات اللاحقة التي شهدت هيمنة فارسية وتركية.

ومن العرب جاء اسم العراق، بيد ان اسم العراق لدى الجغرافيين العرب لا يُطلق إلا على الجزء الأدنى من وادي الرافدين. وتُدعى الارض الواقعة شمال تكريت الحديثة على دجلة وإلى حدٍ ما شمال هيت على الفرات الجزيرة، وهي الارض الواقعة بين دجلة والفرات . ويُعد العراق الحديث، الذي يضم الجزء الاعلى والاثنى من بلاد وادي الرافدين، نقطة تقاطع للمجموعات السكانية التركية، والفارسية، والعربية. ويحد العراق من الشمال تركيا، ومن الشرق ايران، واربع دول عربية - الكويت، والعربية السعودية، والاردن وسوريا - من الجنوب والغرب. وجرى تثبيت حدود العراق باتفاقية مع الدول المجاورة خلال السنوات التي كان فيها العراق خاضعاً للانتداب البريطاني، من ١٩٢٠ إلى ١٩٣٢.

وبالامكان تقسيم العراق إلى ثلاث مناطق دينية وعرقية؛ فالنصف الجنوبي، الممتد من بغداد جنوباً، يقطنه العرب الشيعة على نحو مهيم.

والنصف الشمالي يُعدّ سنياً عربياً في جزئه الغربي وسنياً كردياً في جزئه الشرقي. ولم يجرِ القيام بتصنيف سكاني مفصل وفقاً للدين والعرق إلا في الإحصاء السكاني لعام ١٩٤٧. وفي ذلك الوقت كان الشيعة يشكلون (٥٤,١%) من السكان، وكان حوالي (٩٥%) من الشيعة عرباً من الناحية العرقية. ويقدم الجدول (١-٢) تصنيفاً دينياً وعرقياً لمجمل السكان في ١٩٤٧. وثمة تقديرات أقل تفصيلاً للتركيبة الدينية العراقية على امتداد فترة سنوات يقدمها الجدول رقم (٢-٢).

أصل الشيعة

في وقت الفتح الإسلامي للقرن السابع الميلادي، كان العراق متنوعاً دينياً وعرقياً. وكانت الطبقة الفارسية الحاكمة وثنية في دينها^(٣). وكان الفلاحون آراميين عرقياً، وينحدرون من البابليين الأوائل. ويعبد معظم الفلاحين الشمس، والنجوم، والنار، والماء، بيد أن آخرين اعتنقوا المسيحية، وأصبحوا إما نساطرة أو قائلين بأن للمسيح طبيعة واحدة. وكانت ثمة أعداد كبيرة من العرب والكرد بين الغالبية الآرامية، وأعداد أصغر من السريان، والأغريق، والهنود، والأفارقة القادمين من شرق إفريقيا. وكان المجتمع يخضع لتنظيم ليس على أساس عرقي أو مهني بل وفقاً للطائفة الدينية. وقد تعامل الفرس الساسانيون الحاكمون مع كل طائفة من خلال زعمائها الدينيين؛ وعلى سبيل المثال، ففي وسط العراق أناط الساسانيون بمسؤول يهودي واحد مسؤولية تمثيل كامل الطائفة اليهودية. وجرى منح الزعماء الدينيين امتيازات. ولاتخاذ الطائفة اليهودية كمثال مرة أخرى، فقد

أعني الحاخامات من دفع ضريبة الرؤوس (وهي ضريبة مفروضة على كل شخص من البالغين - المترجم) التي كان يدفعها السكان.

وقد حفز الفتح الاسلامي العديد من الفلاحين على اعتناق الاسلام. وقد اعتنق الاسلام ايضاً معظم الفرس، ممن يتوقون إلى الحفاظ على مناصبهم وملكياتهم. وقد ادخل الداخلون إلى الاسلام تقاليد بلاد وادي الرافدين، بما فيها بعض من ممارساتهم الدينية السابقة والكثير من معالم النظام الاداري الفارسي.

وسرعان ما أصبح المسلمون العراقيون طرفاً في الخلاف المنبثق بين الفاتحين العرب حول الخليفة الشرعي للنبي محمد (عليه الصلاة والسلام - المترجم)، وهو خلاف سيكون له تأثير حاسم في تاريخ العراق اللاحق. وقد حظي الخلفاء الاربعة بقبول الجميع، وإن كان قبولاً ينم عن معارضة؛ ولكن ثمة اقلية للطائفة العربية المسلمة رفضت القبول بشرعية الحكام الامويين ممن تبنا منذ ذلك الحين المبدأ الوراثي للخلافة (وهي سلطة سياسية ممنوحة لخلفاء النبي). وقد عدت هذه الاقلية ان آل علي ابن عم النبي وصهره، هم الخلفاء الشرعيون وقد أطلق عليهم تسمية الشيعة^(٤). وتعني "الانصار" وفي هذه الحالة تعني انصار علي ولذا بدأ التشيع بوصفه حركة شرعية سياسية بين الفاتحين العرب.

وقد تبني معتنقو الاسلام في العراق الفكرة الشيعية بان الامة (امة الاسلام) لم يتول قيادتها حكام مؤهلون بل خضعت لحكام غير مؤهلين. وتمثلت احدى شكاوى معتنقي الاسلام في ان الزكاة لم تجب بعد فترة حكم الخليفة الثالث، عثمان، الامر الذي يعني ان الاغنياء العرب لم يقوموا في الغالب بدفع الضرائب المفروضة على ثرواتهم. ولادراكهم ان المساواة بين

المؤمنين تعد جزءاً لا يتجزأ من عقيدة الاسلام. فقد استاء العديد من معتقلي الاسلام من المكانة المتميزة للنخبة العربية. فضلاً عن ذلك تعرض المسلمون الاتقياء إلى الاساءة جراء طريقة العيش في العاصمة الاموية، دمشق. ولاعتقادهم بان الامويين لم يكونوا ورعين بما فيه الكفاية فضلاً عن سخطهم الناجم عن اعتبارات اقتصادية، الامر الذي جعلهم يتحزبون لعلّي (عليه السلام - المترجم). وكانت الكوفة في جنوبي العراق، التي تقع قرب مدينة النجف الحديثة، والمدائن في وسط العراق، قرب بغداد، المعادل الاولى للتشيّع^(٥). وفي كربلاء، التي تقع على مبعدة (٥٠) ميلاً من الكوفة، استشهد نجل علي الحسين (عليهما السلام - المترجم) على يد جيش اموي في العاشر من شهر محرم في عام (٦١) بعد الهجرة (العاشر من تشرين الاول، ٦٨٠)^(٦)، حيث انهى هذا الحدث الصراع الشيعي الجاد من اجل نيل السلطة السياسية ولكن لم يُنه حس الشيعة بشرعية القضية. وبعد اعتقالهم للتشيّع، حافظ اهل الجزء الجنوبي والوسط من العراق على معتقداتهم على امتداد قرون من التمييز على يد حكام من غير الشيعة. وقد ساعد تجمعهم في منطقة جغرافية محدودة في الحفاظ على هويتهم وشجع بدو عرب وآخرون على اعتناق التشيّع. وقد اسهم تنظيم الامبراطورية الاسلامية من خلال طائفة دينية في ديمومة التشيّع.

وتماشياً مع تبني الحكومات الاسلامية للنهج الفارسي الذي يحدد الناس طبقاً لانتماهم الديني، يعمل الزعماء الدينيون بوصفهم حلقة الوصل بين طوائفهم والحكومة. ولذا كان الزعماء الدينيون قادرين على ممارسة الرقابة ليس على المبدأ الديني فحسب، بل على العديد من المسائل القانونية والاقتصادية كذلك، وبالتالي تمكين رجال الدين من حيابة النفوذ على ارواح

اتباعهم في الدين. ويتطلع الناس إلى زعمائهم الدينيين حين يحتاجون إلى مَنْ يتدخل نيابة عنهم لتسوية قضاياهم مع الحكومة.

وقد اكد الشيعة الاثني عشرية على سلسلة ملهمة الهياً لاثني عشر إماماً، وهم زعماء دينيون يحوزون على السلطة السياسية، ينحدرون من آل النبي (عليه الصلاة والسلام - المترجم)، ولم يُمارس السلطة السياسية منهم سوى الإمام الاول علي (عليه السلام - المترجم)، وهو صهر النبي، بيد ان الشيعة ينيطون السلطة الدينية بجميع الائمة الاثني عشر. ويعقب علي (عليه السلام - المترجم) ابنه الحسن (عليه السلام - المترجم)؛ ثم أخو الحسن وهو الحسين (عليه السلام - المترجم). وبعد ذاك يأتي ابن الحسين، وهكذا دواليك. ويقوم كل امام بتسمية خليفته، وهو في العادة نجله الاكبر. وتقع مرقد علي والحسين واربعة آخرين من الائمة الاثني عشر (عليهم السلام - المترجم) في المدن المقدسة في العراق - النجف، وكربلاء، والكاظمية، وسامراء.

وعلى امتداد قرون، يأتي الزوار من فارس وطوائف شيعية اخرى إلى العراق لزيارة المدن المقدسة، بل ان الشيعة الورعين يجري دفنهم في النجف، حيث يوجد ضريح علي (عليه السلام - المترجم). ولذا يُشكل الزوار الشيعة فضلاً عن الدفن في النجف مصادر للدخل لها قيمتها بالنسبة للشيعة العراقيين والحكومة العراقية. وبعد احد عشر قرناً من تأسيس المدارس الدينية الشيعية في المدن المقدسة، ولاسيما في النجف، انجذب الطلبة والباحثون الدينيون إلى العراق، الامر الذي عزز من مكانة التشيع لدى الشعب العراقي.

وقد ساعد الصعود السياسي الشيعي أيضاً في تعزيز مكانة التشيع؛ فالبوهيون، الذين حكموا منطقة تشمل جنوبي العراق منذ ٩٤٥ إلى ١٠٥٥ ميلادية، اقساموا يمين الولاء للخليفة السني في بغداد، على الرغم من انهم كانوا شيعة^(٧). وفي اوقاتٍ اخرى، كانت ثمة سلالات شيعية اقل سطوة في بغداد، والبصرة، والحلة، وهي مدينة شيعية في وسط العراق، قرب موقع بابل القديمة. ومع ذلك، ولمعظم صفحات تاريخ العراق، لم يكن الشيعة جزءاً من الحكومة.

من عاصمة الامبراطورية الاسلامية

إلى موضع خلفي للعثمانيين

في عام ٧٥٠ ميلادية حلت السلالة العباسية السنية محل الحكام الامويين السنة في قيادة الامبراطورية الاسلامية. وحلت بغداد محل دمشق بوصفها عاصمة للامبراطورية. وكانت السنوات الاولى لحكم العباسيين فترة ثراء في بغداد، بيد ان مسألة الخلافة وطرق تمويل الحكومة والجيش كانت دوماً موضوعات خلافية. فتولي الخلافة كان يتسم بالدموية على الدوام، وكانت الحكومة تجمع الاموال من خلال إقطاع الاراضي (المقصود ان تُمنح الارض لشخص معين من اجل استثمارها ويدفع عنها ضريبة تسمى ضريبة الخراج - المترجم)، وهو نظام للضريبة المفروضة على الزراعة. وكانت الامتيازات تُمنح لدافعي الضرائب ممن يملكون الارض ويديرون عملها حيث تستوجب مصلحتهم استغلال الارض بأقصى ما يستطيعون كي يجنوا منها اقصى ما يستطيعون من الربح قبل ان يفقدوا امتيازاتهم. وحيث ان غالبية المزارعين من الشيعة، فان المواطنين (تستخدم

المؤلفة اصطلاح "المواطنون" وهو اصطلاح حديث ويكافئه في المعنى في الفترة المقصودة اصطلاح "المسلمون واهل الذمة" - المترجم) الذين اعترفوا بخطورة اقطاع الاراضي والفساد الناجم عنه كانوا عرضة للاتهام بالتعاطف مع الشيعة وبالتالي تفتّر همهم. وقد توسعت تجارة القوافل بين اوربا وآسيا توسعاً سريعاً خلال الفترة العباسية، ولكن لم يجبر فرض ضريبة جديدة بغية منح التجار الحضريين الاثرياء حصة من عبء الضريبة. وقد أدى استمرار العمل بضريبة الزراعة (المقصود بها الخراج المترجم) إلى تعميق الحس بالاقليمية وذلك بالحد من سيطرة الحكومة المركزية على المناطق النائية.

وفي القرن التاسع على وجه التقريب بدأ العراق رحلة انحدار استمرت ألف عام؛ فقد انخفض عدد السكان من ملايين عدة في القرن الثامن إلى حوالي مليون في ٨٠٠^(٨). ويُعد اهمال منظومة الري بمثابة الفشل الأكثر مدعاة للشؤم. فبدون منظومة ري مناسبة، فإن جنوب العراق ووسطه يتحولان إلى صحراء طينية حمراء، غير قادرة على ادامة الزراعة؛ فالمزارعون ومالكو الاراضي الافراد لا يستطيعون بمفردهم الحفاظ على منظومة الري، لأنّ الصيانة الضرورية تستلزم اتفاقاً كبيراً وتنفيذ خطط متناسقة تشمل اراضٍ واسعة. ويستلزم الامر وجود خزانات لرفع مستوى الانهار، وسدود للحيلولة دون حدوث فيضانات، وقنوات بزل للحيلولة دون حدوث ملوحة. وفي غياب جهد متواصل لازالة الرواسب من القنوات، فإن الغرين تزايد فضلاً عن تغيير مجرى الانهار، والحاق الضرر بالمناطق الريفية. وقد تجاوزت العشائر العربية على المنطقة المستوطنة من الجنوب، فضلاً عن تهديد العشائر التركية والمغولية للحدود الشرقية.

وحتى القرن الحادي عشر، كان العباسيون اقوياء بما فيه الكفاية في ايران وافغانستان لارغام العشائر التركية على الاتجاه شمالاً، ولكن بمجرد حدوث خرق في خط الدفاع العباسي في نهر OXUS (وهو من الانهار الرئيسية في آسيا الوسطى ويُسمى بالفارسية امودريا وفي اللاتينية OXUS وفي العربية سيحان. وفي الازمة القديمة كان يمثل الحدود بين طوران وايران - المترجم)، لم يكن ثمة ما يوقف العشائر الآسيوية من التدفق إلى الاراضي الاسلامية. وفي عام ١٢٥٨ ميلادية هاجم المغول بغداد، حيث اطاحوا بالخلافة العباسية وما تبقى من الوحدة الاسلامية. وقد افضى الاحتلال المغولي إلى الانهيار الكامل لمنظومة الري في العراق. وقد أبتلي العراق بحروب حول الخلافة وحروب بين العشائر المختلفة على امتداد القرنين اللاحقين.

وفي مستهل القرن السادس عشر، وصل الصفويون الشيعة إلى الحكم في ايران. وقد اجبر الصفويون رعاياهم على تبني التشيع، وبالتالي تمييز امبراطوريتهم الفارسية عن الامبراطورية العثمانية السنية إلى الغرب وامبراطورية المغول الهندية السنية إلى الشرق. وقد عمل الصفويون على توسيع الخلافات بين السنة والشيعة، حيث بات الاضطهاد السني لاهل البيت (آل النبي) موضوعاً مركزياً^(٩). وقد اتخذ الصفويون من كربلاء مركزاً لاداء الحج؛ فمكة كانت تخضع للسيطرة العثمانية. وقام الصفويون باستقدام العلماء الشيعة من لبنان والعراق إلى ايران بغية المساعدة في تدعيم امبراطوريتهم^(١٠).

وكان الصراع للسيطرة على العراق منحصراً بين الاثراك السنة والفرس الشيعة، حيث جرى تأطير التنافس بينهما بأطر دينية، السنة مقابل

الشيعية، وكان شعب العراق من ابرز ضحايا هذا الصراع. ففي ١٥٣٤، سيطر الاتراك على العراق وبسطوا حكمهم عليه حتى عام ١٩١٧، وكانوا يقومون بتعيين الباشوات من استانبول لادارة العراق بوصفه ولاية من ولايات امبراطوريتهم . وقد طور الولاة الاتراك تحالفاً ضمناً مع الوجهاء السنة المحليين، وتصاهروا معهم بغية تكوين نخبة عثمانية - عراقية. وقد استمر التنافس بين الامبراطورية العثمانية والامبراطورية الصفوية الفارسية، الامر الذي اعاق حركة التجارة في العراق واججج الشكوك العثمانية حول ولاء الشيعة للدولة. ولم يتم ابرام معاهدة بين العثمانيين والصفويين حتى عام ١٧٣٩ حيث تبلور حسّ متزايد بالأمن في العراق.

ولم يكن شعب العراق مقتنعاً بالضرورة بالانحياز إلى جانب اقرانهم في المذهب من الاجانب ضد بعضهم؛ فالقتال الذي اندلع في ١٨٠٢ يُعد التاريخ المعروف الوحيد الذي اقتتل فيه المسلمون العراقيون الشيعة والمسلمون العراقيون السنة^(١١). وما عدا ذلك فتمة العديد من الحالات الموثقة التي شهدت تعاون المجموعات السكانية المحلية مع بعضها. فخلال مجزرة ارتكبها جيش صفوي في عام ١٦٢١، على سبيل المثال، أنقذت حياة العديد من العراقيين السنة حين قام القيم على الضريح الشيعي المقدس في كربلاء بتسجيلهم كشيعية^(١٢).

ولم تكن الحكومة العثمانية في العراق تقدم خدمات؛ فتصور العثمانيين للحكم ينطوي على فائدة الحاكمين وليس المحكومين. فهم لم يقوموا بجهدٍ لدمج عشائر الشيعة بالدولة، أو تحقيق مساواة في جباية الضرائب، أو تشييد الطرق، أو اصلاح منظومة الري. وتمثلت النتيجة الحتمية لقرونٍ من الاهمال الحكومي في حدوث فيضانات ومجاعات، الامر الذي أدى إلى

تفشي الاوبئة؛ فقد تكرر حدوث الاوبئة في العراق في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر.

وضمن العراق العثماني، هيمنت بعض الأسر على طوائفها، ومن بينها أسر لزعماء دينيين. وقد عمل الزعماء الدينيون المسيحيون، واليهود، والمسلمون، وسطاء بين طوائفهم والسلطات الحكومية، التي لم يكن معظم العراقيين يفهمون لغتها التركية. وعلى الرغم من ان هذه النخب الدينية لم تكن بقوة النخب السياسية والاقتصادية، فان الارستقراطية الدينية كانت اكثر استقراراً^(١٣). وقد واصل العثمانيون اتباع الممارسة العباسية بتعيين نقيب (الجمع نقباء، وهو زعيم اعلى) من الأسر البارزة ليكون رئيساً للطائفة الدينية. وثمة نقيب لكل مدينة كبيرة، وهو منصب ينتقل بالوراثة. وكان نقباء بغداد، والبصرة، والموصل يشاركون في مراسيم الحكومة وكانوا، فضلاً عن افراد أسرهم، معفوين من اداء الخدمة العسكرية. وكان العلماء، والائمة (الذين يتولون إمامة المصلين ويكونون مسؤولين عن المساجد)، والقضاة (في المحاكم الشرعية) منحدرين من صفوف الشخصيات الدينية الرفيعة المستوى. "وكانت فرص الانخراط في المؤسسة الدينية محدودة؛ فالمناصب تُمنح من خلال التعيين السياسي، والبيع، والتوريث"^(١٤). وكان الولاء إلى الحكم العثماني بمثابة سياسة يتبعها رجال الدين السُّنة بوصفهم مجموعة. وقد أذعن رجال الدين الشيعة والاكراد أيضاً للعثمانيين، ولكن ليس بحس ينم عن مصداقية.

وفي البلدان العراقية السُّنية والشيعية، واصلت المدارس القرآنية (الكتاتيب - المترجم) تراثها الطويل بالتعليم الشفوي، وكانت المناهج في بعض الاماكن تشمل القراءة والكتابة. وان الرجل الذي يصبح معلماً في

القرية، ويُدعى مُلا في القرى الشيعية، وشيخ في القرى السنية^(١٥)، كان يعيش معيشة ضنك ونظراً لفقر المناطق الريفية، ولاسيما المناطق الشيعية والكردية، فلم يكن معلم القرية يحصل على أكثر من مكانة مبدئية يحوز عليها في العادة رجال العلم والتقوى. وفي الطوائف التي تكون جد فقيرة أو صغيرة بحيث لا تتمكن من حيازة معلم حائز على تدريب، فإن أي فرد حاصل على بعض التعليم الديني يتولى الزعامة الدينية بعملية غير رسمية. ويتولى الناس دفع رواتب المعلمين الدينيين لقاء الخدمات المقدمة. ويقوم الشيعة الحريصون على التقيد بالواجبات الشرعية بدفع ضرائبهم الدينية للمجتهدين (وهم علماء دين رفيعو المستوى مخولون باصدار تفسيرات لتشريعة ملزمة للطائفة). ويقوم المجتهدون بانفاق المال المعطى على الصدقات والتعليم الاسلامي، من دون اشراف أو تدخل حكومي.

وفي ظل الحكم العثماني، كان الشيعة يتمتعون بالحرية الدينية في مدنهم المقدسة حصراً. ووفقاً لكارستن نيبهور، الذي طاف ارجاء العراق للفترة من ١٧٦٤ إلى ١٧٦٥، حصل الشيعة على درجة من الحرية الدينية بسبب العوائد المالية التي كانت الزيارة للعتبات المقدسة تدرها على العراق^(١٦). وقد ساعدت الانماط التجارية ايضاً الطائفة الشيعية في الحفاظ على استقلالها النسبي في ظل العثمانيين. وكانت معظم تجارة العراق مع بلاد فارس تقوم بها الأسر الشيعية واليهودية ممن تحوز على فروع لها في العراق وفارس.

وخلال القرن الثامن عشر، اصبح العراق، بوصفه ممراً في الطريق إلى الهند، مهماً للبريطانيين. وبحلول منتصف القرن التاسع عشر، اصبح العراق منطقة تحوز على اهتمام البريطانيين. وفي ظل ضغط من اوربا الأخذ في التوسع، شرعت الحكومة العثمانية في استانبول في ١٨٣٩ بالقيام بعدد من

للاصلاحات التحديثية؛ ولكن العراق، الذي كان العثمانيون ينظرون إليه وصفه مكاناً للنفي، لم يحظ بأول مصلحية، مدحت باشا، إلا في ١٨٦٩. في السنوات الوجيزة الثلاث لحكم مدحت باشا في العراق، قام بتفعيل قانون الارض العثماني (١٨٥٨) وقانون الولايات العثماني (١٨٦٤). وقد اوجد قانون المشار اليه ثانياً نظاماً ادارياً اقليمياً على النمط الاوربي، في حين منح القانون المشار اليه اولاً الافراد سند ملكية للاراضي التي كانت تُعد سابقاً اراضٍ خاضعة للملكية المشاعة للعشائر. وكان الوجهاء الدينيون والتجاربيون ممن علموا بالوقت الذي تم فيه توزيع الاراضي وبالقيمة التي تترتب على الحصول على سند الملكية المستفيدين الرئيسيين من قانون صلاح الاراضي. وكان الفلاحون أنفسهم إما غير عارفين بما تم توزيعه، اذا عرفوا، فأنهم لم يستفيدوا من الفرصة لأنهم كانوا يخشون السوق خدمة العسكرية في حالة تسجيل اسمائهم لدى الحكومة^(١٧).

وكان افتتاح العديد من المدارس الابتدائية التي تُقدم دروسها باللغة تركية وتوسع القانون المدني من بين أحدث الاصلاحات العثمانية. وقد نص الاحتكار الذي تفرضه على مؤسسات البلاد القانونية بعض الأسر الدينية، ممن تمتلك ثروات طائلة، وارض، وسلطة سياسية، مستمدة من سلطتها الدينية^(١٨). وكانت النخبة الدينية غير موفقة في محاولتها مقاومة الاصلاحات العثمانية، غير ان النخب الدينية السنية حصلت على تعويضات صيغة عضوية في المجالس الحاكمة المنبثقة حديثاً وتعيينات لشغل المناصب البيروقراطية العليا^(١٩). وقد تمكن رجال الدين الشيعة من الحيلولة دون خراط الشيعة في المدارس الحكومية.

وفضلاً عن الاصلاحات ذات الطابع العلماني، سعى الاتراك إلى تعزيز مركز امبراطوريتهم عبر تجنيد المزيد من الرجال والحصول على المزيد من العوائد المتأتية من الولايات . ففي عام ١٩١١، قَدَّر المصرف العثماني ما استلمته الدولة بثلاثين بالمئة من الحبوب المزروعة في المناطق المروية في العراق في حين لم يحصل المزارعون سوى على (٥٤%) . اما نسبة الـ (١٦%) المتبقية فقد ذهبت إلى مالكي الاراضي الذي كانوا متغيبين في الغالب. وكان سوء التغذية يفتك باربعة اخماس السكان^(٢٠).

وفي الوقت نفسه، انصبت قوى التحديث وبعض الاصلاحات في فائدة العراق. وبسبب المدارس التركية الحديثة والنشاطات التبشيرية، ارتفعت نسبة معرفة القراءة والكتابة من (٥%) في ١٨٥٠ إلى (٥-١٠%) في ١٩٠٠. وبوصفه جزءاً من خطتهم لمركزة السلطة، عمد الاتراك إلى فرض سيطرتهم على المناطق العشائرية، وبالتالي تحسين الأمن في العراق. وقد قلصت السفن التجارية الوقت الذي يستغرقه الابحار بين بغداد والبصرة تقليصاً كبيراً، الامر الذي اسهم في زيادة بلغت ثمانية اضعاف في التجارة العراقية للفترة بين ١٨٧٠ و ١٩١٤. ومع تحسن ظروف المعيشة، تزايد عدد السكان.

وكانت ثمة تغييرات سياسية حساسة تحدث ايضاً. فقد دمر الاندفاع العلماني للشباب الاتراك الذين نالوا السلطة في استانبول في ١٩٠٨ الرابطة الشرعية الوحيدة بين الاتراك والعرب، وهي، الرابطة الدينية. وكان لبغداد والبصرة موقع ريادي في حركة قومية عربية تسعى للاستقلال. ففي ١٩١٣، وبقيادة السيد طالب النقيب، النجل الاكبر لنقيب البصرة السنّي، وقّع اهل البصرة، ومعظمهم من الشيعة، طلباً لنيل الاستقلال. وجرى تشكيل

جمعيات سرية للقوميين العرب، كان العديد منهم من العراقيين، في الجيش العثماني.

الهيمنة البريطانية،

١٩١٧ - ١٩٥٨

أحدثت الحرب العالمية الأولى تغييرات عميقة في العراق؛ فبمجرد اندلاع الحرب، غزا البريطانيون العراق من الخليج. وقد أعلن العلماء الشيعة الجهاد^(٢١)، وحتى رجال الدين (بما فيهم السيد محسن الحكيم الذي أصبح لاحقاً المرجع الأعلى للشيعة في العراق) التحقوا بجهة القتال. ولتحقيق المزيد من الأهمية العسكرية، فقد انضم الآلاف من رجال العشائر العربية إلى الجهد الحربي التركي تلبية لدعوة الجهاد. ولم يبق إلا ترك بدفع رواتب لرجال العشائر الذين أطلقت عليهم تسمية "المجاهدون" وكذا لم يتم تسليحهم أو إطلاعهم^(٢٢). وفي واقع الأمر، لم يكن العديد منهم يكون شعوراً ودياً تجاه الأتراك. وقد حقق البريطانيون تقدماً أولاً سريعاً رغم الجهد الدفاعي "المشترك"، بيد أنهم تعرضوا في الكوت إلى حصارٍ مدمر، حيث مدَّ السكان العرب في المدينة والمنطقة المحاصرة يد العون للأتراك. ولم يتمكن البريطانيون من احتلال بغداد إلا بعد وصول تعزيزات. ولم يتم الاستيلاء على الموصل إلا بعد الهدنة الدولية، ولكن بسقوط الموصل، بسط البريطانيون سيطرتهم على الولايات العثمانية الثلاث التي شكلت العراق: البصرة، وبغداد، والموصل.

ولاستحكام السيطرة، اعتمد البريطانيون على نخب من أهل البلد بوصفها الوسيلة الأكثر اقتصاداً. وبغية الحصول على دعم النخبة، اعترف

البريطانيون بزعم عشائري واحد لكل منطقة ريفية. وفي بعض المناطق، كالعمارة، أنيطت الملكية الكاملة للمناطق الشاسعة بالشيوخ العشائريين الذين كانوا يجمعون العوائد من العشائر لصالح الحكومة وكانوا يُمنَحون حصة من المبالغ التي كانوا يجمعونها^(٢٣). وبات الشيوخ ممن كانوا مسؤولين عن عشائرتهم وفقاً لمكانتهم الاعتبارية مسؤولين امام الحكومة، التي دعمت مزاعمهم ازاء ابناء عشائرتهم واندادهم. وبذا اصبح الشيوخ المعينين، شيعة وسنة، اغنياء جراء نظام السيطرة البريطاني. وتوجب على معظم العراقيين الآخرين دفع المزيد من الضرائب في ظل الحكم البريطاني اكثر مما كانوا يدفعونه في ظل الحكم العثماني، إلى حد ما لأن البريطانيين كانوا افضل قدرة من العثمانيين على جمع الضرائب^(٢٤).

وحيث ان معنى وجوهر كلمة "مسلم" تعني "الفرد الذي يُدْعَى لشرع الله الموحى به". فقد وجد المسلمون العراقيون من الصعوبة بمكان التوفيق بين الايديولوجية الاسلامية والخضوع إلى حكومة يقودها بريطانيون غير مسلمين. وجرى تشكيل عدد من المجموعات المؤيدة للاستقلال، بما فيها مجموعة شيعية — سنية تُدعى "حرس الاستقلال"، التي حظيت بدعم المرجع الشيعي الاعلى. وكان السيد محمد حسن الصدر، وهو عالم دين منحدر من أسرة دينية شيعية بارزة في الكاظمية، زعيماً لهذه المجموعة. وثمة اعضاء بارزون آخرون كعلي البازركان، وهو سني من اصول تركية، وجلال بابان، وهو كردي سني؛ وشاكر محمود، وهو عربي سني من بغداد. وتضمن دستور الحزب، من بين اهدافه، ازالة العصبوية الدينية في العراق وتعيين احد ابناء الشريف حسين (مسلم سني) ملكاً على العراق.

وينحدر الشريف حسين شريف مكة من نسل النبي محمد (عليه الصلاة والسلام - المترجم) ومن قبيلة النبي، بنو هاشم، ولذا يُدعى هو وأسيرته بالهاشميين وهم محط إجلال لنسبهم: "منذ الايام الاولى للاسلام، كانت ثمة مجموعة من المسلمين المتعاطفين مع مزاعم (بني هاشم) عموماً واهل البيت خصوصاً، ممن كانوا يقترحون ويتطلعون إلى زعامة رجل بالغ الكمال من الناحية الشرعية وكانوا تواقين على الدوام لغزو هذه السمات السامية إلى زعمائهم المنحدرين من بني هاشم" (٢٥).

وقد اصدر الإمام محمد تقي الشيرازي، الذي اصبح المجتهد الشيعي الاعلى في ١٩١٩، فتوى (الجمع فتاوى، وهو رأي ديني ملزم) نصت على الآتي: "لا يحق لغير المسلمين حكم المسلمين" (٢٦) واستجابة لهذه الفتوى، وزع وجهاء كربلاء عريضة في حزيران يؤيدون فيها "إقامة حكومة عربية مسلمة يتزعمها احد ابناء الشريف [حسين] ومجلس تمثيلي وطني يمثل شعب العراق" (٢٧) ورداً على ذلك، اعتقل البريطانيون ستة من الوجهاء المسؤولين عن العريضة وجرى ترحيلهم.

ولم تنتهِ همة الامام الشيرازي، فقد كتب إلى الشريف حسين بخصوص إقامة مملكة عربية في العراق. وجرى توزيع الرسالة سراً إلى عشائر الفرات الاوسط للحصول على توافيق الزعماء العشائريين ومن ثم تسليمها شخصياً إلى الشريف عبر مبعوث الإمام الشيرازي، الشيخ محمد رضا الشبيبي. وفي مدينة الكاظمية الشيعية، حشد العلماء الشيعة البارزون جهودهم بصياغة عريضة تدعو إلى إقامة "حكومة عربية اسلامية دستورية مستقلة يترأسها احد انجال الشريف حسين" (٢٨).

وفي آيار ١٩٢٠، احيا الشيعة والسنة على نحوٍ مشتركٍ مراسم الاحتفال بمولد النبي (عليه الصلاة والسلام - المترجم) الذي أُقيم في المساجد السنية والشيعة . وقد اعقبت مراسم الاحتفال بالمولد النبوي إلقاء خطب سياسية واشعار وطنية. وكان احمد الداود، وهو عالم دين من شرق بغداد، ويوسف السويدي، وهو قاضٍ سابقٍ مختص بالشريعة الاسلامية من جانب الكرخ؛ وعلي البازركان، وهو شخص غير مختص عضو في حرس الاستقلال من بين الاشخاص البارزين من السنة ممن بلوروا تحالفاً بين السنة والشيعة. وقد انضم جعفر ابو التمن، وهو محامٍ ثري من الكاظمية، إلى السيد محمد الصدر في تنظيم الشيعة^(٢٩). (جعفر ابو التمن ليس محامياً وليس من الكاظمية، بل هو تاجر ومن منطقة صبابيغ الآل - المترجم) .

وفي ربيع ١٩٢٠، في سان ريمو، أعلن عن إناطة مقاليد الامور في العراق بالانتداب البريطاني، الامر الذي اقنع العراقيين بانهم لن ينالوا الاستقلال إلا بالقتال. وفي حزيران، أُعتقل العشرات من علماء الدين في كربلاء لتوزيعهم رسالة تحث على الدفاع عن العراق بوجه "الكفار". وقد اخفق يوسف السويدي في تعزيز القوة العسكرية في بغداد بعرضه منح الرجال مبلغ ستة جنيهاً استرلينية شهرياً، غير ان رجال الدين الشيعة في النجف حالفهم التوفيق في مساعيهم لاثارة العشائر^(٣٠). وفي تموز، ثارت عشائر الفرات الاوسط على الانتداب البريطاني.

وخلال الثورة، التمس يوسف السويدي ومحمد حسن الصدر الحصول على تعهدات من العشائر لدعم حكومة محلية قامت بتشكيل وحدات ادارية في النجف ، وكربلاء، وبلدات محررة اخرى. ولم تنضم العشائر السنية إلى الثورة، إلى حدٍ ما بسبب رغبتها بالحصول على الاعانات المالية البريطانية

المتزايدة تزايداً سخيّاً المقدمة لزعمائهم العشائريين^(٣١). واقتصرت الثورة على حوالي ثلث البلاد واستمرت ثلاثة اشهر، مكبدة البريطانيين (٤٠) مليون جنيه استرليني و(٤٢٦) قتيلًا. وبلغت الخسائر العراقية ما يزيد على تسعة آلاف قتيل، حيث مثلت القوة الجوية البريطانية العامل الحاسم في انزال الهزيمة بالثورة.

ولتصميمهم على خفض تكاليف ادارة الشؤون العراقية وللحيلولة دون حدوث ثورة اخرى، اقام البريطانيون حكومة عربية، وجرى تنصيب فيصل، نجل الشريف حسين، ملكاً لها. وكان لكل وزير عربي في الحكومة الجديدة مستشار بريطاني حيث لم يكن بوسع الوزير اتخاذ أي اجراء دون الحصول على موافقة المستشار. وفي ما يتعلق باول انتخابات لتشكيل مجلس وطني، جرى ابلاغ المتصرفين (وهم حكام محليون) بان على كل مرشح الموافقة على ابرام معاهدة تعترف "بحقوق" البريطانيين في العراق^(٣٢)؛ ولذا فان تجربة العراق في مجال الديمقراطية قد شهدت استهلالاً غير ديمقراطي إلى حد ما.

وبمجرد ان اصبح فيصل مرشح البريطانيين لترأس حكومة لا تتمتع بالاستقلالية، فتر حماس العلماء الشيعة له. وتمثل الامر الذي اكد خيبة املهم فيه ان الادارة الحكومية لا تضم شيعياً من بين عشرة متصرفين، وخمسة وثلاثين قائممقاماً، وخمسة وثمانين مديراً، ولكن هذا الامر لا يسري على الوظائف في المدن المقدسة^(٣٣). وضمت المجموعة الاكثر نفوذاً في الحكومة الجديدة ضباطاً عراقيين كانوا يعملون في الجيش العثماني سابقاً هيمنوا على مجلس وزراء الملك فيصل. وشأنهم شأنه، كانوا سنة ينحدرون من بغداد ومن خلفيات متواضعة^(٣٤). وفضلاً عن الضباط السابقين في

الجيش العثماني، ضم أول مجلس للوزراء يهودياً واحداً تولى وزارة المالية، وبعد فترة من الضغط الشيعي، نيط بأحد الشيعة منصب وزير المعارف. أما البرلمان، الذي لم يكن يحوز على سلطة كبيرة، فقد هيمن عليه الشيوخ من مالكي الاراضي، وكان معظمهم من السنة.

وقد ارسل الملك فيصل في ١٩٢١ في طلب ساطع الحصري (١٨٨٠-١٩٦٨)، منظر القومية العربية العلمانية، للمجيء إلى بغداد. وفي العراق، اقام الحصري نظاماً تعليمياً سعى إلى غرس "المشاعر المطلوبة لتحقيق الوحدة العربية"^(٣٥) في نفوس الطلبة وكان الحصري ناقداً للمعلمين الذين يتبنون الطريقة الدينية التقليدية، وبوصفه مديراً عاماً للمعارف للفترة من ١٩٢٣ إلى ١٩٢٧، لم يتردد في استقدام المدرسين العرب من خارج العراق. وكان برنامجه المطبق في المدارس الحكومية الذي يهدف إلى تعزيز القومية العربية محط خلاف لدى العلماء الشيعة، وتمثل رد فعلهم في إبعاد المدارس الحكومية عن المناطق الشيعية، الامر الذي أضفى سمة الظلامية على سمعتهم. وعلى الرغم من ان القومية العربية تستند إلى لغة مشتركة بدلاً من العرق أو الدين ولا تستثني بالضرورة الشيعة العراقيين حتى وإن كانوا منحدرين من اصول غير عربية، فانها (أي القومية العربية - المترجم) علمانية النزعة وغير متوافقة مع الهوية الدينية التي مكنت الشيعة ولقروا من الحفاظ على التشيع في العراق.

وعلى النقيض من التشيع في ايران والتسنن في العراق، يندر ان يكون التشيع في العراق قد تلقى دعماً حكومياً. وقد تمخص هذا الامر فضلاً عن الفقر المدقع في ريف العراق عن نقص في عدد رجال الدين في المناطق الريفية. وعلى الرغم من ان بعض المراقبين قد افترضوا ان هذا النقص

يعني ان موقع الدين غير راسخ رسوخاً عميقاً لدى الفلاحين العراقيين، فان تعامل الفلاح مع الدين يُعد اكبر مما يوحى العدد القليل من رجال الدين الريفيين. وتقليدياً، يذهب الشيعة العراقيون إلى رجال الدين في المدن المقدسة، في مقابل قدوم رجال الدين اليهم في اريافهم لغرض الاقامة في المناطق غير الحضرية.

وقد لاحظ العديد من المراقبين وجود طاعة غير مألوفة يُظهرها الشيعة العراقيون لمجتهداتهم. فقد تعجب السير ارنولد ولسن، وهو مسؤول بريطاني في العراق للفترة من ١٩١٤ إلى ١٩٢١ والمندوب السامي للفترة من ١٩١٨ إلى ١٩٢٠، من النفوذ الكبير "للمجتهدين" المحافظين البارزين على الطائفة الشيعية. واورد توماس ليل، وهو مسؤول اداري بريطاني آخر في العراق في عشرينيات القرن العشرين، ان حياة الشيعة تخضع لتنظيم الشريعة الاسلامية تنظيمًا كاملاً، وفقاً لتفسير المجتهدين لها. ويتمتع السادة بالمكانة المبجلة وغالباً بالسلطة في القرى الشيعية. وكان الرجال الاتقياء من الناذرين أنفسهم لخدمة الدين ممن تخرجوا من الحوزات العلمية في النجف يقومون برحلات دورية إلى القرى الجنوبية، حيث كانوا يُقيمون في مضاف الشيوخ. ويقوم الشيوخ الريفيون باعطاء ما مقداره (٢٥%) من دخولهم إلى المؤسسات الدينية وإلى السادة، مقارنة بعشرين بالمئة من الاموال المنفقة على أسرهم^(٣٦). وقد اورد اج. دبليو. داوسن، وهو خبير زراعي درس السبل اللازمة لتحسين انتاج التمور في جنوبي العراق في مطلع عشرينيات القرن العشرين، ان المزارعين العراقيين لم يكونوا ورعين واتقياء ومنتظمين في اداء الفروض الدينية وحسب، بل انهم كانوا يقضون الساعات الطوال في مناقشة تفاصيل الامور الدينية^(٣٧).

وبوصفهم زعماء الطائفة الدينية، فقد كرس العلماء انفسهم تكريساً كبيراً للنهوض بمفهومهم لتحمل واجب القيادة. ورغم انزال الهزيمة بهم في ثورة ١٩٢٠، فقد واصلوا حملتهم للاستقلال عن حكم البريطانيين غير المسلمين. وفي نيسان ١٩٢٢، مع تولي مهدي الخالصي مجتهد الكاظمية لدور قيادي، عقد مائتاً وحيه شيعي مؤتمراً في كربلاء اتفقوا فيه على المطالب الآتية: (١) استقلالاً سياسياً كاملاً وليس صفة انتدابية، (٢) الدعوة الفورية إلى عقد مجلس وطني، (٣) ان يكون نصف اعضاء مجلس الوزراء من الشيعة، (٤) ان يكون نصف المسؤولين الحكوميين من الشيعة، و(٥) الجهاد للتصدي للوهابيين^(٣٨).

وفي تشرين الثاني ١٩٢٢ ومرة اخرى في حزيران ١٩٢٣، اصدر العلماء فتاوى تحظر الاشتراك في الانتخابات لاختيار مجلس تأسيسي للمصادقة على علاقة العراق الانتدابية مع بريطانيا^(٣٩). ورداً على الفتاوى، قام البريطانيون بنفي الشيخ مهدي الخالصي ونجله، الشيخ محمد الخالصي، فضلاً عن السيد محمد حسن الصدر، وجلّهم كاظميون (نسبة إلى مدينة الكاظمية). وقد افضى النفي بالمجتهدين المبجلين في كربلاء، آية الله محمد حسين النائيني (١٨٦٠-١٩٣٦) والسيد ابو الحسن الاصفهاني (المتوفى عام ١٩٤٥)، والعديد من العلماء البارزين الآخرين إلى مغادرة العراق إلى بلاد فارس^(٤٠). وفي طهران، أقام بعض العلماء العراقيين المنظمة العليا للمندوبين العراقيين، المعروفة بجمعية بين النهرين، للعمل من اجل استقلال العراق. ومهما يكن من أمر، فقد احكم البريطانيون سيطرتهم على العراق، وكان العلماء مجبرين على التوصل إلى تفاهم معهم انطلاقاً من هذه الحقيقة.

وقد قام بعض العلماء المنفيين بتوقيع تعهدات بعدم الخوض في السياسة، وبذا سمح البريطانيون لهم بالعودة إلى العراق في ١٩٢٤.

ومع تهميش دور العلماء الشيعة جراء حملات النفي وتعهداتهم بعدم الخوض في السياسة، أقامت الحكومة مديرية الاوقاف لإدارة أموال الصدقات التي كان يتولى العلماء إدارتها سابقاً. وثمة عدد متزايد من المسائل الخاصة بالأحوال الشخصية التي كان يجري التعامل معها سابقاً من خلال محاكم شرعية جرت إحالتها إلى محاكم مدنية. وقد تزايد عدد المدارس الخاضعة للتمويل الحكومي ولمناهج مقررة حكومياً توسعاً مطرداً. وللفترة بين ١٩٢١ و ١٩٣٠، تزايد عدد المدارس الحكومية الابتدائية والثانوية من (٨٤) مدرسة إلى (٣٠٦) مدرسة^(٤١)، وهي زيادة لم تكن كبيرة بسبب حجم البلد بل كانت زيادة باعثة على الشؤم بالنسبة للمدارس الدينية الإسلامية. وفي ١٩٢٩، أسست الحكومة مدرسة للأناث في النجف، في ابتعاد صريح عن التقاليد. وقد دفعت هذه التغييرات المختلفة العراق صوب الحداثة والعلمنة، وابدلت الخدمات الحكومية الخاصة بالوظائف المعنية بالرعاية فضلاً عن الوظائف القانونية والتعليمية محل الوظائف التي كان القيام بها موكولاً لرجال الدين.

وبعد فشلهم في هزيمة الانتداب في العراق، أوقف كبار المجتهدين، كآية الله محمد حسين النائيني، معارضتهم للحكومات^(٤٢). وفي المدن المقدسة، حيث يحتشد الشيعة، واصل رجال الدين الإبقاء على روابط لهم مع رجال العشائر والقرويين ممن يقومون بزيارات للأضرحة المقدسة، وكان المجتهدون في بعض الأحيان يدعمون الحكومة، فعلى سبيل المثال، ساندت

السلطات الدينية السنية والشيعية، في عام ١٩٢٤، انتقل الخلافة إلى الشريف حسين، وبذا وافقوا على تولي نجله، الملك فيصل، حكم العراق^(٤٣). ومن بين رجال الدين الشيعة، كان المرجع الاعلى مسؤولاً عن الحوزات العلمية في النجف؛ ففي مطلع عشرينيات القرن العشرين، كانت في النجف عشرون حوزة علمية تضم حوالي ستة آلاف طالباً. وينخرط الطلبة في الحوزات العلمية بعمر خمسة عشر عاماً تقريباً، ويواصلون الدراسة طبقاً لثلاثة مستويات: يتمثل المستوى الاول، الذي يقوم الطلبة في مرحلة التخرج بالقاء المحاضرات فيه، بالمقدمات، وفيه يتوجب على الطلبة الاجادة التامة للغة العربية. وفي المستوى الثاني، السطوح، يتولى التدريس فيه مجتهدون حديثو التخرج، وتتمثل الموضوعات التي يتم تدريسها في هذا المستوى بالفقه واصول الفقه. اما المستوى الثالث، مرحلة التخرج، فيتولى التدريس فيه المجتهدون البارزون ويتعامل هذا المستوى مع المعرفة المتخصصة التي يحتاجها كل طالب في كتابة بحثه. ولا يتضمن المنهاج الدراسي المعمول به في الحوزات العلمية العلوم الحديثة، وكان التدريس الديني مؤطراً بالخرافة^(٤٤). ويُنهي الطالب العادي دراسته في خمس عشرة سنة، مع ان وجود طلبة ممن يبلغون الاربعين من العمر يُعد امراً مألوفاً. ويحصل الطالب الناجح على إجازة (تحويل ان يكون مجتهداً) ويقوم العالم الذي يتولى رعايته بادخاله في جماعة العلماء. اما رجال الدين ممن يحصلون على درجة نجاح دنيا فبامكانهم البقاء كطلبة، وكسب المال بوساطة الصلاة على الموتى، أو بامكانهم العمل كمعلمين في القرى.

وكان الشيعة في فترة الانتداب منقسمين في الرأي السياسي. وتتمثل احدى وجهات النظر بموقف الحزب الوطني، الذي يدعم إعطاء الاولوية

للتعاون مع العراقيين السُّنة بغية التخلص من البريطانيين. وثمة وجهة نظر ثانية يمثلها حزب النهضة، تدعم الضغط على الحكومة السُّنية القائمة بغية حصول الشيعة على التمثيل والوظائف. وقد اعترف الملك فيصل، من جانبه، بعدم وجود امكانية لبلورة عراق مستقل وقابل للحياة ما لم يتم ادماج الشيعة في النظام، وقد عمل على ادخال الشيعة في الحكومة. وقد حافظ الملك على الاتصال بالطائفة الشيعية عبر رجل ارتباط شيعي خاص، السيد باقر احمد الحسني، المعروف لدى الطائفة الشيعية بباقر بلاط^(٤٥).

ومع تسلق الشيعة للسلام التعليمية والاقتصادية، بدأ التصاهر بين السُّنة والشيعة. فقد تبلورت بين العرب السُّنة العراقيين مشاعر بالافضلية، ناتجة عن قرون من تمتعهم بالمزايا السياسية والاقتصادية، بيد ان العداء بين الطوائف العراقية كان طفيفاً. ولم تحول الخلافات المذهبية دون حدوث تصاهر^(٤٦).

وسياساً، كان التجنيد واحداً من اكثر القضايا الخلافية بين الحكومة والشيعة. فقد اعتقد الملك فيصل وضباطه العثمانيون السابقون ان وجود جيش قوي يُعد امراً ضرورياً لنيل الاستقلال^(٤٧)، وان التجنيد يعد الوسيلة الضرورية لوجود جيش قوي. ومع ذلك، كان التجنيد محط خلاف عنيف من جانب الشيعة والاكراد لادراكهما بانهما سيكونان جنوداً عاديين يعملون بأمر الضباط العرب السُّنة. وقد اتخذ البريطانيون موقفاً مفاده ان بإمكان الحكومة فرض التجنيد دون مساعدة بريطانية - وهذا بالتأكيد ما لم يكن باستطاعتها.

وطوال فترة الانتداب، عكست ممارسات الحكومة ضيق قاعدة دعمها ضمن البلاد. فمراراً ما تطلبت الحاجة استخدام الطائرات البريطانية، التي

كان لها القدرة على المراقبة والهجوم من الجو، لوضع العشائر المتمردة قيد السيطرة وارغامها على دفع الضرائب وكان الانتخابات تخضع على الدوام للتلاعب من جانب الحكومة. ويندر ان يتم السماح لمرشح ثانٍ بالحصول على المقعد. وجرى تشكيل العديد من "الاحزاب السياسية"، بيد ان نشاطاتها تمحورت حول شخصيات الوجهاء فضلاً عن افتقارها للتنظيم على المستوى المحلي.

وعلى الرغم من ان معظم العراقيين بقوا بحالة فقر مدقع، فقد تحقق تقدم مادي خلال فترة الانتداب. ولحصول بعض التحسن في مستوى المعيشة، فقد تضاعف عدد السكان على نحو طفيف للفترة من ١٩٠٥ إلى ١٩٤٧. وقد انخرط الشيعة في الحكومة طالما انها لم تكن تعمل في ظل العثمانيين. فقد ضم البرلمان العراقي لعام ١٩٢٨ ستة وعشرين شيعياً من بين اعضائه البالغ عددهم ثمانية وثمانين عضواً، في حين لم ينضم الشيعة إلى البرلمان العثماني.

وفي عام ١٩٣٠، وبوصفها شرطاً للحصول على الاستقلال، اقدمت الحكومة على توقيع معاهدة تحالف مع بريطانيا امدها خمسة وعشرين عاماً. وفي ١٩٣٢ جرى قبول العراق في عصبة الامم بوصفه دولة مستقلة. وقد تواصل النفوذ البريطاني بوجود القوة الجوية الملكية، وبوجود مستشارين بريطانيين لكل وزارة حكومية، ومن خلال السيطرة البريطانية على شركة نفط العراق، وهو (أي النفط - المترجم) المصدر الرئيس لعوائد الحكومة. ومع ذلك، ففي ما عدا الامور التي لا تتعارض مع المصالح البريطانية، كان بمقدور النخبة السياسية العراقية تحديد النتائج. ولذا، حين اوصى السير اميست داوسن، وهو خبير اراضٍ بريطاني، ان اصلاح

الأراضي هو السبيل الوحيد للحد من الفقر المدقع في الريف، فقد حال نفوذ مالكي الأراضي في الحكومة العراقية دون الأخذ بتوصيته.

وفي عام ١٩٣٣ توفي الملك فيصل، وبغياب لمستته التوفيقية، تنامت الصراعات تنامياً حاداً. وقد اجازت الحكومة قراراً يمنع الفلاحين من الانتقال من مزرعة إلى أخرى إذا كان بذمتهم دين — وفعلياً كان جميع الفلاحين مدينين. وقد تدنى الانتاج الزراعي، إلى حد ما بسبب تهرب الفلاحين من هذه العبودية الجديدة عن طريق لجوئهم إلى الهرب صوب المدن.

وفي عام ١٩٣٤ جرى إقرار قانون التجنيد، الأمر الذي أفضى إلى تضاعف حجم الجيش للفترة بين ١٩٣٢ و ١٩٣٦^(٤٨). وفي الكلية العسكرية تعلم الطلبة ان اتاتورك وشاه ايران كانا قد تخلصا من السيطرة الاجنبية بوساطة جيشيهما، ومغزى الرسالة ان على العراق ان يحذو حذوهما. وقد عملت النخبة السياسية والعسكرية معاً للحيلولة دون قيام الطبقة الوسطى المنبثقة وحزب الآخاء الاصلاحى، الذي يضم سنة وشيعة، من شق صفوف الحكومة.

وطوال عام ١٩٣٥ شهدت المناطق الريفية احتجاجات متفرقة على كبار مالكي الأراضي وقانون التجنيد. وتمثلت مطالب الشيعة في الحصول على تمثيل برلماني يتناسب ونسبتهم السكانية، وإقامة انتخابات حرة، وحرية الصحافة وضرائب مخففة^(٤٩). وفي ١٩٣٥ و ١٩٣٦، ثارت عشائر الفرات الاوسط مرة اخرى، وإن كانت الثورة هذه المرة اقل حجماً في مداها مما حدث عام ١٩٢٠. وفي هذه المرة فان جنرالاً (فريقاً) عراقياً، الكردي بكر صدقي، هو الذي اصدر اوامراً للطائرات لقصف العشائر.

وقد احجم العلماء عن معارضة الحكومة وكان البلد مستقلاً اسماً، وكانت الملكية الهاشمية موافقة للمعايير المتعلقة بالحكم الشرعي. وكان اللاعنف منسجماً مع نزعة الشيعة التقليدية بالاذعان لأية حكومة تعترف اعترافاً رسمياً بالشرعية الإسلامية ولا تتدخل في عمل المؤسسات الاجتماعية الإسلامية. وقد حصل آية الله ابو الحسن الاصفهاني، وهو المجتهد الاعلى في النجف، على الأطرء لابتعاده عن السياسة ولبرنامج المعتمد الرامي إلى مساعدة الفقراء. وقد حفز رفضه للسماح بادخال تغييرات على منهاج الحوزات العلمية حين كان مجتهداً اعلى على تبني العلمنة إذ انه شجع حتى الأسر الشيعية المحافظة على ارسال ابنائها إلى المدارس العلمانية، حيث كان بإمكانهم حيازة المهارات الضرورية للطبقة الوسطى الحديثة. وظهر بين صفوف المؤسسة الدينية من يؤيد بلورة تعليم ديني حديث بغية التنافس مع مدارس الحكومة^(٥٠)، ولكن الأطر المغالية في تقليديتها هي التي سادت.

ان الالتزام الصارم بالممارسات الدينية والاجتماعية القديمة جعلت العلماء اقل فائدة بنظر المجتمع، وحتى وظائفهم الدينية اصابها الضعف بعد التوسع في معرفة القراءة والكتابة الامر الذي جعل قراءة القرآن وتفسيره متاحين امام الناس ممن كانوا يعتمدون في السابق على مساعدة رجال الدين لهم في ذلك. وبين الشباب المثقف، تناقص نفوذ المؤسسة الدينية الشيعية مع ظهور ايديولوجيات جديدة كالقومية العربية والشيوعية التي انتشرت في المناطق الحضرية. وقد اظهر الحزب الشيوعي العراقي نجاحاً في كسب الاعضاء من الطائفة الشيعية، بل أنه جذب الشباب المنحدرين من أسر دينية بارزة. وفضلاً عن ذلك، قام رؤساء الأسر العشائرية المالكة للاراضي

المنخرطين في السلطة التشريعية علاوة على الشيعة من ذوي التعليم الحديث بمنافسة العلماء على زعامة الطائفة الشيعية^(٥١).

وفي عام ١٩٤٨، أصر البريطانيون على قيام الحكومة العراقية بإبرام معاهدة بورتسموث التي تُوسع أمد معاهدة الدفاع العراقية المبرمة في ١٩٣٠ مع بريطانيا. وأملاً في نيل دعم الشيعة للمعاهدة، التي تضمن بقاء القواعد العسكرية البريطانية في العراق، جرى تعيين أول رئيس وزراء شيعي في العراق: صالح جبر. ولم تكن هذه الحيلة ناجعة فلا صالح جبر ولا ثاني رئيس وزراء شيعي، السيد محمد حسن الصدر، تمكنا من جعل المعاهدة محط قبول العراقيين. وبعد تظاهرات أثمرت بالعنف احتجاجاً على المعاهدة، اضطرت الحكومة في نهاية المطاف إلى التراجع عن إبرام المعاهدة.

وعندما أعلن عن قيام دولة إسرائيل في ١٩٤٨، اضطرت الحكومة العراقية إلى إعلان الأحكام العرفية. وعلى الرغم من أن الوضع في فلسطين لم يحظَ قط باهتمام الشيعة على النقيض من القوميين السنة، فإن الشيعة والسنة على حد سواء كانوا منزعين من فقدان أرض تُعد جزءاً عزيزاً من أجزاء الأمة الإسلامية لقرون. وقد أرسلت قوات عراقية لمساعدة الجيش العربي الاردني في فلسطين بيد أن هذه القوات فشلت في إحداث تغيير في الموقف. وقد انعكس فقدان فلسطين انعكاساً سلبياً على الأسرة الهاشمية، التي حكمت العراق والاردن، وأضعفت الثقة بالمؤسسة السياسية العراقية عموماً. وقد توصل العديد من العراقيين إلى الاستنتاج بأن تحالف العراق مع بريطانيا لا فائدة تُرجى منه حين كان لهذه المسألة أهميتها في العراق.

وبعد وفاة آية الله الاصفهاني، انتقلت المرجعية الدينية الشيعية إلى السيد محمد بروجردي، الذي كان يُقيم في مدينة قم الايرانية. وبغية ضمان استمرار إجماع العلماء عن التدخل في السياسة، دعا آية الله البروجردي إلى عقد مؤتمر في قم تبنى إصدار حظر على مشاركة العلماء في النشاط السياسي والاتفاق على سحب الصفة الدينية عن المخالفين لهذا الحظر^(٥٢).

ومهما يكن من أمر، فإن السياسة تتداخل مع الدين لدى بعض العامة؛ ففي مطلع خمسينيات القرن العشرين، لاحظ المراقبون ان الشباب العراقيين كانوا يعبرون عن عدائهم لبريطانيا بخاصة وللغرب بعامة بتأكيدهم النابع من وعي ذاتي للهوية الاسلامية^(٥٣). وكانت حركة الاخوان المسلمون، التي اظهرت في العراق اهتماماً بالحساسيات الشيعية، ضاربة الجذور بين العرب السنة الموصليين (نسبة إلى مدينة الموصل - المترجم). وكان ثمة حزب اصولي سني يرتبط بالاخوان المسلمين، وهو حزب التحرير الاسلامي، الذي يسعى إلى إقامة دولة اسلامية وحدوية وينشر ادبيات معادية للشيعية وللحكومة العراقية.

وكان الشيخ عبدالعزيز البدري (المتوفى عام ١٩٦٩)، الذي طور علاقات عملية وثيقة برجال الدين الشيعية، من ابرز قادة حزب التحرير الاسلامي العراقيين^(٥٤).

وحيث ان الانتخابات البرلمانية تُقدم في العادة مرشحاً واحداً للمصوتين، وهو مرشح يحظى بدعم الحكومة، فقد كانت تظاهرات الشارع واسطة رئيسة يُعبر من خلالها الناس عن معارضتهم السياسية. وفي تشرين الثاني ١٩٥٢ اشعلت المعارضة السياسية اوار الانتفاضة (انتفاضة سلمية) في

الشوارع. وتلا هذه الانتفاضة في ١٩٥٣ تنظيم اضرابات لعمال النفط، والنقل، والسكائن.

واعتقاداً منها ان الشيوعيين يقومون بتنظيم المعارضة السياسية، سعت الحكومة إلى تعبئة العلماء ضد الشيوعية؛ فقد زار السفير البريطاني النجف في السادس من تشرين الاول، ١٩٥٣، للقاء المرجع الشيعي العراقي الاعلى، محمد حسين كاشف الغطاء. وقد اتفق الاثنان على ضرورة توحيد الجهود لمحاربة الشيوعية^(٥٥)؛ فالقرآن يأمر المسلمين "قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر" (سورة التوبة، آية ٢٩)، وهو أمر إلهي يبدو انه ينطبق على الشيوعيين، مع ان بعض الشيوعيين العراقيين لم يكونوا متناقضين ايدولوجياً بما يكفي ليكونوا مسلمين مؤمنين. وقد سلط سيد قطب (١٩٠٦-١٩٦٦)، وهو المنظر الايدولوجي لحركة الاخوان المسلمين المصرية، الضوء في عقد مضى على خطر الشيوعية: قد نسلك طريقاً إسلامياً، أو قد نسلك طريقاً شيوعياً، وفي نهاية المطاف علينا ان نختار حتماً طريقاً من هذين الطريقين. وهناك ايضاً الاوربيون والامريكيون؛ قد نتبنى انظمتهم الاجتماعية ونختارها مفضلين إياها على نظامنا الاجتماعي الاسلامي. غير ان هذه الانظمة تلتقي في النهاية مع الشيوعية، خلال فترة قصيرة كانت أم طويلة، لأن مبادئها تلتقي بطبيعتها مع المبادئ الشيوعية، وفلسفتها للحياة هي ذات الفلسفة الشيوعية، واية اختلافات تعد سطحية وليست جوهرية^(٥٦).

وقد اعاد البريطانيون إلى العراق المجتهد الضرير، الشيخ محمد الخالصي، الذي نشر في عام ١٩٥١، من منفاه في ايران، تنفيذاً متقدماً للنقد

الشيوعي للدين. وفي العراق، حافظ الشيخ الخالصي على سمعته كونه معادياً عنيداً للشيوعية^(٥٧).

وكان المجتمع الريفي في خمسينيات القرن العشرين خاضعاً لنظام "الخير والشر المطلقين" مع التحلي بالورع الضروري لاكتساب سمعة طيبة^(٥٨). وكان القرويون الجنوبيون ورجال العشائر تواقين لزيارة النجف وكربلاء ودفن موتاهم في النجف. وفي عاشوراء (العاشر من شهر محرم المصادف للذكرى السنوية لمقتل الحسين "عليه السلام - المترجم") ، وفي كل عام، يقوم القرويون بجمع الاموال بغية إرسال بعض من رجالهم إلى كربلاء للمشاركة في مراسيم التعزية، التي تُقام بمناسبة اربعينية استشهاد الإمام الحسين (عليه السلام - المترجم). وخلال رمضان (شهر الصيام) ومحرم، تُقام القراءات الدينية في المساجد المحلية، المبنية في الغالب من الطابوق الطيني التي يصعب تمييزها عن صرائف الفلاحين. وتقوم النسوة الملالي، اللاتي يتكسبن من معرفتهنّ بالقرآن والتراث الإسلامي ويحظينّ باحترام كبير، بتلاوة القراءات للنساء في البيوت الخاصة^(٥٩). وظل عدد رجال الدين المؤهلين تأهيلاً كاملاً قليلاً في المناطق الريفية، الامر الذي يؤثر في عمق معرفة الفلاح بالإسلام ولكنه لا يؤثر في درجة الالتزام.

وعلى الرغم من الحظر الذي فرضته الحكومة في ١٩٥٤ على الاحزاب السياسية، فقد تواصلت المعارضة السياسية في بغداد. وقد حظيت فكرة وجود أمة عربية، متحررة من السيطرة الاجنبية، بشعور حماسي بين الطلبة والمتقنين العراقيين. وقد أسهمت المشاركة البريطانية في الهجوم على قناة السويس في ١٩٥٦ باهتزاز صورة الحكومة العراقية، ووصف موقفها بالمنحاز إلى البريطانيين. وقد اندلعت تظاهرات لحشود كبيرة وغاضبة في

بغداد، والنجف، والموصل فضلاً عن تظاهرات أقل حجماً في الكويت، والسماوة، وكركوك، وتمثل الدليل في فقدان العلماء لسلطتهم في ضعف تأثيرهم حتى على المقيمين في المدن المقدسة في التهجم عليهم (أي على العلماء - المترجم) حين وافقوا على طلب الحكومة بتهدة المتظاهرين حيث اكتشفوا أنهم غير قادرين على ذلك. ويوماً بعد يوم، عادت الحشود إلى شوارع النجف ومدن أخرى للاحتجاج على الهجوم على مصر.

ولمواجهة المعارضة الواسعة النطاق، سعت النخبة الحاكمة إلى بلورة صورة تقدمية. وكان تأسيس جامعة بغداد في ١٩٥٧ والتعديلات الدستورية في اذار ١٩٥٨ التي منحت المرأة الحائزة على شهادة الدراسة الابتدائية في الأقل حقوقاً سياسية كاملة من بين الخطوات التي تم اتخاذها بهذا الصدد. وهذه الاجراءات التي تُرضي البعض تُعد غير كافية بنظر البعض الآخر ومثيرة لغضب ذوي النزعة التقليدية. وبعد اشهر من القيام بهذه التطورات، وتحديداً في الرابع عشر من تموز، ١٩٥٨، اطاح انقلاب عسكري بالحكومة العراقية. وفي ما عدا مقاومة طفيفة في منزل رئيس الوزراء نوري السعيد، لم يحاول احد الدفاع عن النظام الملكي الذي نصبه البريطانيون.

الخاتمة

بات العراق اقليماً مقسماً من الناحية الدينية بسبب الخلافات السياسية بين فاتحيه المسلمين في القرن السابع الميلادي؛ فالمنطقة الريفية، التي تضم اغلبية السكان، اصبحت شيعية، في حين ان الطبقة الحاكمة، المقيمة في المدن، كانت سنية. ولقرون، كان خلالها المدى الذي تستطيع الحكومة بوساطته بسط سلطانها على اقاليمها مقيداً جراء الافتقار للتكنولوجيا

والامكانية المالية، وكان التفاعل بين الطوائف في ادنى حالاته جراء التوزيع السكاني وبدائية وسائط النقل، الامر الذي قلل من حجم الخلاف بين الطوائف. وقد حافظت الطائفة السنيّة على موقعها من خلال إقامة روابط مع الحكومات المختلفة، اما الشيعة، فرغم فقرهم المدقع كمجموعة، فقد حافظوا على ايمان راسخ وحس بالجماعة من خلال سطوة التراث الخاص بهم والاتصال الذي تقوم به كل طائفة محلية مع المدن الشيعية المقدسة.

وبعد ان احتل البريطانيون العراق خلال الحرب العالمية الاولى، تعاون علماء الطائفتان الدينيتان مع بعضهم البعض ومع القوميين العرب في محاولة لتخليص العراق من السيطرة الاجنبية. وكانت الحكومة التي تشكلت في نهاية الامر بجهود من البريطانيين قومية عربية علمانية تتألف حصراً من الحضريين السنّة تقريباً؛ ولكن حال حصولها على الاستقلال، قامت بتلبية متطلبات العلماء الشيعة الخاصة بالحكومة الشرعية لأنّ من يتزعمها مسلم مواظب على اداء الفرائض الدينية منحدر من نسل النبي محمد (عليه الصلاة والسلام - المترجم).

وقد شهدت السنوات الاربعون ونيف من الهيمنة البريطانية على العراق تغييرات واسعة في بنية المجتمع العراقي؛ فقد تضاعف عدد السكان، مرتفعاً مما يقل عن الثلاثة ملايين نسمة حين دخل البريطانيون البلد إلى (٦,٣٣٩,٩٦٠) في ١٩٥٧^(٦٠). وقد دفعت السياسات الحكومية والفقر المدقع في المناطق الريفية اعداداً كبيرة من الفلاحين إلى الهجرة إلى المدن، حيث تجمعوا في احياء فقيرة كحالة مؤقتة. وقد انتقل الشيوخ العشائريون، ايضاً، للعيش في المدن، حيث وجّهوا ابناءهم للانخراط في المهن. وتطورت الامكانات الحكومية مع تزايد عدد المتقنين علاوة على الدخل النفطي. وقد

وسَّع نمو التعليم والخدمات الحكومية من حجم الطبقة الوسطى الحديثة وقلل من الوظائف الموكول القيام بها إلى العلماء. وقد حجم التعليم والتحضر المتزايدين من الضيق في أفق التفكير فضلاً عن الانتصار الذي احرزته الايديولوجية القومية العربية العلمانية في العالم الناطق بالعربية اجمالاً، الامر الذي اسهم في تدني تأثير الدين وعدد المتدينين. وقد تطورت الحركة الاسلامية العراقية في هذا السياق المؤطر بالتغيير الاجتماعي والهيّاج السياسي.

الهوامش

١. لا ازعم أنني أقدم تاريخاً للعراق؛ فهدف هذا الفصل ينصب في شرح الخلفية الدينية والسياسية للشيعية العراقيين.
٢. ان تقدير عدد السكان في العراق البالغ (١٨) مليون نسمة يُعد التقدير المقبول قبولاً واسعاً في الغرب ويشمل على الأرجح المصريين والوافدين الآخرين. وبلغ عدد السكان في العراق (١٣,٢١٤,٠٠٠) مليون نسمة طبقاً للخلاصة الاحصائية السنوية لعام ١٩٨٤، ص ٤٨ (الوارد في فاروق سلاغيت وسلاغيت، العراق منذ ١٩٥٨، ص ٢٤٦). ان الحكومة العراقية لم تقم بنشر الارقام الخاصة بعدد السكان في ثمانينيات القرن العشرين.
٣. ان تفاصيل التاريخ القديم مستمدة من موروني، العراق بعد الفتح الاسلامي.
٤. بما ان الصيغة المفردة شيعي (Shia) قد دخلت اللغة الانكليزية، فان صيغة الجمع شيعية (Shi'as) قد اكتسبت الصفة الانكليزية في هذه الدراسة.
٥. ايجازاً، للحصول على رواية غنية بالمعلومات المفيدة للتطور التاريخي للنشيع، انظر هودجسون، "كيف أصبح قدماء الشيعة طائفين؟" ص ١-١٣. وقد اعتمدتُ اعتماداً رئيساً على شعبان، التاريخ الإسلامي، لتغطية الجوانب الاقتصادية لتاريخ الشيعة القديم.
٦. في سنة كذا للهجرة، هي السنة التي تلت هجرة محمد (عليه الصلاة والسلام - المترجم) من مكة إلى المدينة، التي حدثت في ٦٢٢ ميلادية.

ومحرم هو الشهر الاول في التقويم الإسلامي، الذي، كونه قمرياً، يحتوي على (١٢) شهراً وكل شهر يتألف من (٢٩) أو (٣٠) يوماً، ويبلغ اجمالي عدد الايام (٣٥٤) يوماً.

٧. كان الولاء البويهي للخليفة السنّي يدل على حصافة لأنّ أي موقف عدا ذلك سيُثير العداء السنّي. وكان هذا الولاء شكلياً لأنّ الخليفة لم يكن بوضعٍ يسمح له بممارسة سيطرة سياسية على البويهيين. للحصول على وصف جذاب للمجتمع البويهي، انظر موتاهيدا، الولاء والزعامة في مجتمع إسلامي قديم.

٨. نيووينهوس، بواكير العراق الحديث، ص ١.

٩. يُطلق على الاغلبية المسلمة غير الشيعية منذ ذلك الوقت (السنة).

١٠. ايسبوسيتو، الإسلام، ص ٦٤ - ٦٥.

١١. نيووينهوس، بواكير العراق الحديث، ص ١٩٥ ن.

١٢. يُعد كتاب لونكريك، "اربعة قرون من تاريخ العراق"، المصدر الاساس لتاريخ العراق خلال الفترة العثمانية.

١٣. مالت النخب السياسية والاقتصادية إلى الانقطاع بسبب الممارسات العثمانية للنقل المتكرر للسلطة السياسية ومصادرة الممتلكات.

١٤. وليد خدوري، "الخلفية الاجتماعية"، ص ٢٦٩.

١٥. ان استخدام كلمة "شيخ" للدلالة على زعماء العشائر ورجال الدين يعكس المعنى الجذري للكلمة، "السيد المبجل المسن" وفي السنوات الاخيرة، باتت كلمة (الشيخ) تدل على اللقب المؤلف الذي يُطلق على رجال الدين الشيعة فضلاً عن رجال الدين السنة.

١٦. كانت نيبوهر الناجي الوحيد من بعثة علمية ارسلها ملك الدنمارك في ١٧٦٠ إلى العالم العربي.
١٧. كان تمديد الخدمة العسكرية في الجيش التركي لأكثر من الفترة القانونية البالغة ثلاث سنوات أمراً شائعاً وكانت تُفُضي على الأرجح إلى قبر في اليمن أو جنوب شرقي اوربا، كما لاحظ لونكريك، العراق، ١٩٠٠-١٩٥٠، ص ٣٨.
١٨. وليد خدوري، "الخلفية الاجتماعية"، ص ٧٢.
١٩. ثمة عضو بارز في المؤسسة الدينية السُنية، عبدالرحمن الكيلاني، أصبح لاحقاً أول رئيس وزراء للعراق. وثمة عضو آخر من الأسرة نفسها، رشيد عالي الكيلاني، أصبح رئيساً للوزراء في ١٩٤١.
٢٠. ان تفاصيل التاريخ الاقتصادي مُستقاة من عيساوي، التاريخ الاقتصادي للشرق الأوسط.
٢١. يقابل كلمة الجهاد في اللغة الانكليزية (Struggle) وبالإمكان استخدامها للدلالة على الجهاد ضد الشر في المجتمع والروح الفردية. وفي هذه القضية، دعا العلماء إلى جهاد عسكري ضد الغزاة.
٢٢. النفيسي، "دور الشاه"، ص ١٤١.
٢٣. فوستر، العراق، ص ٦٦.
٢٤. من ضمن المصادر المستخدمة للتاريخ الشيعي في القرن العشرين انظر هالدين، العصيان في بلاد وادي الرافدين، ١٩٢٠، بيل، رسائل المس جيروتروديبل، الكتاب الثاني؛ ايرلند، العراق، بيركوني، جيروتروديبل؛ سلاغيت، بريطانيا في العراق؛ وبطاطو، الطبقات الاجتماعية القديمة.

٢٥. ساجيدينا، المهدوية الإسلامية، ص ١٣٦.
٢٦. فينو غرادوف، "ثورة ١٩٢٠ في العراق"، ص ١٣٥-١٣٦.
٢٧. مقتبس في النفيسي، "دور الشيعة"، ص ١٩٧.
٢٨. المصدر السابق، ص ٢٠١. ان الدعوة لاقامة حكومة اسلامية دستورية يترأسها ملك لم تكن تمثل انحرافاً في موقع العلماء؛ فالدستور الايراني، الصادر عام ١٩٠٧، الذي لقي دعم العديد من العلماء الشيعة، ينص على وجود حكومة مقيدة بدستور وبسلطة العلماء للاشراف على السياسات التشريعية والحكومية.
٢٩. الترجمة الحرفية لأبي التمن هي "Father of rice"، وهو اسم للعائلة لأنهم كانوا تجار رز على نطاق واسع. وكلمة (ابو) التي تتطوي على دلالة مهمة تُستخدم مراراً لتعريف شخص أو أسرة في العراق.
٣٠. جيروترو دبيل، وهي من العاملين في الجهاز الاداري البريطاني في العراق قبل ثورة العشرين وبعدها، تقدم امثلة متعددة لتعاون علماء دين سُنّة واطيء المنزلة مع علماء دين شيعة. وهي تميط اللثام ايضاً عن اختيار البريطانيين لعالم دين سُنّي رفيع المستوى. انظر بيل، رسائل جيروترو دبيل، الكتاب الثاني؛ بيرجوني، جيروترو دبيل. للحصول على وصف في اللغة الانكليزية للنشاط السياسي للعلماء الشيعة العراقيين، انظر هايري، التشيع.
٣١. النفيسي، "دور الشاه"، ص ٢٤٢. ارتفعت الاعانات المادية البريطانية المقدمة إلى الدليم، وهي عشيرة سنية كبيرة في اعالي الفرات، من (٣,٧٥٠) جنيه استرليني في ١٩١٩ إلى (٢١,٠٠٠) جنيه استرليني في ١٩٢٠.

٣٢. الادهمي، "انتخابات المجلس التأسيسي"، ص ١٨.

٣٣. مار، تاريخ العراق المعاصر، ص ٤٥.

٣٤. "انتقال القيادة السياسية العراقية"، ص ٦٣-٨٧. كانت بغداد تحوز على واحدة من المدارس العسكرية القلائل في الولايات العثمانية. وتوفر هذه المدرسة فرصة غير متوافرة لمعظم العرب في الامبراطورية العثمانية. وكان الحائزون على هذه الفرصة منحدرين من بغداد عموماً لأنها ليست مدرسة داخلية، وهم على العموم منحدرين من أسر متواضعة لأن للآثرياء العراقيين خيارات أخرى لمستقبل ابنائهم.

٣٥. كليفلاند، تكوين قومي عربي، ص ١٣.

٣٦. ان المعلومات الخاصة بنفقات الشيوخ الريفيين مستقاة من وليد خدوري، "الخلفية الاجتماعية"، ص ١٢٨. بالنسبة للملاحظات الخاصة بغير العراقيين حول الطائفة الشيعية لهذه الفترة، انظر ارنولد ولسن، "بلاد وادي الرافدين، ١٩١٤-١٩٢١"، ص ١٤٤-١٦١، وليل، بلاد وادي الرافدين.

٣٧. داوسن، "مزارعو النخيل في البصرة"، ص ٢٤٧-٢٦٠.

٣٨. سلاغيت، بريطانيا في العراق، ص ٣٠٦. ان الطلب الخامس، الجهاد، موجه للتصدي إلى تهديد اتباع محمد بن عبد الوهاب في الجزيرة العربية؛ فمحمد بن عبد الوهاب والوهابيون، أو الاخوان كما يدعون أنفسهم، يسعون إلى تنقية الإسلام من البدع. وقد نهب مقاتلو الصحراء الضواري كربلاء في ١٨٠١، حيث اوقعوا خسائر كبيرة في الارواح. ومجدداً في ١٩٢٢ كانوا يهددون المناطق الشيعية في العراق.

٣٩. تُعد الفتوى ملزمة لاتباع المجتهد الذي يُصدرها. وفي حملة متضامنة لرجال الدين، اصدر عدد من المجتهدين الفتوى نفسها.

٤٠. كان كبار رجال الدين الشيعة ينقلون مواقع اقامتهم من العراق إلى ايران وبالعكس حسب الخلافات بينهم وبين الحكومتين العراقية والايروانية.

٤١. فوستر، العراق، ص ٢٦.

٤٢. كان آية الله النائيني وعدد من المجتهدين الآخرين قد ايدوا الحركة الدستورية (١٩٠٥-١٩١١) في ايران فضلاً عن الحركة المعادية للبريطانيين في العراق ولكنهم تعرضوا لخيبة امل بهذين الجهدين. هايري، التشيع، ص ١٢٦.

٤٣. مجيد خدوري، حرب الخليج، ص ٥٢.

٤٤. التفاصيل الخاصة بالحوزات العلمية الشيعية مستقاة من الجمالي، "الحوزات العلمية الدينية في النجف"، ص ١٥-٢٢، ومن ليل، بلاد وادي الرافدين، ومن مومين، الاسلام الشيعي، ص ٢٠٠-٢٠٣.

٤٥. يُطلق بطاطو على السيد باقر تسمية السيد باقر واحد العين ويطلق سلاغيت في كتابه، "بريطانيا في العراق"، ص ٧٨ تسمية السيد باقر ابن السيد احمد باقر العين. والسبب الذي يكمن وراء هذه التسمية يعود إلى ان احدى عيني السيد احمد كانت ضريرة.

٤٦. يختلف الباحثون حول اهمية الخلافات الدينية بين السنة والشيعة، وكان عباس الكلدار وحامد الغار من بين من بلوروا اعتقاداً بأن الخلافات بينهما طفيفة، كما ورد في كتاب عباس كليدار، "الطائفة الشيعية الامامية"، ث ٣، وكتاب حامد الغار، "جذور الثورة الاسلامية"، ص ٥٥-

٥٧. وثمة اتفاق عام بأن الخلاف الأهم يكمن في المبدأ الشيعي الخاص بالامامة، وهو الاعتقاد بأن الله يهب البشر على الدوام قائداً معصوماً لإدارة شؤونهم. وطبقاً للمفهوم الشيعي الخاص بالحكام الشرعيين الذين تخولهم سلطتهم الدينية الإشراف على السلطة السياسية والمفهوم السنّي للخلافة، التي تمنح السلطة الدينية للحكام السياسيين، فمن الممكن نظرياً وجود خليفة سنّي يتنافس مع إمام شيعي لحيازة الحق بالخلافة السياسية والدينية للنبي (عليه الصلاة والسلام - المترجم) وفي حقيقة الأمر، فلا السنّة ولا الشيعة يحوزون على مرشح مناسب يكون خليفة للنبي (عليه الصلاة والسلام - المترجم)، ولذا فإن الباحثين كحامد الغار يعتقدون أن هذا الخلاف وهو الأكثر أهمية من كل الخلافات الأخرى يعد إلى حد كبير غير ذي قيمة عملية.

٤٧. أخبر ونستون تشرشل فيصل في مؤتمر القاهرة المنعقد عام ١٩٢١ أنه سيكون ملكاً يتمتع بالسيادة الكاملة حين يحافظ على السلم والنظام من دون الحاجة إلى طلب مساعدة. غليمان، السياسية البريطانية في العالم العربي، ص ١٦٣.

٤٨. هيمفل، "تكوين جيش عراقي، ١٩٢١-١٩٣٣"، ص ٨٨-١١٠.

٤٩. مجيد خدوري، العراق المستقل، ص ٥٥.

٥٠. كان الشيخ محمد رضا المظفر، المسؤول عن تأسيس كلية الفقه في النجف عام ١٩٣٦، من بين المؤيدين لقيام إصلاح تعليمي، الأصفي، "محمد رضا المظفر"، ص ٨٣-٨٦.

٥١. اكمل أول خريج كلية شيعي، سعد طالب، تعليمه في كلية الحقوق في بغداد في ١٩٢١. وليد خدوري، "الخلفية الاجتماعية"، ص ٢٨٦.

٥٢. حضر المؤتمر نحو (٢٠٠٠) رجل دين. فضمن ايرن، لم يكن آية الله بروجردي قادراً قط على الحيلولة دون انخراط آية الله كاشاني في النشاط السياسي، إلا ان رجال الدين العراقيين الرفيعي المستوى امتثلوا للحظر.

٥٣. هاريس، العراق، ص ٨٨.

٥٤. ان المعلومات الخاصة بحزب التحرير الاسلامي في العراق مستقاة من الاديب، "التغيير الاجتماعي" تأسس حزب التحرير في الضفة الغربية على يد عالم دين فلسطيني، وهو أحمد تقي الدين النبهاني، بحدود عام ١٩٥١. ويؤمن اعضاء حزب التحرير ان دولة اسلامية وحدوية سيكون بمقدورها تحرير فلسطين. ويدعو برنامج الحزب إلى انتخاب حاكم (خليفة - المترجم)، بيد ان زعمائه ايدوا استخدام العنف إلى حد يكون فيه هذا الاستخدام "ضرورياً" لتأسيس مجتمع يركز على المبادئ الاسلامية. وفي ١٩٥٢ رفض الاردن السماح لحزب التحرير بالعمل وفق الضوابط القانونية ضمن الاراضي الاردنية. ساهلية، "الضفة الغربية وقطاع غزة"، ص ٨٨-١٠٠.

٥٥. يورد بطاطو، الطبقات الاجتماعية القديمة، ص ٦٩٤، ان السفير تراوتباك زار النجف للقاء آية الله كاشف الغطاء. وقد نوقش هذا الاجتماع ببعض التفصيل في ابي مالك، "القضية العراقية"، ص ٨.

٥٦. العدالة الاجتماعية في الاسلام، ص ٢٨٠. ان رأي سيد قطب السالف ذكره يُشير إلى ان الانظمة الاوربية والامريكية تتوافق مع الانظمة الشيوعية لانها جميعاً مادية من حيث المبدأ.

٥٧. ادى الشيخ الخالصي دوراً قيادياً في اعمال القتل بحق المشتبه بهم من الشيوعيين في الكاظمية في ١٩٦٣، كما ورد في الفصل الثالث.

٥٨. كوينت، "قرية عراقية"، ص ٣٧٦-٣٧٨.

٥٩. للحصول على تقارير تخص التدين الريفي، انظر فيرنيا، "ضيوف

الشيخ"؛ كوينت، "قرية عراقية"؛ وثيسجر، "عرب الاهوار".

٦٠. العراق، الخلاصة الاحصائية ١٩٦٨، ص ٦٣.

- ٣ -

الدعوة

تعني (الدعوة)، بالمعنى الديني، دعوة البشرية إلى الايمان بالدين الحق، الإسلام. وتعني بالمعنى السياسي تبني قضية الإسلام. وفي اواخر خمسينيات القرن العشرين، بدأ العلماء العراقيون بتبني كلا هذين المعنيين. ويعتقد العلماء ان الإسلام مُعرّض للخطر وانهم باتوا مجموعة اجتماعية متدنية القيمة، وان العلمانية قد اضعفت وضعهم التاريخي . وكانت القومية العربية والشيوعية قد جذبتا اعداداً كبيرة من العراقيين^(١). وكلتا هاتين الايديولوجيتين علمانية، ويكمن جزء من جوهرها في فصل الدين عن شؤون الحكم ورفض تدخل رجال الدين في السياسة. وتناقض القومية العربية عالمية الإسلام؛ في حين ان الشيوعية تهدد الدين نفسه.

ولمواجهة خيار التشبث بالتقاليد التي تجاوزها الزمن بفعل الاحداث أو تطوير انماط جديدة تكون افضل قدرة على الحيلولة دون التخلي عن المعتقدات التقليدية، بدأت مجموعة من علماء النجف الشباب في اواخر ١٩٥٧ بالاجتماع في منزل العالم الشاب ذي المكانة الجليّة، السيد محمد باقر الصدر (١٩٣١-١٩٨٠)، للتداول في الاجراءات التصحيحية الممكنة^(٢). وإيماناً بأن الله وعد المسلمين بالنصر في حالة اتباعهم لدينه، عدّ العلماء سلسلة الاخفاقات^(٣) التي شهدتها العالم الاسلامي دليلاً على ضرورة العودة للإسلام. ولتأثرهم بالافكار التي طرحها الاخوان المسلمون المصريون، ولاسيما حسن البنا، فقد ركزوا على الآية القرآنية "إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم" (سورة الرعد، آية ١١)^(٤). وقد استنتج العلماء منطقياً ان أي تغيير اخلاقي للأفراد ينبغي ان يكون مسبقاً

بتغيير اخلاقي للمجتمع. وقد توجب على الشباب من المسلمين التأكيد على هويتهم الفكرية وان يكونوا واعين لمخاطر التأثيرات الاجنبية قبل تحقيق أي اصلاح مجتمعي^(٥).

وقد اعتقد السيد الصدر ان الممارسات الاسلامية قد انحرفت في الماضي، الامر الذي توجب "فصل الدين عن التقاليد السائدة وتبصير الناس بالطبيعة الحقة للدين ودوره في الحياة"^(٦) وبامكان المجتهدين تصحيح الانحرافات في التفسير والممارسات التقليدية من خلال الاجتهاد (وهو تفسير للشريعة الاسلامية صادر من جهة دينية مختصة)، وبالتالي مد يد العون إلى المثقفين الشباب.

ويتعامل المسلمون مع عقيدتهم وفقاً لاساس عقلائي. فقد اكد السيد الصدر على الحاجة لممارسة الاجتهاد ممارسة مناسبة يجري من خلالها دمج الامكانيات الاجتماعية والسياسية الحديثة، والتوفيق بين عالم الايمان والمعرفة العلمية.

وقد بحث السيد الصدر والعلماء المصلحون الآخرون عن واسطة يصلون من خلالها إلى الشريحة المثقفة والميالة إلى الأخذ بالصيغ الحديثة من عامة الناس بغية اشراك هذه المجموعة المهمة في تبني قضية الإسلام وقد تمكنوا من الوصول إلى تبني وسائل اكثر حزمياً ولغة مؤثرة في المثقفين من الشباب المسلمين. وقد نظم رجال الدين المصلحون حلقات دراسية، في بادئ الامر بين العلماء، ومن ثم بين جمهور المؤمنين. وقد احدث السيد الصدر ثورة في التفكير في النجف بالاحترام الذي اظهره لامكانية فهم المثقفين من عامة الناس للشريعة الدينية وبقبوله لغير المنخرطين في الحوزات العلمية من الانضمام إلى دروسه^(٧). وقد أثنى

الشباب على فكرته بأن بإمكانهم ان يكونوا باحثين متدينين حتى لو لم يكونوا رجال دين معتمدين^(٨). وذكرت احدى الصحف التابعة لاحدى الحركات الاسلامية ان السيد (الصدر) كتب مجموعة كبيرة من الكتب التي تُبشر بتغييرات في الوسائل التعليمية المتبعة في الحوزات العلمية في النجف وفي طريقة تقديم النسبة الكبيرة من البحوث التي تُؤلف في هذه الحوزات. وخلال فترة قصيرة من الوقت كان السيد الصدر قادراً على الاتصال بطيف واسع من الشباب في البلاد^(٩).

وطبقاً لطبعة خاصة من صحيفة الجهاد (وهي صحيفة اسبوعية تصدر عن الحركة الاسلامية العراقية)، يعود تاريخ تنظيم حزب الدعوة الاسلامية إلى الاول من ربيع الاول في ١٣٧٧ هجرية^(١٠)، وهو تاريخ يوافق تشرين الاول ١٩٥٧. وثمة كراس يتألف من تسع وثلاثين صفحة يحتوي على مقالات عدة كتبها السيد الصدر لصوت الدعوة، وهي إحدى المطبوعات الرئيسية لحزب الدعوة، تؤرخ تأسيس الحزب إلى "بواكير ١٩٥٨"^(١١). وبعد قيام ثورة الرابع عشر من تموز ١٩٥٨، تلقى حزب الدعوة دعم آية الله محسن الحكيم، وهو المرجع الشيعي الاعلى في العراق^(١٢)؛ وبذا أصبح "بعد ثورة ١٩٥٨" تاريخاً للتأسيس. ان التواريخ المختلفة تتوافق ومراحل التشكيل التنظيمي للحزب. وقام العلماء بتنظيم الخطط الخاصة بعمل الحزب في بيت السيد الصدر في ١٩٥٧. وقد اضطلع الشيخ مرتضى العسكري بمسؤولية تنظيم المتقنين من الشباب الراغبين بدعوة اخوانهم إلى الإسلام، اما عامة الناس ممن باتوا "اذرع" التنظيم فقد تمت دعوتهم للقاء العلماء في بواكير ١٩٥٨^(١٣). وجرى منح الحزب في وقت لاحق من ذلك العام موافقة دينية رسمية.

وفي مقالة كتبها لصوت الدعوة، أوضح السيد الصدر سبب اختياره لاسم التنظيم، قائلاً ان الدعوة تُعبر تعبيراً دقيقاً على مهمة المجموعة "دعوة الناس إلى الإسلام"^(١٤) وقد وصف السيد الصدر الحلقات الدراسية بوصفها جزءاً من المرحلة الاولى للدعوة إلى الاسلام، وتمثل الهدفان المبتغيان من هذه المرحلة في "إعداد المؤمنين وتعبئة الامة روحياً وفكرياً"^(١٥) وتُعد "الكراريس المنشورة بمثابة الوسائط المفيدة التي تمكن حزب الدعوة من خلالها إعداد الامة وتعبئتها، والزام كل عضو ومشرف بحضور اجتماعات الخلايا، ومراسيم القراءات، وإقامة الاحتفالات، وبناء المكتبات والمدارس، وحضور النقاشات والدروس العلمية في الشريعة"^(١٦).

وقد دعم آية الله الحكيم جهود الاصلاح باقامة مكتبات ومراكز دينية جديدة. فعلى حد قوله، "ثمة عدد كبير من السلوكيات الشائعة بين الطلبة وعامة الناس ليس لها اساس في الدين"^(١٧). وقد تقررّت خطوة آية الله الحكيم للانخراط في النشاط السياسي بعد الاستيلاء العسكري على مقاليد الحكم في العراق في ١٩٥٨. ومع انها لم تكن ثورة كاملة، فان تغيير الحكم كان اكثر من كونه انقلاباً عسكرياً. فلم تتم الاطاحة بالملكية الهاشمية التي نظم العلماء حملة من اجل تنصيبها في ١٩١٩ و ١٩٢٠ وحسب، بل ان الحكومة الجديدة التي رأسها الزعيم عبدالكريم قاسم (١٩١٤-١٩٦٣) تحالفت مع الحزب الشيوعي العراقي وسنّت برنامجاً للاصلاح الزراعي تحددت بموجبه مقدار الارض التي بإمكان الفرد الواحد حيازتها، وبالتالي تحجيم السلطة الاقتصادية والسياسية لمالكي الاراضي العراقيين، وهم الداعمون الرئيسيون للمؤسسة الدينية. ودعماً للزعيم عبدالكريم قاسم والحزب الشيوعي العراقي أو دعماً لكليهما، أمسى آلاف الفقراء العراقيون

للمرة الاولى ناشطين سياسياً، وهو انقلاب هائل في النظام السياسي العراقي.

وتمثل رد فعل اربعة من انجال آية الله الحكيم، بمن فيهم نجله البكر، محمد يوسف الحكيم، على قانون الاصلاح الزراعي بارسالهم برقيات إلى رئيس الوزراء حيث اعلنوا فيها ان الاصلاح الزراعي ينتهك الشريعة الاسلامية لأنه ينطوي على مصادرة للملكيات الخاصة. وربما لتأثرها باحتجاجاتهم، قررت الحكومة تعويض المالكين والزمّت الحائزين على الاراضي الزراعية بموجب قانون الاصلاح الزراعي بتسديد دفعات مرتفعة نسبياً للحكومة، بيد ان برنامج الاصلاح الزراعي مضى قدماً. وبحلول تموز ١٩٥٩، جرى انتزاع ستة ملايين دونم لغرض توزيعها^(١٨). وقامت بعض الأسر الشيعية الثرية المتضررة من الخسارة التي لحقت بسلطتهم السياسية والاقتصادية بأخذ ممتلكاتهم الشخصية والانتقال للعيش في بريطانيا أو أماكن أخرى، أما من بقي منهم في العراق فقد تبّنوا اسلوب الحياة الذي يُميز طبقة وسطى. وبالنسبة للمؤسسة الدينية الشيعية، كان الانكماش في قاعدة دعمها امراً مقلقاً للغاية.

ولم يكن التضاؤل في حجم الدعم المالي يمثل المشكلة الجادة الوحيدة التي واجهت العلماء؛ فالشباب الشيعي المثقف أمسى عرضة للتسييس والاستجابة لأي زعيم سياسي يعكس خطابه رؤية بالتحديث والمنزلة الرفيعة للبلاد. وقد وجهت الاحزاب العلمانية حملتها لكسب الشباب الشيعي والحصول على دعمهم، رغم وجود شكوك حيال مسؤولية الحزب الشيوعي العراقي الذي استعمل الحرية التي حظي بها في ظل نظام قاسم في إعاقة مراسيم إقامة الصلاة وتوزيع كرايس تحت على الالحاد، بل حتى إلصاق

منشورات على اعمدة شارع الرشيد، وهو الشارع الرئيس الواقع في مركز مدينة بغداد^(١٩). وقد اكتشف العلماء على نحوٍ يبعث عن الغم ان بعض العراقيين لا يميزون بين الشيعي والشيوعي ويعتقدون ان دعم الشيوعيين يعني دعم الشيعة^(٢٠). وتمثل رد فعل العلماء بتنظيم أنفسهم لمحاربة "الشيوعية" على نحوٍ اكثر فاعلية. وفي عام ١٩٥٨ اجاز آية الله الحكيم تشكيل (جماعة العلماء) بغية "إقامة جسور تواصل بين الاسلام والشرائح المختلفة في الامة ولاسيما الشرائح المثقفة والطلبة"^(٢١) وقد اصبح الشيخ مرتضى الياسين، خال السيد محمد باقر الصدر، اول زعيم للجماعة. وقد وافق المجتهدون على الاضطلاع بالمهام الموكلة اليهم بكتابة إعادة تأويل للشرعية الاسلامية أو تقديم تفسيرات لها في موضوعات معينة. وقد أسست جماعة العلماء عدداً من المؤسسات الخاصة بالصحة، والرعاية، والتعليم على غرار المؤسسات التي اقامها الاخوان المسلمون المصريون. (انظر الجدول ٣-١).

وتمثل الاجراء المبكر للعلماء الاصلاحيين في نشر دوريات وكتب اسلامية، تهدف إلى دعوة العلماء الآخرين للانخراط في هذا النشاط وملء الفراغ الناجم عن اضمحلال المدارس الاسلامية التقليدية وكانت مجلة (اضواء اسلامية) الدورية التي نشرتها لجنة التوجيه في جماعة العلماء من بين هذه الدوريات. وثمة مقالة تصدر على نحوٍ منتظم في مجلة (اضواء اسلامية) يكتبها السيد باقر الصدر تحمل عنوان "رسالتنا". وقد كتب الصدر سلسلة من الكتب انتقد فيها ايديولوجيات غير اسلامية وقام بتوضيح ما مطلوب من المسلمين القيام به في هذه المرحلة. وفي كتبه، سعى إلى إظهار مواطن الضعف في الرأسمالية الديمقراطية، والشيوعية، والاشتراكية وتقديم

حجج تستند إلى المعيار المنطقي لافضلية الايديولوجية الاسلامية على جميع الايديولوجيات الاخرى.

ان امكانية بلورة تحالف بين الاسلاميين السُنّة العراقيين والعلماء الشيعة لمواجهة نظام قاسم ومن اجل قيام حكومة اسلامية، بات امراً مرجحاً في ١٩٥٩ حين اعلن الشيخ شلتوت، رئيس جامعة الازهر في القاهرة، المركز الاكثر تبجيلاً للمؤسسة الدينية السُنّية، رسمياً ان الشيعة المعروفين بالجعفرية^(٢٢) يتبعون سُنّة النبي محمد (عليه الصلاة والسلام - المترجم): "ان الاختلاف بين المدرستين الجعفرية والسُنّية ليس اكبر من الاختلاف بين المدارس السُنّية نفسها. [الجعفرية] يؤمنون بمبادئ الاسلام الجوهرية"^(٢٣) وبوصفها اعترافاً سُنّياً صادر عن سلطة مختصة، فان فتوى الشيخ شلتوت تُجيز تدريس الفقه الجعفري، الامر الذي عزز الزعم الجعفري بوصفه مذهباً خامساً.

وكان الزعيم عبدالكريم قاسم، في هذا الوقت، ينتهج سياسات تصب بفائدة الشيعة. ففي كربلاء، قامت الحكومة ببناء مساكن لذوي الدخل المنخفضة فضلاً عن منظومة مياه، وجرى تشييد طريق بين كربلاء والنجف كانت الحاجة قائمة اليه منذ أمد بعيد. وتمت ترقية الشيعة في البيروقراطية والجيش. وحلّت المساكن الشعبية محل الصرائف خارج بغداد. واقدمت الحكومة على اجراء تعديلات في قانون الاحوال الشخصية . فقد الغى القانون رقم ١٨٨ الصادر في كانون الاول ١٩٥٩ تعدد الزوجات ومنح المرأة حقوقاً متساوية مع الرجل في الميراث. وكلا هذين التعديلين يتعارضان مع الشريعة لذا كانا محط معارضة المؤسسة الدينية، بيد ان القانون الخاص بمنع تعدد الزوجات لم يتسبب باثارة معارضة حادة

وبالاساس كان الزعماء العشائريون في العراق اثرياء بما فيه الكفاية واقل تأثراً بالمعايير المتغيرة بحيث انهم كانوا يمارسون الزواج باكثر من واحدة في خمسينيات القرن العشرين، وهم (أي الزعماء العشائريين - المترجم) كانوا معارضين تلقائياً للحكومة بسبب سن قانون الاصلاح الزراعي. اما التعديل الخاص بقانون الارث فقد ترك تأثيره فعلياً على جميع الأسر الحائزة على ملكية وحدثت معارضة عاقدة العزم^(٢٤).

وقد افضى الضغط الذي تعرض له قاسم إلى اطلاقه لوعده، في كانون الثاني ١٩٦٠، بالسماح للحزب السياسية بالتشكل والعمل وفقاً للقانون. وقد اوفى بوعده. واستجابة لفرصة إطلاق تنافس سياسي مفتوح، تقدم حزبان ببرنامجين دينيين بغية الحصول على ترخيص من وزارة الداخلية في الثاني من شباط، ١٩٦٠: حزب التحرير الاسلامي السنّي والحزب الاسلامي، والحزب الثاني المشار اليه قد أسسه شيعة عراقيون. وكلا الحزبين يطمحان إلى اقامة دولة تعمل وفقاً لتعاليم الاسلام، وقد رفضت وزارة الداخلية منحهما ترخيصاً.

وقد تعززت قدرة الشيعة على معارضة الحكومة العراقية في شباط ١٩٦٠ حين وجه آية الله بروجردي في قم، وهو المرجع الاعلى، رسالة تعارض الاصلاح الزراعي، وبذا ابتعد عن موقفه المعارض لانغماس العلماء في السياسة^(٢٥).

وعلى الرغم من ان رسالته هذه فضلاً عن رسالة اخرى لاحقة اصدرها آية الله ايراني آخر، محمد موسوي بهبهاني، قد حثت على اصدارهما التطورات في ايران، فانهما قد دفعا العلماء العراقيين إلى الدخول في المنطقة السياسية. وفور اصدار آية الله بروجردي لمعارضته العلنية

للاصلاح الزراعي، أتخذ آية الله الحكيم اجراءً مؤثراً بحق الحزب الشيوعي العراقي، حيث اصدر الاعلان الآتي:

"أي ارتباط بالحزب الشيوعي يُعد عملاً غير شرعي. وان ارتباطاً كهذا ينطوي في جوهره على الالحاد والكفر، أو أنه داعم للالحاد والكفر"^(٢٦) ونتيجة لهذا الاعلان توالى رسائل التوبة التي وجهها العديد من الشيعة ممن كانوا قد انضموا إلى الحزب الشيوعي العراقي.

وحيث ان الشيوعية تُقدم وعداً بتحقيق العدل الاجتماعي الامر الذي جعلها تتمتع بالجاهزية لدى العراقيين، تحرك العلماء إلى ابراز وعد الاسلام بتحقيق العدل الاجتماعي. وبدأت المطبوعات الشيعية، التي ركزت في السابق على الهجوم على الشيوعية والقومية، بعرض الاسلام بوصفه بديلاً ايجابياً^(٢٧). وقد ركز السيد الصدر على مستلزمات العدل الاقتصادي بنظر الاسلام بوصفها مثلاً للنهج الاكثر ايجابية للعلماء في سياق التنافس للظفر بالعقول الشابة.

وقد اقام زعماء حزب الدعوة اتصالات مع الاخوان المسلمين العراقيين، وقد اتفقت المجموعتان على وجوب إقامة دولة اسلامية في العراق عبر تعاون شيعي — سُني وتكوين وعي اسلامي بين الناس^(٢٨). وبعد فترة من الضغط الذي مارسه مناصرو الاحزاب الاسلامية، نقضت محكمة التمييز رفض الحكومة منح تراخيص لحزب ديني، وجرى منح الحزب الإسلامي، الذي أصبح توليفة من الحزبين اللذين تقدما سابقاً للحصول على ترخيص قانوني يُجيز له العمل السياسي في نيسان ١٩٦٠. وكان آية الله الحكيم راعي الحزب وضامنه في حين كان عبدالرزاق نعمان السامرائي، وهو

سُنِّي لا يحوز على تخصص ديني، نائباً لرعيم الحزب. ويتمثل الهدف المعلن للحزب في معارضة "الاحاد والمادية".

وقد رفضت الحكومة طلب الحزب الاسلامي بمنح ترخيص لاصدار صحيفة، أطلق عليها اسم "الجهاد"، بيد ان صحفاً اخرى تولت تقديم وجهات نظر الحزب، الناقدة بشدة للحكومة. وقد هاجم العلماء أنفسهم الحزب الشيوعي العراقي في سيلٍ من الفتاوى. وفي نيسان، اصدر الشيخ مرتضى الياسين فتوى تنص على ان الولاء للحزب الشيوعي يُعد واحداً من اعظم الآثام واكبرها، وقد عبّر ميزرا مهدي الشيرازي عن رأيه بان صلاة وصيام المسلمين من المعتنقين للشيوعية غير مقبولين لدى الله. وفي حزيران اصدر الشيخ الشيرازي حكماً بان على المسلمين الامتناع عن شراء اللحم من قصاب شيوعي، وان الابن الشيوعي لا يحق له ان يرث ابيه المسلم. وقد سَلَّم الحزب الاسلامي ايضاً مذكرة إلى الزعيم عبدالكريم قاسم يُطالب فيها باجازه تنقيح القوانين العراقية كي تكون قريبة من "روح الاسلام".

وفي ١٩٦٠ بدأ عبدالكريم قاسم بسحب حمايته عن الحزب الشيوعي العراقي. وخلال فترة أشهر، فان آلافاً عدة من الشيوعيين ومن يُشتبه بكونهم شيوعيين في المدن السُنيّة في بغداد جرى قتلهم أو ارغامهم على مغادرة منازلهم. وكان الجُناة ضباطاً محافظين لهم ارتباط بالحزب الاسلامي. وساد الاعتقاد في الطائفة الشيعية ان بساطة الفكر السياسي لآية الله الحكيم افضت به إلى ربط اسمه بحزب لم يكن يحوز على سيطرة عليه. وقد تعاضمت الخلافات بين العلماء الشيعة وانقسمت صفوفهم طبقاً لفئاتهم العمرية؛ فالعلماء الشباب الذين يتزعمهم السيد الصدر، ممن اعتقدوا ان النهج الصائب والضروري يكمن في الاستمرار باصلاحاتهم، وممارسة

ضغط اكبر على المجموعات السياسية التي تقوم بتعبئة عامة الناس. وكان العلماء الاكبر سناً ممن يعتقدون آراء محافظة قد انتقدوا بشدة انخراط العلماء والشيعية الحريصين على التقيد بالضوابط الدينية في النشاط السياسي. وقد هوجمت كتابات السيد الصدر واستنتاجاته الاصلاحية بوصفها تحريفاً عن نهج الاسلام، وهو إتهام ازعجه: "تُقابل اية حركة تسعى إلى إعادة هيكلة المجتمع بالاجحاف والمعارضة الشديدة، وان جميع النشاطات التي تسعى إلى احداث ثورة في المجتمع تلقى استياء الجماهير، التي تقوم بتوظيف سلاح الدين في سعيها إلى التصدي للقيم والمفاهيم الجديدة"^(٢٩).

وفي الخامس عشر من تشرين الاول ١٩٦٠، انتقدت صحيفة "الفيحاء" الاسبوعية الصادرة في الحلة الحكومة بشدة لجملة من الاخفاقات، بما فيها "انتشار المفاهيم الالحادية كمساواة المرأة والرجل"^(٣٠) وفي التاسع عشر من تشرين الاول من العام نفسه، أُعتقل احد عشر عضواً من اللجنة الادارية للحزب الاسلامي. وفي تشرين الثاني صدر أمراً بحل فرع الحزب في الموصل. ومع ذلك كسب الحزب الاسلامي (٤٠%) من الاصوات في انتخابات نقابة المعلمين التي جرت في شباط ١٩٦١ في مدينة الرمادي السنية العربية، وهي الانتخابات الوحيدة التي قدم فيها الحزب قائمة بمرشحيه^(٣١). وبعد ذلك بفترة قصيرة، أُعلن عن عدم قانونية جميع الاحزاب السياسية وصحفها.

وفي فترة لاحقة في ١٩٦١ أسس العلماء في كربلاء منظمة العمل الاسلامي^(٣٢). وهذا الاسم (أي العمل الاسلامي) يُشير إلى أن المجموعة تسعى إلى تعبئة الطائفة الشيعية بغية إقامة حكومة اسلامية. وقد جرى تأسيس مجموعات اسلامية اخرى تتخذ من المدن مقرات لها، وهي تتشاطر

هدفاً مشتركاً "معارضة التوسع الشيوعي والعمل على تشكيل حكومة تعمل بالشرعية الالهية في المستقبل" (٣٣). وفي عام ١٩٦٢، أسست جماعة انصار الدعوة للمساعدة في الدعوة إلى الإسلام (٣٤). واعضاء هذه الجماعة مسلمون ورعون لكنهم يحظون بمستوى تعليمي وثقافي يقل كثيراً عن المستوى التعليمي والثقافي لاعضاء حزب الدعوة.

التجنيد

في عامي ١٩٦٢ و ١٩٦٣ انخرطت المؤسسة الدينية الناشطة سياسياً في سلسلة تموهية من المؤتمرات والمحاضرات بغية تجنيد الشباب الوريثين من عامة الناس في الحركة. وقد حدثت معظم الاجتماعات في النجف، غير ان حسينية (٣٥) الياسين في الكاظمية وحسينية المباركة في الكرادة الشرقية (بغداد) كانتا ايضاً مواقع للاجتماعات (٣٦). وكان المجندون المحتملون معروفين شخصياً لمن يتولى "دعوتهم" للإسلام، حيث ان التجنيد يتم طبقاً لأطر تفاعلية راسخة. ويقوم الدعاة بتجنيد افراد أسرهم، ورفاق التلمذة، وزملائهم الجنود، ولا يتم تجنيد سوى المسلمين المواطنين على إداء فروضهم الدينية. وفضلاً عن التثقيف الديني، يُظهر الدعاة الاحترام إلى المجندين المحتملين، لاشعارهم بأنهم وأسرهم، بوصفهم مسلمين مواطنين على اداء فروض دينهم، محط تبجيل كبير. وجرى التأكيد على حاجة المسلمين لمواجهة التحديات الفكرية للتغيير الاجتماعي انسجاماً مع المعتقدات الدينية بوصفها واجب ديني.

وقد أنيطت الجهود التنظيمية لتوسع نطاق عمل حزب الدعوة خارج النجف باتباع خاصين. وقد تولى عبدالصاحب دخيل (ابو عصام) المتوفى في ١٩٧٢ مسؤولية تنظيم الحزب في الجامعات. واصبح الشيخ عارف

البصري (المتوفى في ١٩٧٤) المرجع الديني لأعضاء الحزب في بغداد. وقد انضمت الأنثى إلى التنظيم بوساطة أخت السيد الصدر، بنت الهدى، وهي عالمة معترف بها وتحظى بالاحترام حيث قامت بتنظيم حلقات دراسية للنسوة الشابات الورعات. وعمل السيد مهدي الحكيم (المتوفى في ١٩٨٨) بوصفه حلقة وصل بين المؤسسات الدينية في النجف والدعاة في بغداد^(٣٧).

وقد عمل التحريض عبر المنشورات ومن المنابر على إثارة المؤمنين وعلى التشكيك بالوضع السياسي والاقتصادي في العراق بغية تكثيف التوترات القائمة وتوجيهها. وقد طور المجندون روحاً بالتضامن من خلال الإشارة إلى الرموز الدينية وتعزيز الحس بحميمية الانتماء. وقد وطد الشباب المثاليون الذين لربما انضموا إلى الأحزاب العلمانية الاواصر التي تربطهم بمجتمع المؤمنين. وقد عملت المجموعات الإسلامية على استثمار طاقات المنظمين اليها على نحو يجعل أعضائها يشعرون بانتمائهم إلى شيء ينطوي على أهمية، شيء أكبر منهم. وقد تعزز الشعور بتضامن المجموعة بالشعارات ذات الأهمية العاطفية؛ فقد لجأ الناشطون الذكور إلى إطالة اللحي تقليداً للمسلمين في زمن النبوة. ولجأت بعض النسوة الشابات الناشطات في الحركة إلى ارتداء النقاب والملابس الفضفاضة التي تحاكي ما ترتديه الإسلاميات السنيّات في مصر وأماكن أخرى، أما "العباءة" العراقية التقليدية (التي تغطي جميع أجزاء جسد المرأة سوى وجهها) فقد باتت غير مناسبة لمزاولة أي عمل يستلزم استعمال كلتا اليدين.

وقد تعززت المعنويات، الضرورية للتغلب على المحن المستقبلية، جراء تصوير المهمة بكونها مقدسة وتصوير النجاح بكونه حتمياً. وإن الاعتقاد بأن نجاح الحركة سيُبشر ببزوغ الفية تتسم بالمبالغة في تبجيل الهدف ولكنها

ستساهم في تعزيز المعنويات. ان الهدف المتجسد باسلمة المجتمع وإقامة حكم الله في الارض سيكون منسجماً مع التنشئة الاجتماعية للعراقيين المنحدرين من أسر تمتاز بالورع والتقوى. وبرفض معايير النخب السياسية والاقتصادية العراقية الجديدة والقبول بالمحضورات الاسلامية قبولاً يتسم بالدقة، فقد وضع المجندون أنفسهم في مكانة معنوية اعلى من مكانة النخب السياسية والاقتصادية العراقية.

المعارضة للحكومة

يُمكن أولاً عزو النشاط الديني المتصاعد إلى الحزب الشيعي العراقي؛ ففي عام ١٩٦٢ ناقش تقرير داخلي للحزب الشيعي العراقي ضرورة التصدي "لمنظمة رجعية ترتبط بعلماء النجف". وثمة منشور للحزب الشيعي اللبناني يُشير إلى وجود "حزب عراقي جديد باسم حزب الدعوة الاسلامية^(٣٨).

وجاءت المعارضة ايضاً من القوميين العرب؛ فالحركة الدينية العراقية وحملتها على الاشتراكية تضاربت مع بزوغ نجم الرئيس المصري جمال عبدالناصر الذي ارتبطت قوميته العربية بضرب من ضروب الاشتراكية. فضمن النجف، انخرط المناصرون الشباب للسيد الصدر في مشاجرات باستعمال القبضات والتصايح مع القوميين العرب. وخلال عامي ١٩٦٢ و١٩٦٣، هوجم السيد الصدر هجوماً كلامياً من الاعضاء القوميين في حوزته الخاصة (الحوزة: مركز للدراسات الدينية) ولاسيما حسين الصافي^(٣٩).

وفي بواكير عام ١٩٦٣، انتهى عهد عبدالكريم قاسم؛ ففي الثامن من شباط نفذ حزب البعث والقوميون العرب في الجيش انقلاباً. كان حزب البعث مجموعة سياسية صغيرة جرى تنظيمها في سورية في منتصف أربعينيات القرن العشرين. ويشير شعاره "الوحدة، والحرية، والاشتراكية" إلى الوحدة العربية والتحرر من الهيمنة الأجنبية، وهي قضايا تتسم بالشعبية بين ضباط الجيش والطلبة العراقيين. وقد اكدت مصادر مختلفة ان المشاركين في الانقلاب تلقوا مساعدة من وكالة المخابرات المركزية الامريكية (CIA)؛ فعلى سبيل المثال، نقلت صحيفة الاهرام، وهي صحيفة رسمية مصرية، عن الحسين ملك الاردن قوله أنه في الفترة التي سبقت انقلاب ١٩٦٣ في العراق "جرى عقد اجتماعات عدة بين حزب البعث والمخابرات الامريكية، وقد عُقدت اهم الاجتماعات في الكويت^(٤٠). وجرى استخدام إرسال اذاعي، ورد انه من وكالة المخابرات المركزية الامريكية، بغية تزويد البعثيين باسماء وعناوين الشيوعيين المطلوب إلقاء القبض عليهم وتنفيذ الاعدام بهم.

وقد اندلع قتال عنيف لليومين التاليين للانقلاب، حين خرج الشيوعيون ومستفيدون آخرون من السياسات التي انتهجها قاسم إلى الشوارع لدعمه. وقد انضمت العديد من المناطق الشيعية في بغداد إلى المقاومة المناهضة للانقلاب، بيد ان دبابات الجيش هي التي حسمت المعركة لصالحها في نهاية الامر.

ومع بسط حزب البعث لسيطرته على الحكومة الجديدة، اعقب ذلك تسعة اشهر من مطاردة الشيوعيين. وكان صدام التكريتي، الذي اصبح في وقت لاحق رئيساً للعراق والمعروف باسم صدام حسين واحداً من الجلادين

البعثيين. وجرى اعتقال زهاء عشرة آلاف شيوعياً وقتل المئات منهم دون إحالتهم إلى محاكمة^(٤١). وقد ارهب الشيخ محمد الخالصي، وهو مجتهد ضرير كان البريطانيون قد أعادوه إلى العراق بعد انتفاضة ١٩٥٢، أهالي الكاظمية بشلاتيته (وهو تعبير عامي يعني "المنفذون للتصفيات الجسدية بحق الخصوم") (للتوضيح ان الشلاتي تعني المنفلت سلوكياً واخلاقياً عن اعراف المجتمع، وهو في الغالب لا يحوز على مستوى تعليمي وادراكي مقبول، لذا فان استعمال المؤلفة لهذه الكلمة في هذا السياق يبدو استعمالاً غير مناسب - المترجم)، ووصم أي شخص كان قد اظهر تأييداً لقاسم بالشيوعية^(٤٢).

ولعله في اشارة إلى حزب الدعوة، زعم البعثيون بانهم على دراية بحزب رجعي وطائفي يُدعى الحزب الفاطمي. وقد اكدت المنشورات الاسلامية عدم وجود حزب كهذا وإن الاسم المزعوم للحزب ما هو إلا تلفيق بعثي الغرض منه إضعاف الثقة بالحركة الاسلامية وإلصاق صفة الطائفية بها، لأن مصطلح الفاطمي يتضمن في معناه الشيعة. وفي حقيقة الامر، لاحظ اسلاميون ان رجال دين سُنّة كالشيخ أمجد الزهاوي والشيخ عبدالعزيز البدري كانا يكتبان على نحوٍ منتظم في منشورات الحركة الاسلامية في ستينيات القرن العشرين^(٤٣).

وفي تشرين الثاني ١٩٦٣، تدخل القوميون العرب في الجيش للاطاحة بالحكومة البعثية. وسعيًا إلى تكوين امة عربية واحدة في المستقبل، اضطلع النظام الجديد، الذي رأسه عبدالسلام عارف، باتخاذ اجراءات لتوئمة الانظمة الحكومية والاقتصادية مع مثيلاتها في مصر. وفي الرابع عشر من تموز ١٩٦٤، قامت الحكومة بتأميم جميع المصارف وشركات التأمين،

فضلاً عن اثنتين وثلاثين شركة انتاجية وتجارية. وقد حجمت اجراءات التأميم من الثروات الخاصة، وهي مصدر رئيس للوقوف، الامر الذي افضى إلى المزيد من التدني في دخل العلماء.

عارض رجال الدين في الحركة الاسلامية اجراءات التاميم معارضة شديدة. وقد نشر رجل الدين السنّي الجريء في طروحاته الشيخ عبدالعزيز البدري كتاباً يدين الاشتراكية ويدعو إلى اقامة حكومة اسلامية. وقد ارسل العلماء الشيعة برقيات إلى الحكومة يحتجون فيها على مصادرة الملكيات الخاصة؛ فبالنسبة للعلماء، فان "الاشتراكية العربية" التي يتبناها الرئيس عارف والرئيس المصري جمال عبدالناصر تكافئ الشيوعية في مضمونها. وقد رفض آية الله الحكيم دعوة لحضور مؤتمر في الازهر، وهي جامعة اسلامية في القاهرة تحظى بتقدير كبير، موضحاً سبب رفضه بان الازهر كان قد اصدر "رأياً لصالح الشيوعية كونها لا تعادي الاسلام... بل انها تنسجم انسجاماً كاملاً معه" ولذا فان هذا الامر، كما اورد في برقيته للسفير المصري، يُعد "بُطلاناً في الإسلام" (٤٤) وقطعاً فان الازهر، بناءً على طلب الرئيس عبدالناصر، هو الذي اعلن ان الاشتراكية تتوافق مع الاسلام. وبعد بضع سنوات، اورد مهدي الحكيم نجل آية الله الحكيم اعتقاداً بأسلوب موجز وبلغ في رسالة موجهة إلى لجنة (مطالبات) الشيعة الباكستانية بان "الاشتراكية والشيوعية مترادفتان... فالاشتراكية هي المرحلة الاولى لاقامة الشيوعية" (٤٥).

وفي عامي ١٩٦٣ و ١٩٦٤، ضاعف رجال الدين والاعضاء العاديون (أي من غير الحاصلين على تعليم ديني - المترجم) جهودهم لبلورة وعي ديني في مدينة الثورة، وهي مدينة في ضواحي بغداد جرى انشاؤها اثناء

حكم قاسم. وقد لفتت هذه الأنشطة انتباه حكومة عارف، التي قامت وقتها بتشكيل (الفرع الثاني)، وهو قسم خاص في مديرية الأمن العامة، لمكافحة المجموعات الشيعية السرية.

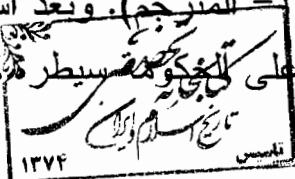
وفي تشرين الاول ١٩٦٥ سمحت الحكومة العارفية لآية الله المنفي، روح الله الخميني، بالمجيء إلى العراق للعيش والتدريس. وقد حاول آية الله الخميني استمالة كبار علماء النجف للانخراط بعمل سياسي ضد شاه إيران بيد انه تلقى رداً فاتراً من آية الله الحكيم ومن ثم من العلماء العراقيين الآخرين^(٤٦). وقد التزم العلماء التزاماً ينم عن عزم باستراتيجيتهم لتحقيق مجتمع اسلامي عبر اساليب تدريجية وسلمية، بالاعتماد على التثقيف والاقناع. ومنذ وقت مبكر من تاريخ الحركة الاسلامية، كان الاسلاميون قد ارادوا تأسيس جامعة حديثة تفتح ابوابها للمؤمنين، وقد تجسد هذا المسعى بتأسيس جامعة الكوفة في النجف. وجاءت موارد التمويل من العلماء والأسر الشيعية البارزة كأسرة آل شُبر.

وفي نيسان ١٩٦٦ لقي الرئيس عبدالسلام عارف مصرعه في حادث تحطم طائرة سميّة اتسم بالغموض. وقد حل محله في رئاسة الجمهورية أخوه الأكبر عبدالرحمن عارف، الذي واجهت حكومته أزمة كبيرة حين اقدمت اسرائيل في حزيران من العام التالي على احتلال القدس والضفة الغربية، وسيناء المصرية، ومرتفعات الجولان السورية. وقد اضعفت الهزيمة التي انزلتها اسرائيل بالجيش العربية ثقة العالم العربي بحكوماته. وقد وجهت جماعة العلماء في بغداد والكاظمية نداءات إلى الامين العام للامم المتحدة وإلى منظمات أخرى للمطالبة بانسحاب اسرائيلي من الاراضي المحتلة. وتحقيقاً لهذه الغاية، ارسلت جماعة العلماء وفداً ضم

سُنيين اثنيين وشيعيين اثنيين في مهمة لجميع عواصم الدول الإسلامية من إيران إلى ماليزيا^(٤٧). وضمت عضوية الوفد الشيخ عبدالعزيز البدري، والمهندس عبدالغني شندلة، والدكتور جليل ابن السيد داود العطار، والسيد عدنان البكاء.

وضمن العراق، تواصل التنافس بين الاسلاميين والمجموعات السياسية العلمانية؛ ففي ايلول ١٩٦٧ انشق جناح يُدعى (القيادة المركزية) عن الحزب الشيوعي العراقي وشنَّ حرب عصابات في جنوبي العراق. ولأشهر واصلت (القيادة المركزية) تحديها المسلح للحكومة، ولكنها لم تتلقَ دعماً فاعلاً من الفلاحين. وحيث ان النظام العارفي الثاني كان من الضعف بحيث لم يتمكن من السيطرة على الشيوعيين فضلاً عن الاعتقاد الذي ساد على نطاق واسع بافتقاره إلى الدعم الضروري للبقاء في السلطة، فقد شرع العلماء بتشجيع التظاهرات والاضرابات في بغداد في محاولة للتأثير في اتجاه التغيير السياسي. وقد انضم البعثيون ممن "صوروا أنفسهم بوصفهم اصدقاء للاسلاميين واعداء للشيوعيين"^(٤٨) إلى التظاهرات إلى جانب الاسلاميين.

وفي تموز ١٩٦٨ انضم مساعدون عديدون لعارف، بضمنهم العقيد إبراهيم الداود، الذي قيل انه كان خاضعاً "لتأثير ديني"^(٤٩) إلى الضباط البعثيين للاستيلاء على السلطة. وهذا "التأثير الديني" كان سُنياً كما هو مفترض لأنّ الداود سُني المذهب وكان الاخوان المسلمون على الأرجح مصدر هذا التأثير، لأنّ المؤسسة الدينية السُنية لم يكن معروفاً عنها معارضتها للنظام العارفي. وقد أنيط بزعيم الاخوان المسلمين، عبدالكريم زيدان، منصباً وزارياً في الوزارة الجديدة والقصيرة الامد (وهي الوزارة التي تشكلت في السابع عشر من تموز ١٩٦٨ - المترجم). وبعد اسبوعين، أقصى البعثيون حلفاءهم المؤقتين وسيطروا على الحكومة وسيطرت كاملاً.



الهوامش

١. مع صعود جمال عبدالناصر في عام ١٩٥٢ إلى السلطة في مصر، ارتفعت شعبية القومية العربية في العراق. وقد اقام القوميون العرب تنظيماً لهم في الجيش العراقي وكان لهم دور اساسي في الاطاحة بالنظام الملكي في العراق في ١٩٥٨. ومع ذلك كان الحزب الشيوعي، الصغير في عضويته الفعلية طبقاً لبطاطو، قادراً على تنظيم تظاهرات كبيرة في المدن في اواخر خمسينيات القرن العشرين. بطاطو، الطبقات الاجتماعية القديمة، ص ١٠٠٠.
٢. مقدمة للصدر، الشعائر، ص ٩. يُحذف احياناً اسم "محمد" من اسم السيد الصدر، حيث يُدعى باسمه الثاني، باقر. وفي حالة مناداة جميع الصبية العراقيين ممن يحملون اسم "محمد" بهذا الاسم، عندها سيسود الاربك في الأسر الدينية، التي تطلق على جميع ابنائها الاسم الاول "محمد" وهو اسم يتباركون به لأن المهدي يحمل اسم "محمد".
٣. ان اخفاق الطائفة المسلمة بالحفاظ على وحدة اراضيها الاسلامية، وتحقيق حكم ذاتي حقيقي، وبلورة تطور اقتصادي تُعد بوصفها دليلاً على غضب الله.
٤. ان جميع الاقتباسات القرآنية مأخوذة من (معاني القرآن الكريم) الصادر بجزئين، والذي تولى ترجمته من العربية عبدالله يوسف علي.
٥. الصدر، النظام السياسي الاسلامي، ص ٩٨.
٦. المصدر السابق، ص ٣٥.

٧. السابع من آب ، ١٩٨٦ ، مقابلة في لندن مع الدكتور ابو علي والأخ علي.
٨. ان المنخرطين الشيعة في الحقل الديني بالامكان معرفتهم من العمائم التي يرتدونها.
٩. الهلال الدولية الصادرة في آيار، ١٦-٣١، الواردة في صديقي، الحركة الاسلامية ١٩٨٠-١٩٨١، ص ١.
١٠. الجهاد، ٢٤ تشرين الثاني، ١٩٨٦، ص ١.
١١. الصدر، في فكر الدعوة، ص ٥.
١٢. السادس من آب، ١٩٨٦، مقابلة مع الحجة مهدي الحكيم، نجل آية الله محسن الحكيم. ان رقابة آية الله الحكيم على حزب الدعوة في ١٩٥٨ يوثقها صالح الاديب في الجهاد، الثامن من شباط، ١٩٨٦، ص ٧. الحجة، هي صيغة مختصرة لحجة الاسلام، وهو لقب للمجتهد الذي يكون في مرتبة ادنى من آية الله.
١٣. الاديب، "تغيير اجتماعي". ان الاشارة إلى سواد الناس من المؤمنين بوصفهم "اذرع" للدعوة تشير إلى الخضوع إلى السلطة الدينية.
١٤. الصدر، من فكر الدعوة، ص ٩.
١٥. المصدر السابق، ص ٢٦.
١٦. المصدر السابق. ان الوسيلة التي تمكن بواسطتها السيد الصدر من تعبئة الامة هي ذات الوسيلة التي استخدمتها مؤخراً جماعة الحجتية في ايران لنشر الاسلام. انظر شاهاغالديان، المؤسسة الدينية، ص ٦٤. ويعتقد شاهاغالديان ان دستور الحجتية نُشرَ في ١٩٨٢، أي بعد خمس وعشرين سنة من كتابة السيد الصدر لاستراتيجية الدعوة. ولربما اعتمد

- الحجتية والسيد الصدر على برامج معترف بها للهداية ضمن الطائفة المسلمة، أو لربما اعتمد الحجتية على السيد الصدر.
١٧. حياة الحكيم، ص ٢٩.
١٨. كل دونم يساوي ٦٢ أكرأ.
١٩. بنروس وبنروس، العراق، ص ٢٠٠.
٢٠. الخاطب ابن النجف، الحركات، ص ١٤.
٢١. المصدر السابق، ص ١٦. ان التاريخ الذي يورده الخاطب ابن النجف المحدد بعام ١٩٥٨ لنشوء تنظيم جماعة العلماء قد اورده لي ايضاً الحجة مهدي الحكيم.
٢٢. تتبع الشيعة الاثنا عشرية تعاليم الامام السادس جعفر الصادق، ولذا يُعرفون احياناً بالجعفرية.
٢٣. تصريح الشيخ شلتوت في السابع من تموز، ١٩٥٩، الوارد في شيري، الهجوم على الشيعة، ص ١٠٩. ان المذاهب السنية الاربعة (الحنفي، والشافعي، والمالكي، والحنفي) تتفق في عقيدتها الجوهرية ولكنها تختلف في تفسيراتها للقرآن وتطبيق الشريعة.
٢٤. ان الوظيفة الاجتماعية لقوانين الارث المختلفة لم يتم، على حد علمي، تقييمها تقييماً علمياً. ولعل تحقيق المساواة في الارث تُضعف الاطار الابوي بتمكينها للنساء الساخطات من ان يصبحن أكثر استقلالاً عن الاقارب الذكور. ولا يتوافر دليل من التجربة العراقية، فأحد أول اجراءات الحكومة البعثية التي حلت محل الزعيم عبدالكريم قاسم تمثل في تعديل قانون الاحوال الشخصية لعام ١٩٥٩ لتمكين الورثة الذكور من تلقي ضعف الحصة الارثية مجدداً.

٢٥. فلور، "شخصية العلماء الايرانيون"، ص ٥٠٤. استمال مالكو الاراضي في ايران بروجردي وزعماء دينيين آخرين لمنع الشاه من تطبيق قانون الاصلاح الزراعي المقترح . وقامت الحكومة الايرانية عندها بالغاء بعض الفقرات من القانون التي يعدها العلماء متعارضة مع الاسلام، الامر الذي جعل القانون غير ذي قيمة نسبياً بوصفه اصلاحاً.
- وكما لوحظ في الفصل الثاني، كان آية الله بروجردي قد اصدر في عام ١٩٥٠ حظراً مُلزماً حيال مشاركة رجال الدين في السياسة.
٢٦. حياة الحكيم، ص ٤٩-٥٠.
٢٧. ارجوماند، "الثورة الايديولوجية في التشيع"، ص ١٨٩.
٢٨. مهدي الحكيم، وارد في "غليان العراق".
٢٩. الصدر، النظام السياسي الاسلامي، ص ٣٥.
٣٠. دان، عراق قاسم، ص ٣٠٢.
٣١. المصدر السابق، ص ٣٠١-٣٠٢.
٣٢. الثالث عشر من اذار، ١٩٨٨، مقابلة تليفونية مع إمام من أسرة دينية مرموقة في كربلاء، كان يعمل في كربلاء حين تأسست منظمة العمل الاسلامي ولكنه لم يرغب بذكر اسمه لأن إياه التسعيني العمر كان وقت اجراء المقابلة في احد السجون العراقية. وبحدود عام ١٩٦٩، جرى قبول اعضاء لا ينحدرون من خلفيات دينية في المنظمة.
٣٣. الكاتب، تجربة الثورة، ص ١٧٢.
٣٤. السادس من آب، ١٩٨٦، مقابلة مع السيد مهدي الحكيم في لندن.
٣٥. الحسينية (الجمع حسينيّات) هي مركز دراسات ديني للسكان الشيعة المحليين.

٣٦. الخاطب ابن النجف، الحركات، ص ٢١-٢٢.

٣٧. الاديب، "التغيير الاجتماعي" وصوت العراق الثائر، تموز ١٩٨٨، ص (١) و (١٠).

٣٨. الاديب، "الحزب الفاطمي".

٣٩. حسن، الشهيد الصدر، ص ٣٣. انضم حسين الصافي، وهو نجفي، إلى حزب البعث بعد تسلمه السلطة في ١٩٦٣. وارتقى ليصبح وزيراً في الحكومة البعثية الثانية بيد ان الحكومة نفسها اعدته في نهاية الامر.

٤٠. الاهرام (القاهرة)، ٢٧ أيلول، ١٩٦٣، كما يرد في بطاطو، الطبقات الاجتماعية القديمة.

٤١. بطاطو، الطبقات الاجتماعية القديمة، ص ٩٨٨-٩٩٠.

٤٢. لم أرَ أية اشارة مكتوبة لدور الشيخ الخالصي في حمام الدم عام ١٩٦٣، ولكن هذا الامر كان معروفاً في الكاظمية خلال إقامتي في العراق في اواخر ستينيات القرن العشرين ومطلع سبعينياته. وقد اصاب الروع الشيعة جراء اعمال القتل، وقد نسبت افعال الخالصي إما لكونه عميلاً لوكالة المخابرات المركزية الامريكية أو لكونه مختلاً عقلياً. ولايراد دليل على الافتراض الاول، فقد اوردوا قيام العديد من الامريكان بزيارته. ولا يراد دليل على الافتراض الثاني، فقد اوردوا امثلة عن اللاعقلانية في سلوكه. فقد شنّ ذات مرة حملة استغرقت ثلاثة اشهر ضد تناول لحم الارانب، وهو امر لم يكن بمقدورهم، لعدم وجود ارانب في المدينة.

٤٣. الاديب، "الحزب الفاطمي". ان اسم الفاطمي مرتبط بالتشيع لأن الشيعة مخلصون لابنة النبي، فاطمة (عليها السلام - المترجم)، التي ينحدر

منها اهل البيت، ولأنّ سلالة شيعية، الفاطميين، حكموا مصر في ازمة تعود إلى القرون الوسطى.

٤٤. حياة الحكيم، ص ٥٤.

٤٥. المصدر السابق، ص آ-٤١ وآ-٤٢.

٤٦. حامد روحاني، دراسة وتحليل لحركة الامام الخميني (منشورة في الاصل بالفارسية)، كما اوردها الهلال الدولية، ١٦-٣١ تشرين الاول، ١٩٨٧، ص ٩ و ١١. كان السيد روحاني، وهو فارسي، مع آية الله الخميني في النجف خلال نفيه هناك. ويُعد كتابه تاريخاً رسمياً للثورة الايرانية.

٤٧. الخاطب ابن النجف، الحركات، ص ٧٠. الشيخ البدي وشندلة غير المنحدر من خلفية دينية كانا من السُنّة.

٤٨. الكاتب، تجربة الثورة، ص ١٨٦.

٤٩. بطاطو، الطبقات الاجتماعية القديمة، ص ١٠٧٤. حين جرى نفيه من العراق، استقر العقيد الداود في العربية السعودية. وفي ١٩٩٠ ورد انه كان يتلقى دعماً من السعوديين بوصفه بديلاً ممكناً لصدام حسين.

- ٤ -

عنف الدولة

كان مجلس قيادة الثورة، وهو الهيئة التشريعية والتنفيذية العليا للحكومة البعثية، يتكون بالكامل من البعثيين السُنّة وهذا المجلس، الذي يرأسه صدام حسين (كان يُعرف بصدام التكريتي)، وهو شاب كان قد برز بروزاً سريعاً في السياسة العراقية وواصل نشاطه ليهيمن على مقدرات البلاد، يقوم (أي المجلس - المترجم) بتعيين جميع الوزراء ومحافظي المحافظات الثماني عشرة.

وُلِدَ صدام في قرية عربية سُنّية قرب تكريت في ١٩٣٧. وأمضى جزءاً من حياته المبكرة في قريته التي يهيمن عليها الفقر مع أمه وزوج أمه، الذي اساء معاملته حسبما يُذكر. وفي سن التاسعة، ذهب إلى بغداد للعيش في بيت خاله، وهو ضابط جيش. وهناك التحق بمدرسة لأول مرة في حياته. وحين اكمل الدراسة المتوسطة، بحدود عام ١٩٥٦، حاول الالتحاق بالمدرسة العسكرية ولكنه رُفِضَ بسبب درجاته الواطئة^(١). وبات صدام معروفاً بميله لقتل الشيوعيين ولربما اصبح مرتبطاً بوكالة المخابرات المركزية الامريكية^(٢). ورغبته بالقتل افضت إلى قيام حزب البعث بتجنيدِه في محاولة اغتيال عبدالكريم قاسم التي نفذها البعثيون. وقد اختص صدام بأمور التعذيب في الحكومة البعثية الاولى (شباط إلى تشرين الثاني ١٩٦٣) وتعرض للسجن في عهد حكومة عبدالسلام عارف في ١٩٦٤. وبعد هروبه من السجن في ظل ظروف غامضة في ١٩٦٦، غادر صدام إلى مصر، حيث انضم هناك إلى احدى المدارس بدوامٍ متقطعٍ كما يُذكر.

وحين عاد البعث إلى السلطة في ١٩٦٨، ظهر صدام مجدداً بوصفه نائباً لرئيس البلاد، وأُنيطت به مسؤولية تطوير حزب البعث بين المدنيين. وعلى الرغم من ان احد اقاربه، أحمد حسن البكر، الرجل العسكري الرفيع الرتبة، تولى منصب الرئاسة، فقد اصبح صدام بعد فترة قصيرة الرجل القوي في الحكومة.

وقد وجد العلماء أنفسهم في مواجهة استراتيجية حكومية جديدة، وهي استراتيجية أكثر عداءً لهم مما كان عليه الطابع العلماني للبريطانيين أو السياسات اليسارية لعبدالكريم قاسم. وقد شرعت الحكومة البعثية، خلال اسابيع من تسلمها السلطة، بحملات تطهير دورية باتت تُوَطر طبيعة حكمها^(٣). وفي تشرين الاول عرضت الحكومة على الشعب "دليلاً" على وجود شبكة تجسس تعمل لحساب اسرائيل، وفي الخامس من كانون الثاني ١٩٦٩، اعدمت الحكومة شنقاً أربعة عشر "جاسوساً" ينتمي بعضهم إلى الطائفة اليهودية العراقية القليلة العدد. وفي ربيع ١٩٦٩، انخرطت الحكومة بخلاف دبلوماسي مع شاه ايران حيث كان لهذا الخلاف عواقب وخيمة على شيعة العراق. وتمثلت احدى الخطوات في إرسال الحكومة العراقية لرسالة إلى السفير الإيراني في بغداد في الخامس عشر من نيسان ، تَبْلَغُ ايران فيها بعدم السماح لافراد البحرية الايرانية باستخدام المراكب البحرية الايرانية في شط العرب^(٤). وفي التاسع عشر من نيسان، الغت ايران اتفاقية ١٩٣٧ التي حددت الحدود الخاصة بالجانب الإيراني للشط وتوقفت ايران عن دفع اجور مرور للجانب العراقي ورفع السفن الايرانية للعلم العراقي عند مرورها في الشط. وقد زار الرئيس العراقي، أحمد حسن البكر، آية الله الحكيم وطلب منه شجب الحكومة الايرانية. وحين رفض آية الله الحكيم تعريض وصول

الزوار الإيرانيين إلى المدن المقدسة للخطر في حالة قيامه بشجب الشاه، أقدمت الحكومة العراقية على اعتقال علماء الدين الإيرانيين العاملين في الحوزات العلمية في النجف. وأصدر صالح مهدي عمّاش، وزير الداخلية، أمراً باغلاق جامعة الكوفة في النجف وقام بمصادرة الاموال الوقفية والتشغيلية الخاصة بالجامعة. وجرى وضع رقابة صارمة على المطبوعات الدينية. وبعد تدخل آية الله الحكيم نيابة عن العلماء العاملين في الحوزات العلمية، "سمحت" لهم الحكومة بمغادرة العراق، بيد ان شيعة آخرين، جرى توجيه الاتهام لهم بكونهم "إيرانيين"، يبلغون زهاء (٢٠) ألف شخصاً في مجملهم، تم اعتقالهم والقاؤهم على الحدود الإيرانية. وفي مطلع حزيران، قاد آية الله الحكيم موكب سيارات للعلماء والتجار من النجف إلى بغداد للاحتجاج على اجراءات الحكومة^(٥). وخلال مكوثه المطول في بغداد، جاء آلاف الشيعة لمبايعته. وردت الحكومة على ذلك باعتقال نجل آية الله الحكيم وتعذيبه ومن ثم اتهام السيد مهدي الحكيم علناً بكونه جاسوساً لاسرائيل. وجرى استعمال هذه التهمة لمنع الناس من زيارة آية الله الحكيم. وزُجَّ بالسجن السيد حسن شیرازي (١٩٣٤-١٩٨٠)، الذي القى خطاباً ينتقد فيه اجراءات الحكومة في الحسينية الطهرانية في كربلاء، لمدة تسعة اشهر فضلاً عن تعذيبه ومن ثم نفيه وقد أُعتقلَ الشيخ عبدالعزيز البدري، الذي دافع عن السيد مهدي الحكيم من على منبر في احد المساجد السنّية الرئيسة، وقُتلَ في السجن، ليصبح أول شهيد للحركة الإسلامية المعاصرة في العراق. وكان مقتل الشيخ البدري بمثابة رسالة إلى السنّة الميالين إلى توحيد قواهم مع الشيعة، ولهذا الغرض أُلقيت جثته التي تعرضت للتعذيب على قارعة داره^(٦). وقد وجه عدداً من العلماء الشيعة، بضمنهم السيد مهدي الحكيم،

رسالة إلى الحكومة، تحمل تاريخ (٢١) ربيع الاول ١٣٨٩ هجرية، يُطالبون فيها:

١. بالسحب الفوري للرقابة المفروضة بموجب قوانين الدولة على المطبوعات الدينية، هذه الرقابة التي تهدف إلى قمع المفاهيم الدينية.

٢. ... ضرورة السماح بصدور صحيفة يومية تعكس الموقف الاسلامي للحياة وتُعبّر عن المعتقد الديني.

٣. ولذا، نطالب، بوجوب عدم مصادرة الملكية، وسوق الاتهامات الزائفة بالتجسس، وعدم توجيه اتهامات زائفة على اساس الاختلاف في المواقف السياسية. ويتوجب ايقاف تجاوزات كهذه. وينبغي عدم التجني على الاشخاص اعتماداً على أدلة غير موثوقة، أو اعتماداً على اعترافات يجري انتزاعها اثناء التعذيب. ان احكاماً كهذه تكون ذات طبيعة وحشية.

٤. ... ينبغي عدم سوق الطلبة العراقيين... في مراكز التعليم إلى الخدمة العسكرية حتى يتخرجوا... وان الطلبة القادمين من دول اسلامية اخرى لغرض الدراسة ينبغي السماح لهم بموجب القانون بالاقامة في العراق طوال مدة دراستهم.

٥. ضرورة ان ينص القانون ايضاً على وجوب السماح لكل مسلم، بغض النظر عن الطائفة التي ينحدر منها، بالاقامة في أي من الاماكن المقدسة، وفقاً لمعتقده الديني^(٧).

وقد واصلت الحكومة مصادرة الاموال الوقفية الدينية في النجف ومنعت المواكب الدينية. وجرى الغاء المدارس الدينية، وإيقاف تلاوة القرآن في الاذاعة والتلفزيون، وإلغاء تدريس مادة التربية الاسلامية من مناهج

المدارس الحكومية^(٨). وقد أُعتقلَ ممثلو آية الله الحكيم ومساعدوه. وردت الطائفة الشيعية على الاجراءات بتنظيم تظاهرات معادية للحكومة في النجف ومدن شيعية اخرى، بضمنها البصرة، حيث استمرت التظاهرات ثلاثة ايام. ومالت مجموعة من الشيعة إلى مواجهة عنف الحكومة بعنفٍ مقابل من جانبهم حيث شكلوا منظمة تُدعى "جند الامام"^(٩).

وقد اصدر آية الله الحكيم حظراً على الانضمام إلى حزب البعث وقام بارسال نجله السيد مهدي لتقديم النصيح إلى الشيعة بضرورة الالتزام بهذا الحظر. وفي هذا الوقت اتجه السيد مهدي الحكيم إلى المنفى قبل تنفيذ حكم الاعدام الصادر بحقه. وفي اواخر ١٩٦٩ قامت القوات الحكومية بالاغارة على منازل اعضاء المجموعات الاسلامية غير المنحدرين من خلفيات دينية. وقد صودرت كتبهم أو أُحرقت ، وتم اعتقالهم وتعذيبهم^(١٠). ولوجود شكوك حول مقبولية استعمال العنف ضد حكومة تعترف بالاسلام وادراكاً لحقيقة ان موقفهم يتسم بالضعف قياساً بموقف الحكومة، فقد افضى ذلك بالمجموعات الاسلامية الشيعية إلى إصدار قرار بانهاء نشاط منظمة (جند الامام).

وفي العشرين من كانون الثاني ١٩٧٠، اعلنت الحكومة عن كشفها لمؤامرة ضالع فيها شاه ايران ومجموعة من الضباط العراقيين. وقد جرى إعدام اربعة واربعين شخصاً خلال اربع وعشرين ساعة من الاعلان على المؤامرة، بضمنهم ثلاثة اشخاص في الاقل ممن كانوا متعاطفين مع الحركة الاسلامية: مهدي التميمي، مدير المدارس الشيعية في بغداد، والفريق المتقاعد محسن الجنابي؛ والفريق محمد فرج^(١١).

وجاءت الخطوة اللاحقة من آية الله الخميني وقدمت إجابة لاعتقادٍ متنامٍ بعدم وجود سبيل لاصلاح إما الحكومة الايرانية أو الحكومة العراقية. وبين

الحادي والعشرين من كانون الثاني والثامن من شباط، ١٩٧٠،لقى آية الله الخميني سلسلة من المحاضرات التمهيدية في النجف. وفي هذه المحاضرات، المنشورة في اللغة الانكليزية بعنوان "الحكومة الاسلامية" (١٩٨٥)، دعا آية الله الخميني إلى إقامة حكم مباشر يتولاه الفقهاء وأكد على واجب الفقهاء بإقامة دولة اسلامية. وقد وجه توبيخاً للفقهاء الاكثر ميلاً لعدم إثارة المشكلات لأنهم حجموا دورهم إلى مجرد إقامة الصلوات ومناقشة المسائل الدينية مع بعضهم البعض. وعبر آية الله الخميني ايضاً عن تفاؤل مميز بخصوص جدوى الاحتجاج وفاعليته: "لو جرى تنظيم احتجاج جماعي ضد الطغاة الذين يرتكبون فعلاً جائراً أو جريمة... لكفوا قطعاً عن افعالهم المشينة؛ فهم جنباء ويتراجعون بسرعة كبيرة عن هذه الافعال" (١٢).

وفي الثاني من حزيران، ١٩٧٠، توفي آية الله الحكيم. ولرفضهم قيام الحكومة بنقل جثمانه إلى النجف، فقد رافق جمعٌ غفير نعشه على امتداد (١١٠) ميلاً من بغداد إلى النجف (١٣). وبعد فترة قصيرة جرى خلالها التوصل إلى إجماع، منح اتباع آية الله الحكيم ولاءهم إلى السيد محمد باقر الصدر وإلى آية الله ابو القاسم الخوئي. وبتبؤا السيد الصدر لمرتبة آية الله، استمر الامر بوجود مرجع عربي واحد (الجمع مراجع ، وهم الذين يقدمون المشورة للمجتهدين الآخرين). ومن الناحية السياسية، كان آية الله الصدر يمثل مجموعة وسطى بين المرجعين الآخرين في النجف ، أي بين تأييد آية الله الخميني لحكم الفقهاء وبين النهج الذي يقره آية الله الخوئي المتمثل بتفادي الانخراط في امور السياسة.

وقد اصدرت الحكومة البعثية دستوراً جديداً في السادس عشر من تموز، ١٩٧٠، اشارت فيه إلى الاسلام اشارة وحيدة في احد البنود "الاسلام دين

الدولة" وقد قلل القانون رقم ١١٧ لسنة ١٩٧٠ من حجم الملكية الزراعية التي بإمكان الفرد حيازتها والغى التعويض المقدم إلى مالكي الاراضي لقاء الاراضي المصادرة. وسعت الحكومة إلى ابراز تاريخ العراق لفترة ما قبل الاسلام وتمجيده بوصفه سبيلاً لتوحيد العراقيين. وجرى ابراز الازياء والمسرحيات، والمواقع الجغرافية التي تعود إلى حقبة العراق القديم ابرازاً جلياً، وقد أُستبدلت اسماء الالوية العراقية (وهي مناطق أو محافظات ادارية) باسماء تعود إلى حقبة ما قبل الاسلام، كبايل^(١٤).

وقد عدّ العلماء اهتمام الحكومة بالفترة الوثنية من تاريخ العراق بوصفه هجوماً آخر على الاسلام. ولإيمانهم بالأخوة الاسلامية، لم يكن العلماء متحمسين للقومية العربية، غير ان العروبة مدينة بالعرفان إلى الاسلام كونه العقيدة التي مكنت العرب من التوحد وإلى القرآن كونه الواسطة التي حافظت اللغة العربية من خلالها على ديمومتها. وبالنسبة لرجال الدين، لم يكن للوثنية آية قيمة تستحق التجديد البتة.

وفي عام ١٩٧١ شرعت الحكومة بتقليص سمات الدخول لغير العرب من الراغبين بالدراسة في الحوزات العلمية، الامر الذي حجّم كثيراً من عدد الطلبة في النجف. وفي ايلول، قامت الحكومة بطرد زهاء اربعين الفاً من الكرد الفيلية إلى ايران، وهم الكرد الوحيدون الذين يعتنقون المذهب الشيعي. وعلى الرغم من ان الكرد الفيلية استقروا لقرون في المنطقة التي تقع شرقي بغداد، حيث يلتقي اكراد الشمال السنّة العراقيون بشيعة الجنوب العرب، فقد زعمت الحكومة انهم ايرانيون. وشأنهم شأن العديد من العراقيين، لربما جاء الكرد الفيلية من ايران في وقتٍ ما من التاريخ، لكنهم كانوا قد استقروا في العراق لاجيال وتصاهروا مع بقية العراقيين.

وثمة مليوناً عراقياً، يشكلون حوالي (٢٠%) من الشيعة العراقيين، تجري الإشارة اليهم بكونهم "من اصول إيرانية" في الوثائق الخاصة بالجنسية^(١٥). وقد جاء بعض من هذه الأسر إلى العراق قادمين من إيران قبل قرون مضت؛ ومضى على الآخرين جيل أو جيلان حصراً منذ قدومهم من إيران. أما بالنسبة للايرانيين الفعليين في العراق، فبعد فترة وجيزة من تسلم البعثيين السلطة في العراق، كانت المصادر العراقية قد قُتِرَت ان (٢٢,٨٦٠) منهم ممن يعيشون في العراق في ١٩٦٨ يحملون جوازات سفر إيرانية^(١٦). وعلى الرغم من ذلك، فقد جرى ترحيل (٦٠) ألف "إيرانيا" إلى إيران في تشرين الثاني ١٩٧١ بعد إقدام إيران على احتلال الجزر الخليجية العائدة للإمارات العربية المتحدة. وحيث ان العديد من هؤلاء المهجرين لا يعرفون اللغة الفارسية ولم يستطيعوا التأقلم مع المجتمع الإيراني، فقد غادروا إيران وشكلوا مخيمات للجوء في سوريا على امتداد الحدود العراقية أو انتقلوا إلى منطقة السيدة زينب في دمشق. وقامت الحكومة بمصادرة ممتلكات المهجرين وبيعها^(١٧). وقد قُطِعَت العلاقات الدبلوماسية بين إيران والعراق، ولم يتم السماح للزوار الإيرانيين، للفترة من ١٩٧١ إلى ١٩٧٦، بزيارة الاضرحة الشيعية المقدسة في العراق، الامر الذي حرم النجف وكربلاء من المصدر الرئيس للدخل^(١٨).

وفي مطلع ١٩٧٢، واستناداً إلى معلومات مُنتزعة من عبدالصاحب الدخيل، وهو أحد قياديي حزب الدعوة الذي أُعْتِقِلَ في ١٩٧٠، قامت الحكومة بسجن آية الله الصدر والشيخ محمد باقر الحكيم، أحد انجال آية الله الحكيم، لفترة وجيزة. وقد مات عبدالصاحب الدخيل ميتة مروعة في السجن في ١٩٧٢^(١٩). وقد أُنْذِرَ مصير الدخيل هذا بحالة العنف التي سيستعملها

البعثيون استعمالاً متزايداً ضد خصومهم السياسيين. ووضعت الحكومة شرطاً بضرورة ان يكون الموظفون المدنيون في مواقع المسؤولية اعضاء في حزب البعث. وقد أحيل الافراد الذين يتبوؤون المناصب العالية من غير الراغبين بالانتماء إلى الحزب إلى التقاعد من الخدمة الحكومية.

ورافقت اجراءات الحكومة البعثية ذات القبضة الحديدية ازاء الشيعة المثقفين والمواظبين على اداء فروض دينهم سن برامج اجتماعية ذات فائدة أو فائدة محتملة للفقراء. وقد سُنَّ قانون للضمان الصحي وتزويد القرى بالطاقة الكهربائية. ورفَّع الحد الأدنى للاجور في ١٩٧٣، ١٩٧٤، و١٩٧٧. وشُمِّلَ عمال اضافيون ببرنامج الامن الاجتماعي^(٢٠). غير ان الحكومة ازلت ايضاً ما كانت قد قدمته؛ فحين أمتت الحكومة شركة نفط العراق في حزيران ١٩٧٢، جرى تخفيض رواتب الموظفين الحكوميين لمساعدة الحكومة في الصمود بوجه مقاطعة غير متوقعة لشراء النفط العراقي من شركات النفط الدولية. ومع ذلك، كان قرار التأميم شعبياً؛ فقد سعى العراقيون الناشطون سياسياً من اجل اصداره منذ عقدين في الاقل. وقد استغلت الحكومة شعبية التأميم لتشن اعتقالات "جماعية" للناشطين الاسلاميين. وقد اورد العديد من العراقيين ان الحكومة استعملت قوتها وبأسها في الصمود بوجه الامبريالية بوصفه تبريراً لغض النظر عن تجاوزاتها الداخلية، على الرغم من أن حجم هذه التجاوزات لم يكن معروفاً معرفة تامة^(٢١). وقد ناقض تأميم الصناعة النفطية ومعاهدة الصداقة المبرمة مع الاتحاد السوفيتي التي سبقت قرار التأميم الاعتقاد بان صدام رجل وكالة المخابرات المركزية الامريكية، حيث انطوى كلا الاجراءين على ان الحكومة لم تكن خاضعة للسيطرة الغربية.

نحو الشمولية

في عام ١٩٧٣، أعادت الحكومة تنظيم وصياغة قواتها الامنية. وقد تلقى البعثيون النصائح التنظيمية، والتدريب، والمعدات المتطورة للرقابة و "الاستجواب" من المانيا الشرقية والشرطة السرية السوفيتية (KGB) (٢٢). وبعد ذلك في اذار ١٩٧٤ شنت الحكومة جهداً عاقداً العزم لاختضاع الكرد العراقيين. ومع تزايد ماتم الجنود الشباب (الذين لقوا مصارعهم في الحرب الحكومية ضد الكرد - المترجم) في المساجد الشيعية، وجه العلماء على نحو يتسم بعدم تقدير العواقب شكاوى إلى الحكومة. وحين ظهر ان هذه الشكاوى لا طائل منها، نظم العلماء احتجاجاً شعبياً على استمرار الحرب في الشمال خلال مراسيم احياء ذكرى عاشوراء. وفي الثامن عشر من تموز اعتقلت الحكومة ثلاثين قيادياً شيعياً، حيث جرى تنفيذ الاعدام بخمسة منهم (قيادي في حزب الدعوة، والشيخ عارف البصري، واربعة من طلبته) (٢٣). وفي مسعى لحماية طلبته، اصدر آية الله الصدر فتوى تحظر الانتماء لحزب الدعوة. ولتفادي الاعتقال، سعى الاسلاميون إلى الحصول على وظائف في الغرب، ولبنان، ودول الخليج العربية.

وفي خطوة مثيرة لسخط الطائفة الشيعية، التي كانت قد شهدت طرد العديد من الشيعة العراقيين المولودين في العراق أو اربابهم بغية حملهم على مغادرة البلد، تعهد مجلس قيادة الثورة في كانون الثاني ١٩٧٥ بمنح الجنسية العراقية لأي عربي من غير الفلسطينيين يتمتع بحسن السلوك والسيرة. وتزايدت الضغوط الاقتصادية على غير البعثيين حين ضمنت الحكومة لجميع البعثيين من خريجي الجامعات فرصاً للتعيين في دوائر الدولة (٢٤). وبسبب الحظر المفروض على الزوار الايرانيين، ووجوب

الانتماء لحزب البعث لتولي المناصب الخاصة بصناعة القرار في البيروقراطية الحكومية، فإن الوضع الاقتصادي للعديد من الأسر أجبرهم على الانتماء للحزب أو مغادرة البلاد. وطبقاً لآية الله الصدر، "فقد احتكر الطغاة مناصب الحكومة وفقاً لأسس عشائرية؛ فقد ضيقوا كل مصادر الدخل بوجه جميع المواطنين، إلا من ارتضى المهانة والخزي وباع كرامته واصبح عبداً للقائمين على السلطة"^(٢٥) وخضع النظام التعليمي لسيطرة حكومية كاملة. وكما وصف تقرير لحزب البعث التغييرات المنجزة في مجال التعليم "لقد أصر الحزب على القيام بتغيير حذري في هذا القطاع، يشمل إبعاد الأشخاص ممن يتبنون وجهات نظر رجعية وبورجوازية عن كل مستويات التعليم، من حضانات الاطفال إلى الجامعة، [و] توفير الكتب والمناهج الجديدة التي تتسجم ومبادئ الحزب والثورة"^(٢٦).

وقد ضاعفت الاسعار المتصاعدة من الصعوبات التي تواجهها الأسر التي قلَّ دخلها جراء التقاعد الاجباري من الخدمة الحكومية. وقد دفع الانفاق الحكومي المرتفع الاقتصاد إلى الحد الأقصى من الانتاج، الامر الذي أوجد نقصاً أفضى إلى التضخم، حيث قُدِّرَت نسبته رسمياً بـ(٢٥%) بين ١٩٧٥ و ١٩٨٠^(٢٧). ولم يكن المهندسون، والمدرسون، والمحامون، وموظفو الخدمة المدنية الآخرون قادرين على حيازة سكن خاص وكانوا مجبرين على تأخير الزواج إلا اذا كانوا راغبين بالعيش في منازل ذويهم. وفي بغداد، على وجه الخصوص، كانت اجرة المساكن مرتفعة ارتفاعاً مفرطاً. وفي اذار ١٩٧٥ وقعت الحكومة اتفاقية الجزائر مع شاه ايران، حيث تحددت بموجبها الحدود الايرانية - العراقية عند خط التالوك في شط العرب بدلاً من الجانب الايراني من الشط، الذي كانت اتفاقية ١٩٣٧ قد ثبتت الحدود عنده.

وبالمقابل، سحب الشاه دعمه للکرد العراقيين. وقد انهارت المقاومة الكردية خلال اسبوعين . وفي وقت مبكر من عام ١٩٧٦، قامت الحكومة بترحيل (٢٠٠) الف شخصاً، معظمهم من الكرد، من المناطق الحدودية الشمالية إلى الجنوب الشيعي. وقد حدثت اعتقالات واسعة النطاق للعراقيين الشيعة وزوار العتبات المقدسة الشيعية في العراق في ١٩٧٦ (٢٨).

وكان لوسيلة الحكومة بالسيطرة الصارمة آثار فادحة ليس على الشيعة والكرد فحسب، بل على الاقتصاد ايضاً. وكانت الانتاجية في الصناعة العراقية واطئة، الامر الذي أفضى إلى عقد حلقات دراسية في ١٩٧٦ تضم اعضاء في مجلس قيادة الثورة. وقد طُرحت ثلاثة اسباب للانتاجية الواطئة: التوتر بين العمال ومدراءهم، وضعف التنسيق، والسخط السياسي. ورد صدام على ذلك بعدم معالجة أي من هذه الاسباب: "لا زيادة في الاجور بغير زيادة في الانتاج" (٢٩). وقد تدنت معايير الحرية الفردية؛ فابتداءً من ١٩٧٦، أنيطت باعضاء حزب البعث مسؤولية مراقبة مناطقهم ورفع التقارير عن أنشطة جيرانهم.

وتكمن هذه المشكلات، مقارنة بالمشكلات التي تواجهها الصناعة، في البيروقراطية العراقية غير الكفاءة والمثبطة الهمة؛ فالقوة البيروقراطية، التي تعتمد منطقياً على المعرفة الخبروية، تعتمد في العراق على الولاء السياسي. وقد اوردت وحدة الاستخبارات الاقتصادية في ١٩٨٠ ان الخدمة المدنية في العراق تفتقر إلى الكادر المدرب تدريباً مناسباً، وانها عرضة للتغيير السريع في مواقع السلطة، وتحوز على معايير تتدنى تدنياً سريعاً كلما ابتعد موقع العمل عن بغداد (٣٠). وقد لعب التقاعد الاجباري للشيعة الموجودين في المواقع العليا دوراً في ضعف اداء الجهاز البيروقراطي.

وعلى الرغم من حظر التجمعات الجماهيرية، فإن زهاء (٣٠) ألف شيعياً، العديد منهم الزموا انفسهم باداء نذور دينية، انطلقوا في الخامس من شباط، ١٩٧٧، لاداء الزيارة السنوية من النجف إلى كربلاء لاحياء ذكرى استشهاد الامام الحسين (عليه السلام - المترجم). وقد خضعت المسيرة، التي أطلق عليها انتفاضة صفر، لتنظيم متقن من رجال الدين في النجف^(٣١). وجرى تنظيم حركة المشاركين في المسيرة في الحسينيات، حيث كانت الحشود تأتي من مناطق في الجزء الجنوبي والوسط من العراق. وقد وُزعت منشورات مطبوعة تعلن بدء الزيارة بغية تجنب اثاره انتباه الحكومة قدر الامكان. وجرى رفع ثلاث رايات كبيرة وعدد من الرايات الاصغر. وقد غادر الزوار النجف في يوم الجمعة، وهو اليوم المقدس عند المسلمين، هاتفين بالشعارات الآتية:

كل الشعب ضدك

يابعث، لا نريدك

قدمت النجف اربعة شهداء

قولوا للبكر ان كل إصبع منهم

بمئة^(٣٢).

وقاد الموكب رجال يحملون علماً كبيراً أخضر اللون، وهو لون الإسلام. وإن يد الله فوق يد الناس، في رسالة واضحة للحكومة البعثية. وقال العلماء انهم كانوا يأملون بعدم استخدام القوة ضد حشد كبير، وإلا فان هذا الامر سيفضي إلى تغيير في الملاكات والسياسات ضمن الحكومة.

وبين النجف وكربلاء، قام الجيش باعتراض الموكب ومهاجمته بسميات الجيش من الجو^(٣٣). وخلال اليومين التاليين، تعقبت دبابات الجيش الفارين

إلى مدينة كربلاء. وعلى الرغم من أن بعض الجنود انضموا إلى المتظاهرين ، فقد قتل الجيش ستة عشر شخصاً واعتقل حوالي ألفين. وصدرت احكاماً بالاعدام بحق ثمانية اشخاص في الخامس والعشرين من شباط. وجرى تداول اخبار الانتفاضة على المستوى الدولي، وتمت تسميتها "بالشغب"، الامر الذي أفضى إلى التخمين بأن الزوار كانوا مسلحين تسليحاً جيداً، ولعلمهم كانوا يحوزون على اسلحة من الكرد الذين جرى ترحيلهم إلى الجنوب^(٣٤). وفي واقع الامر، فإن قلائل في العراق، عدا الحكومة وبعض الكرد في الشمال، كانوا يحوزون على اسلحة في ١٩٧٧. وكانت الحكومة قد اعتقلت المهجرين الكرد من دون إشعار ونقلتهم بالشاحنات إلى الجنوب. وإذا كانت الحكومة لم تعرف بقيادة العلماء للحركة الاسلامية قبل انتفاضة صُفر، فانها (أي الحكومة - المترجم) عرفت بهذا الامر بعد ذلك. وقد سئل المعتقلون عن المجتهد الذي يتبعونه وعن علاقتهم بآية الله الصدر^(٣٥). وبعد الاستجابات، جرى ايقاف الحلقات الدراسية الشيعية، وقد فرَّ قادة الحركة الاسلامية من العراق^(٣٦). وفي الثالث والعشرين من تشرين الثاني، أُغتيل النجل الاكبر لآية الله الخميني في العراق، وهو عمل ألقى آية الله الخميني باللوم على الشاه بصدده. وفي هذه الفترة، كان (٢٠%) من مُجمل الموظفين الحكوميين العراقيين يعملون لحساب الاجهزة الامنية^(٣٧).

وفي عام ١٩٧٨ جاء الدور على الشيوعيين في حملات الاتهام والتطهير التي تواجه بها الحكومة معارضيها. واغراءً لهم بالخروج من العمل السري في ١٩٧٤ كانت الحكومة قد تعرفت على هوية شيوعيين افراد، الامر الذي مكنها من القضاء فعلياً على كامل الحزب الشيوعي العراقي دفعة واحدة. ولم ينجح في الافلات من الاعتقال سوى قلة اعلمهم اصدقاءهم واقاربهم من

العاملين في الشرطة بمخطط الحكومة ؛ فغادروا البلاد أو اختبئوا في الجبال في المنطقة الكردية في اليوم الذي أوقف فيه العمل باوامر الاعتقال. وكثفت الحكومة جهودها لجعل العقيدة البعثية العقيدة المهيمنة في العراق؛ ففي ١٩٧٨، حين أصبح الحضور في صفوف محو الامية الزامياً على كل الاميين العراقيين ممن تتراوح اعمارهم بين خمسة عشر عاماً وخمسة واربعين عاماً، باتت العقيدة البعثية امراً الزامياً في صفوف مدارس محو الامية . وجرى تجاوز التقاليد الدينية للطوائف المحلية حين انزلت الحكومة العقاب بالأسر الريفية الممتعة عن إرسال نساءها إلى مدارس محو الامية. واصبح الامتناع عن الانتماء إلى صفوف حزب البعث حجة للزج في السجون.

وقد وُضِعَ آية الله الخميني قيد الإقامة الجبرية في ايلول وتم "السماح" له بالمغادرة إلى فرنسا في تشرين الاول بناءً على طلب الشاه. وهناك تمكن من الاتصال باتباعه في ايران بيسر اكبر مما كان عليه الامر وهو في العراق. وحين تمكنت المعارضة لنظام الشاه من تجميع زخمها، اتخذت الحكومة العراقية خطوات لاجتثاث المعارضة الاسلامية لها.

وفي الثاني عشر من حزيران، ١٩٧٩، وُضِعَ آية الله الصدر قيد إقامة جبرية محكمة الحراسة استمرت حتى اذار ١٩٨٠، أي قبل شهر من تنفيذ الاعدام به. وفي الثالث عشر من حزيران، نظم انصاره انتفاضة رجب في منزله في النجف^(٣٨). وقد وصلت مجموعات كبيرة من الرجال على التوالي من بغداد، والبصرة، والناصرية، وكركوك، والديوانية، والسماوة، وديالى، واماكن اخرى لاعلان ولائهم له بوصفه مرجعاً. وضمت صفوف المتظاهرين رجال دين، واساتذة جامعيين، وطلبة، وعمال، وفلاحين،

ومنتسبين إلى القوة الجوية. وكانوا يهتفون: "باسم الخميني والصدر، سيبقى الاسلام منصوراً على الدوام. يعيش، يعيش، يعيش الصدر سيبقى الاسلام منصوراً". وحدثت مظاهرات ايضاً في كربلاء، والكوفة، ومدينة الثورة وتمثل رد فعل الحكومة في إرسال قوات عسكرية مدرعة لقمع المتظاهرين، حيث لقي العشرات منهم مصارعهم.

ومن المعتقل، اصدر آية الله الصدر فتوى تنص على ان المؤمنين المسلمين ملزمون بالجهاد ضد حزب البعث. وقد انهارت منظمة الحزب في مدينة الثورة، الامر الذي رفع من وتيرة الشكوك حول الولاء للحزب عند البعثيين الشيعة الآخرين. وقد صعدت الحكومة من مستوى القمع، وقامت باعتقال ثلاثة آلاف شيعياً واعدمت عدداً من المعتقلين. وكان بين المعتقلين اثنان وعشرون رجل دين شيعي وثلاثة رجال دين سنة حيث قامت منظمة العفو الدولية بالنيابة عنهم بالاتصال بالرئيس احمد حسن البكر في الثالث من تموز^(٣٩). (والرئيس البكر نفسه كان قيد الإقامة الجبرية في ح�يران ١٩٧٩، بيد انَّ الشعب لم يُحاط علماً باعتقاله في الوقت نفسه الذي اتصلت فيه منظمة العفو الدولية بالحكومة العراقية).

وفي ح�يران وتموز ١٩٧٩ أُعِدَّ عدد كبير من رجال الدين، بضمنهم حجة الاسلام قاسم المبرقع^(٤٠)، الذي كان مسجده مركزاً للنشاط الاسلامي في مدينة الثورة، والشيخ قاسم شُبر، وهو شيخ تسعيني العمر كان قد تقاعد منذ مدة طويلة. وجرى طرد خمسة عشر رجل دين من البلاد، بضمنهم السيد محمد الشيرازي، النجل الاكبر لآية الله حسن الشيرازي، الذي أرغم على التوجه إلى المنفى في عقدٍ سابق.

الدعوة الثورية

تلاشت اية امكانية لتحقيق تكامل اصلاحي بين الاسلام والعقيدة البعثية في تموز ١٩٧٩ حين قام صدام حسين بحملة تطهير في المستويات القيادية العليا لحزب البعث؛ فاعدم واحداً وعشرين مسؤولاً من المستوى القيادي للحزب. وقد توفي الرئيس السابق أحمد حسن البكر في ظروف غامضة في منزله. وجرى ترقية العديد من الشيعة في المواقع الدنيا للحزب كي يتبوؤوا مناصب في الحكومة الجديدة، غير ان آفاً من الشيعة الآخرين طُردوا من البلاد. وقد اصبحت جميع مناحي السلطة تقريباً بيد صدام حسين. ولتحجيم مجلس قيادة الثورة، منح قانون المجلس الوطني في ١٩٨٠ الرئيس رسمياً سلطات واسعة على حساب مجلس قيادة الثورة، وكما قال تروتسكي عن ستالين "لقد أُختزل الحزب باللجنة المركزية، وأُختزلت اللجنة المركزية بالأمين العام. وبذا أُختزل الحزب برجل واحد" (٤١).

وقد توصل قادة الحركة الاسلامية إلى الاستنتاج بان عليهم ان يتخلوا عن التظاهرات الجماهيرية لصالح وسائل احتجاج غير سلمية، وهو خيار بات ممكناً جراء انتصار الثورة الاسلامية في ايران. وكتب آية الله الصدر في صوت الدعوة:

في الوضع الحالي، لا يحتاج الاسلام إلى الاصلاح، بل يحتاج إلى الثورة. ان الدعوات الاصلاحية التي شيدت المدارس الدينية ونشرت الكتب تعد الآن سطحية، مع انها أدت غرضاً نافعاً. ان المعركة الرئيسية التي يخوضها الاسلام اليوم هي ضد اعدائه؛ فالمدارس ومناهجها، والصحف والمجلات واهدافها، ومحطات الاذاعة، جلّها ادوات بيد السلطات الحاكمة.

وان السبيل الوحيد لتغيير الدعاية يكمن في تغيير الحكام . ولذا فان دعوتنا ثورية المضمون، وهي ثورة لانقاذ الامة من وضعها الفاسد حالياً^(٤٢).

ومن اقامته الجبرية، ارسل آية الله الصدر رسائل باشرطة التسجيل إلى المؤمنين على امتداد العراق. وجرى توجيه الرسائل إلى العرب والكرد، السنّة والشيعية. واكدت على اخوة جميع المسلمين والحاجة إلى الشروع بجهاد قتالي. وكما جاء في الرسالة الاخيرة، الاكثر شهرة في سلسلة الرسائل الموجهة، "من الضروري ان نضطلع بوضع قتالي ... لقد عشت حياتي هذه في خدمة الشيعة والسنّة على حد سواء لأنني دافعت عن الرسالة التي توحدهم والعقيدة التي تجمعهم"^(٤٣).

وفي الحادي والثلاثين من تموز، اصدرت حركة التحرير الاسلامي المنبثقة حديثاً، وهي ائتلاف للحزاب الاسلامية العراقية الرئيسية، بياناً صحفياً خارج العراق تعهدت بدعم آية الله الصدر واعلنت ان الاسلاميين العراقيين كانوا يتبنون وسائل عنفية نتيجة لعنف الحكومة ضدهم. وقال البيان الصحفي ان الحكومة تحتجز اكثر من عشرة آلاف محتجزاً، وان (٣٦) كانوا قد لقوا حتوفهم تحت التعذيب، وان (١٠٠) شخصاً، معظمهم رجال دين، قد صدرت احكاماً بالاعدام بحقهم.

وبتبنيتها للاساليب الجهادية، انقسمت المجموعات الاسلامية إلى اجنحة مدنية وعسكرية. وواصلت الاجنحة المدنية تركيزها على رفع وتيرة الوعي الاسلامي؛ في حين اضافت الاجنحة العسكرية كلمة (مجاهد) إلى اسمائها وانخرطت بعمليات تدرج ضمن حرب العصابات. وكان المجاهدون افراداً مقاتلين في المجموعات الاسلامية المختلفة، وليست مجموعة واحدة تبلور استراتيجية خاصة بها^(٤٤). ولرغبتهم بالتضحية بأنفسهم بدلاً من الازعان

لسلطة جائرة، فقد اتخذوا من الامام الحسين أنموذجاً وهو الذي "قاتل ضد الهرطقة، مضحياً بنفسه في سبيل مبادئ جده النبي" (٤٥). وجرى احياء منظمة جند الامام؛ وباتت منظمة العمل الاسلامي ذات طبيعة قتالية.

ووجد حزب الدعوة، الذي كان في السابق يكسب اعضاءه بالتجنيد الفردي، اقبالاً منقطع النظير من العراقيين للانضمام إلى صفوفه. ووجد تعريف حزب البعث عموماً وصادماً حسين خصوصاً بوصفهما عدوين لدودين للاسلام صدها لدى العديد من المؤمنين. وقد عمل الاستقطاب بين الدين والعقيدة البعثية على تيسير عملية التجنيد في صفوف المجموعات الاسلامية، رغم العواقب الوخيمة للمعارضة السياسية، في العراق. وقد حفز نجاح الثورة الايرانية والرغبة في تحدي وسائل التعسف العنفي التي تستعملها الحكومة العراقية على انضمام العديد من الشباب العراقيين، المثقفين وفقراء المدن، إلى المجموعات الاسلامية.

وقد جذبت منظمة العمل الاسلامي اهتماماً شعبياً في منتصف ١٩٧٩ حين نفذت عدداً من العمليات الجهادية على غرار حرب العصابات في بغداد. وبعد ذلك في آب ١٩٧٩، حاول عضو في حزب الدعوة، الدكتور غازي الحريري، اغتيال صدام حسين في مستشفى الكرامة في بغداد باخفائه للمتفجرات تحت ملابسه. وقد احبط رجال حماية صدام المحاولة حين عثروا على المتفجرات (٤٦).

وفي الثامن عشر من ايلول، جرى اعتقال الدكتور حسين الشهرستاني، وهو مدير ابحاث في وكالة الطاقة الذرية العراقية ومسلم مواظب على اداء فروض دينه (٤٧). وفي اعقاب اعتقاله، جرى اعتقال سعيد مالك العلي، وهو واحد من كبار مهندسي الري في العراق وعبدالحليم عبدالفتاح الراوي،

رئيس مهندسين في وزارة الري؛ وقرني رفيق توفيق، وهو مهندس زراعي، لاحتجاجهم على اعتقال الشهرستاني^(٤٨).

وفي مطلع تشرين الاول، اعلنت جماعة العلماء رسمياً مساندتها للتغيير بتبني الاساليب العنيفة؛ ففي فتوى صادرة في الاول من ذي القعدة (الشهر الحادي عشر من السنة الاسلامية)، دعت جماعة العلماء المسلمين العراقيين، ولاسيما المثقفين من الشباب، "للاستعداد لمرحلة جديدة في سبيل الجهاد من اجل الحق والفضيلة"^(٤٩) وقرب نهاية عام ١٩٧٩، جرى تشكيل قوة عسكرية تابعة لحزب الدعوة، أطلق عليها لاحقاً اسم قوة الشهيد الصدر^(٥٠). وخلال عاشوراء، في تشرين الثاني ١٩٧٩، فتح شيعي يُدعى طالب علوان، المعروف ايضاً بجبار، النار على قوات امنية حكومية كانت تراقب الشعائر الدينية الشيعية في كربلاء^(٥١). وقد لقي اربعة من افراد الامن مصارعهم قبل ان يُلقي افراد امنيون آخرون القبض على المنفذ (المجاهد). وبعد ذلك، جرى الاعلان عن توسيع في حجم القوات الامنية الحكومية، وتصادت الاعتقالات في صفوف الناشطين الاسلاميين (للحصول على معلومات حول الناشطين الذين لقوا حتوفهم اثناء الاحتجاز خلال هذه الفترة، انظر الجدول ٤-١).

وفي اذار ١٩٨٠، ورد ان ستة وتسعين عضواً من اعضاء حزب الدعوة جرى اعدامهم. وفي الحادي والثلاثين من اذار، اصدر مجلس قيادة الثورة القرار المرقم ٤٦١ الذي اصبحت بموجبه العضوية في حزب الدعوة الاسلامية جُرمًا مخالفًا للقانون بأثر رجعي. وفي اليوم التالي حاول سمير نور علي، وهو (مجاهد) في منظمة العمل الاسلامي، اغتيال طارق عزيز نائب رئيس الوزراء في الجامعة المستنصرية في بغداد. وجرى تنفيذ الاعدام

بآية الله الصدر وأخته، بنت الهدى، في الثامن من نيسان. وجرى ترحيل ما يزيد على الثلاثين ألف شيعياً إلى إيران في شهر نيسان. وفي الثاني من أيار، أُغتيل آية الله حسن الشيرازي في منفاه في لبنان. وبتقدير صدام حسين، فقد اعدمت الحكومة (٥٠٠) ناشطاً سياسياً بين ١٩٧٤ و ١٩٨٠ (٥٢). وطبقاً لمصار حكومية، فإن ناشطي حزب الدعوة منظمون تنظيمياً عمودياً حيث لا يعرف اعضاء الخلية الواحدة اعضاء الخلايا الاخرى (٥٣). ويعني الارتباط العمودي ان العضو في المجموعات المرتبطة خاضع للمجموعات الاخرى، وان المجموعات في المستوى نفسه لا تتمكن من الاتصال بالمجموعات الاخرى مباشرة. ولا يطلع على جميع حقائق التنظيم اطلاقاً كاملاً سوى المركز؛ فتحقيق الانضباط والامن يتسيران جراء غياب الترابط الافقي، غير ان الاسلاميين يعرفون بعضهم البعض في الغالب من اللباس، والمعرفة المستمدة من المطبوعات الاسلامية، والمواقف المتخذة حيال المسائل الدينية.

وتجري تسمية المجاهدين وفقاً لاسماء الشهداء، الذين يسعون إلى الثأر لهم. ولذا، فبعد مقتل سمير نور علي لمحاولته اغتيال طارق عزيز، هاجمت مجموعة سمير نور علي السفارة العراقية في روما في السادس من حزيران، ١٩٨٠. وقد أصيب قائد العملية، (المجاهد) مظفر باقر في الهجوم وتوفي لاحقاً في المستشفى. عندها هاجمت مجموعة مظفر مسؤولين حكوميين في معرض فوتوغرافي في بغداد في الرابع عشر من تموز، ١٩٨٠ (٥٤). وهكذا دواليك.

وقد تقدم آية الله الخوئي، المرجع الاعلى في النجف، بطلب لمغادرة العراق فوراً بعد إعدام آية الله الصدر. وقد قوبل طلبه بالرفض، وقد

صودرت امواله الشخصية والموارد المالية الدينية التي بعهدته (تبلغ الموارد المالية المشار اليها ثانياً (٨٧٠) الف ديناراً عراقياً، أي ما يزيد على المليون دولار) من مصرف الرافدين^(٥٥). وجرى قطع هاتفه، واعتقال تلامذته، وإعدام بعض من تلامذته ومساعديه. وقد اصابته معاملة الحكومة لآية الله الخوئي المسلمين العراقيين بالمرارة؛ فقد كانوا يعتقدون ان تفادي آية الله الخوئي للعمل السياسي، وعمره المتقدم، ومنزلته بوصف مرجعاً للعديد من الشيعة في باكستان، والهند، وأفغانستان كلها أمور ستساعد في حمايته.

وفي آيار ١٩٨٠ ابلغ العراق الامين العام للامم المتحدة ان حزب الدعوة كان قد التقى بايرانيين في قم وقاموا باعداد خطط للاطاحة بالحكومة العراقية^(٥٦). وقيل ان المعلومات التي استندت اليها الحكومة مستقاة من عضو في حزب الدعوة تمكنت السلطات العراقية من القبض عليه، وهو امير حامد المنصوري (رقم ١٣ في الجدول ٤-١). وفي السادس من حزيران ١٩٨٠، حاول طيارون عراقيون يقودهم عضو في حزب الدعوة، مهندس الطائرات غالب ابراهيم طاهر، اغتيال صدام حسين بقصف منصة استعراض للقوة الجوية.

وقد واصلت الحكومة برنامجها المستمر لتهجير الشيعة، حيث ارغمت (٢٣،٦٧٢) شيعياً على التوجه إلى احدى المناطق في شمالي ايران للفترة بين تموز ١٩٨٠ وحزيران ١٩٨٢. (للحصول على تواريخ وارقام معينة، انظر الجدول ٤-٢). وفي هذه المرحلة، تشكلت جماعة العلماء المجاهدون خارج العراق لدعم الحركة بالتنسيق والقيادة التي كان آية الله الصدر يقدمها في الماضي. واصبح الشيخ محمد باقر الحكيم اميناً عاماً للجماعة. ودعا

الامام الخميني^(٥٧) إلى نقل الحوزات العلمية من النجف إلى قم، في إيران، غير ان "يوسف السيد محسن الطباطبائي" النجل الاكبر لآية الله محسن الحكيم، رفض دعوة الامام الخميني هذه في آب ١٩٨٠^(٥٨).

وفي ايلول ١٩٨٠ قام العراق بغزو ايران. وفي الاشهر الاولى للحرب، لم تشجب القوى العظمى والمنظمات الدولية الغزو، وهو تصرف فسره اعضاء الحركة الاسلامية على انه اشارة إلى دعم دولي مؤثر لصالح الحكومة العراقية. وامست الكويت حليفاً للعراق بمقتضى الامر الواقع؛ فقد وضعت ميناءها تحت تصرف العراق. وقامت المملكة العربية السعودية، والكويت، ودول الخليج العربية الاخرى بتقديم دعم مالي ولوجستي للعراق.

وكونهم باتوا معزولين يساندتهم حليف واحد، ايران، يسود الاضطراب صفوفهم جراء فقدان آية الله الصدر فضلاً عن القمع الحكومي المتزايد، قام الناشطون الاسلاميون بتغيير تكتيكي آخر، تمثل هذه المرة في الخروج من العراق. وقد اتجه بعضهم إلى ايران لمواصلة جهادهم بوصفهم جزءاً من الوحدات العسكرية الايرانية، في حين بقي آخرون ممن لم تتعرض خلاياهم للاختراق والاعتقالات في العراق بحالة سكون. وعلى النقيض مما تورده المطبوعات الاجنبية المختلفة، فان الشهادة ليس لها جاذبية فعلية عند العديد من الشيعة، ففي غياب التعليمات من قادة المجموعات المعترف بهم، فان العديد يفضلون التريث والانتظار.

وفي الخامس عشر من نيسان ١٩٨١، اصدرت الحكومة مرسوماً تقدم بموجبه مبالغ تتراوح من (٢,٥٠٠) إلى (٤,٠٠٠) آلاف ديناراً عراقياً (ما يقارب ثمانية آلاف دولاراً إلى عشرة آلاف دولاراً) إلى الرجال العراقيين ممن ينفصلون عن زوجاتهم "الايرانيات"، وهذا يعني الزوجات اللاتي تُشير

وثائق جنسيتهاً إلى أصل إيراني. ويبدو أن السبب في إصدار هذا المرسوم يكمن في رغبة حكومية في إحداث تفرقة ضمن الطائفة الشيعية وخلق استياء بينها. وقد سنت الحكومة مراسيم لتنظيم أماكن العبادة، والتدخل في تعيينات رجال الدين وفي مضمون الخطب الدينية، الأمر الذي أعاق الوساطة الوحيدة للاتصال الشعبي ضمن الطوائف الدينية. وتوجب على العلماء الشيعة، شأنهم شأن العلماء السنة، تقاضي رواتبهم من الحكومة. وتولت الحكومة إدارة الأضرحة الشيعية المقدسة والمساجد، الأمر الذي حرم العلماء الشيعة من الاستقلال المالي الذي كان قد جعل من انخراطهم في النشاط السياسي أمراً ممكناً.

ولم يكن قراء الصحافة الحكومية العراقية، وهي الصحافة الوحيدة المجازة قانوناً في العراق، يعرفون بوجود مجاهدين إسلاميين في العراق؛ وكان الإعلام غير العراقي يفتقر إلى الوصول إلى مصادر إخبارية من غير المصادر الحكومية. ولإطلاع الجمهور على أخبار الحركة، قام الإسلاميون خارج العراق بتأسيس مواقع صحفية في بيروت، وطهران، ولندن فضلاً عن شبكات بث سرية. وفضلاً عن الأخبار، اشتملت المنشورات التي يُصدرها الإسلاميون على عددٍ وافرٍ من الكتابات التي تسلط الضوء على المزايا السامية لآية الله الصدر وقادة آخرين فضلاً عن شهداء الحركة. وفي حقيقة الأمر، جرى تأطير شخصية آية الله الصدر بأعجاب يصل إلى حد القداسة، الأمر الذي عزز المعنويات وأظهر لأعضاء الحركة الإسلامية أن الله يبارك شهداء الحركة.

وقد ورد أن ضباط الجيش الشيعة الرفيعي المستوى — ولعل في الأمر مغالاة — قد نظموا خمس محاولات تستهدف صدام حسين في الأشهر الستة

الاولى لعام ١٩٨١^(٥٩). وقد أُعِدِمَ اثنا عشر ضابطاً فضلاً عن (٢٠٠) ضابطاً من رتب اخرى في السابع والعشرين من تموز على خلفية محاولات مزعومة. وجرى اعتقال اربعين مدنياً لصلتهم بالضباط بعد العثور على اسلحة في مدينة الكاظمية، ومدينة الحرية، وميريا، وجلّها تقع في ضواحي بغداد. وتواصلت الاعدامات الحكومية للشيعية والاكرد إلى حد يُثير التقزز. واورد حزب الدعوة ان (١٦٦) من اعضائه وانصاره أُعدموا في مطلع عام ١٩٨٢^(٦٠). وفي منتصف ١٩٨٢، حاول طيار في القوة الجوية اغتيال صدام حسين بقصفه لنصب الجندي المجهول في بغداد، حين كان صدام متواجداً هناك للمشاركة في احتفالية ما^(٦١).

وفي الدجيل، وهي مجتمع زراعي مُنظم على بُعد اربعين ميلاً شمال شرقي بغداد، قام (مجاهدو) حزب الدعوة بشن هجوم مسلح كبير على صدام حسين وافراد حمايته في تموز ١٩٨٢. وقد لقيَ زهاء (١٥٠) شخصاً مصارعهم خلال الاشتباك. وعلى إثر الهجوم، قامت الحكومة بتسوية البلدة بالارض. وقد أُعتقلَ زهاء (٣٠٠) شخصاً، بضمنهم افراد عوائل مَنْ لقوا حتوفهم في المعركة^(٦٢). وثمة هجمات أصغر كتفجير وزارة التخطيط في الاول من آب.

وقد ذكر محمد باقر الحكيم ان آية الله الصدر قد اناط به وبثلاثة علماء آخرين الاضطلاع بالقيادة الكاملة للحركة الاسلامية العراقية في حالة وفاته، بيد انّ اربع مساعٍ تنظيمية لمنح تخويل لقيادة جديدة قد فشلت بسبب عدم اعتراف الامام الخميني بها، حيث اعتمد قادة الحركة الاسلامية على نيل مباركته ورضاه بعد خروجهم من العراق^(٦٣). واخيراً، وفي السابع عشر من تشرين الثاني، ١٩٨٢، اعلن محمد باقر الحكيم من طهران عن تشكيل

المجلس الاعلى للثورة الاسلامية في العراق، الذي بات يُشار إليه في ما بعد (بالمجلس) وقد وصف هذا التنظيم نفسه "بالممثل لجميع مكونات الشعب العراقي المسلم، سُنّة وشيعة". وأشار إلى جمهورية ايران الاسلامية بوصفها "اساس الثورة الاسلامية العالمية ومحركها الاله" (٦٤).

وكان تشكيل المجلس تهيئة لاقامة حكومة عراقية انتقالية بامكانها الاضطلاع بالمسؤولية في حالة استيلاء ايران على البصرة، ثاني اكبر مدينة في العراق. وعلى الرغم من فشل ايران في الاستيلاء على البصرة، استمر المجلس بتنسيق نشاطات المجموعات الاسلامية العراقية. وكانت اللجنة المركزية للتنظيم، التي تضم بالاصل ستة عشر عضواً، تعقد اجتماعات منتظمة نوعاً ما برئاسة حجة الاسلام محمد باقر الحكيم (انظر الجدول ٤-٣ للحصول على اسماء ومناصب قادة المجلس). والمجلس اجمالاً لم يعقد اجتماعات منتظمة لكنه كان يجتمع في حقيقة الامر مرة واحدة سنوياً. ويُصدر التنظيم صحيفة اسبوعية تدعى "الشهادة".

وفي ايار ١٩٨٣، اعتقلت الحكومة العراقية ما يزيد على (١٠٠) من ذكور آل الحكيم. وجرى اعدام ستة منهم على الفور (٦٥). وقام النظام بارسال حسين الحكيم، البالغ من العمر سبعين عاماً، الذي شهد عمليات الاعدام، إلى طهران لتحذير محمد باقر الحكيم من ضرورة الاحجام عن معارضة الحكومة العراقية. وفي الشهر نفسه، ولتغيير موقفها المعادي للدين، عقدت الحكومة العراقية مؤتمراً اسلامياً في بغداد. وقد رأس الوفد العراقي علي كاشف الغطاء، وهو رجل دين شيعي كان قد تولى منصباً حكومياً قبل تسلم البعثيين السلطة (٦٦). وشرعت الحكومة ببلورة خطاب

سياسي للمسائل الإسلامية، وشرعت وسائل الاعلام بتخصيص وقت اكبر للبرامج الدينية.

وفي عام ١٩٨٣ أسس المجلس قوة عسكرية خاصة به تضم حوالي (٢٠٠) متطوعاً، حيث كونت قاعدة لها في حاج عمران في ذلك الجزء من كردستان العراق الذي احتله الجيش الايراني، ودعت المقاتلين الاسلاميين إلى الالتحاق هناك. وفي هذا الوقت، كان لائتلاف المجموعات الإسلامية ثلاثة انواع من الوحدات العسكرية: القوات الخاصة، وقوات الاحتياط، وقوات الباسيج. وقد نفذت القوات الخاصة، المسماة بدر، عمليات قتالية على غرار حرب العصابات داخل العراق ولكنها شاركت ايضاً في العمليات العسكرية الإيرانية. وتلتحق في قوات بدر قوات حمزة الخاصة التي تكونت من اسرى الحرب العراقيين ممن كانوا قد تطوعوا للانضمام إلى قوات المعارضة الإسلامية. وتتكون وحدات الباسيج من متطوعين تلقوا تدريباً عسكرياً اولياً ويحوزون على اسلحة خفيفة، ولكنهم لا يتقاضون اجراً. وضمن العراق، عمل المجلس على المساعدة في دعم المجموعات الإسلامية المستقلة، فضلاً عن دعم مجاهديه^(٦٧) (أي مجاهدي المجلس - المترجم) . واصبحت المجموعات الكردية العراقية عضوة في المجلس: حركة الرابطة الإسلامية في كردستان، التي يتزعمها الشيخ عبدالرحمن نوراسي والملا عثمان عبدالعزيز، وحزب الله الكردستاني، الذي يقوده محمد خالد برزان. وهذا الحزب (أي حزب الله - المترجم) يُضاهي انصار الدعوة لأن اعضاءه مسلمون ورعون يحوزون على تعليم اقل بكثير من التعليم الذي يحوز عليه اعضاء حزب الدعوة. ويختلف حزب الله عن الانصار لأن حركة الانصار جرى تشكيلها في الوقت الذي كانت فيه الحركة الإسلامية إصلاحية

المنطلقات في الاهداف والوسائل ويقودها آية الله الصدر. وقد تأسس حزب الله بعد ان باتت الحركة ثورية في منطلقاتها.

وقد نظمت النساء الاسلاميات رابطة المرأة المسلمة. وقامت احدى (المجاهدات) وتدعى ام كرار بنسف بناية حكومية للعمليات الاستخبارية. وتقوم المجاهدات بـ(١) تنظيم الخلايا، (٢) كتابة وتوزيع المنشورات التي "تفضح السلطات وممارساتها القمعية"، (٣) مواجهة الدعاية الحكومية، (٤) نقل الاسلحة والعتاد، (٥) نقل المعلومات إلى المجاهدين ومنهم^(٦٨). وقد لقي عدد من (الاخوات) مصارعهن في السجن، وكانت احدهن ميسون غازي، التي تبلغ التاسعة عشر من العمر^(٦٩).

وفي عام ١٩٨٤، جرى تنفيذ الاعدام بمجموعة من العلماء الاكراد، بضمنهم قادة مُشتبه بانتمائهم لحركة الرابطة الاسلامية في كردستان^(٧٠). وجرى ايضاً اعدام عشرة آخرين من آل الحكيم ممن بقوا في السجن في شباط واذار ١٩٨٥^(٧١). وحين اكدت الحكومة اعدام افراد من عائلة الحكيم، فقد اوردت انهم أُعدموا لقيامهم بتشكيل حركة المجاهدين العراقيين، التي تولى زعامتها النجل الاصغر لآية الله الحكيم، السيد عبدالعزيز الحكيم. وقد اتهمت الحكومة المجاهدين بالخيانة ومساعدة الجنود العراقيين في الهروب من جبهات القتال.

ورداً على الدعم المالي واللوجستي الذي تقدمه الكويت للجهد الحربي العراقي، هاجم المجاهدون مواقع عدة في الكويت، بضمنها السفارة الامريكية، في كانون الاول ١٩٨٣. وفي نيسان ١٩٨٥، كانت ثمة محاولة تستهدف حياة امير الكويت. وكان بين المتهمين في احداث الكويت عضوان

من اقارب آل الحكيم، علاء محمد رضا الاطرش ووديع عبدالحسين الاطرش.

وفي حزيران ١٩٨٥، تواردت انباء عن إعدام (٥٩٩) عراقياً، بضمنهم عدد غير محدد من الناشطين الاسلاميين. وكان بين المدومين السيد محمد علي الحكيم، وكذا عدد من العلماء الاكراد، بضمنهم الشيخ عصام عارف من السليمانية والشيخ رامي من طوزخرماتو في كركوك^(٧٢). وفي تشرين الثاني ١٩٨٥، اوردت منظمة العفو الدولية ان ستين سجيناً عراقياً، بما فيهم اعضاء في حزب الدعوة، جرى اعدامهم.

ان التقديرات الخاصة بالعدد الكلي للناشطين الاسلاميين الذين لقوا مصارعهم على يد الحكومة غير دقيقة، ولكن بإمكاننا إضافة العدد الذي اعترف صدام حسين باعدامه في ١٩٨٠ البالغ (٥٠٠) من اعضاء حزب الدعوة فضلاً عن العدد الذي اكدته منظمة العفو الدولية إلى جانب قتلى الدجيل البالغ عددهم (١٠٠٠) قتيلاً كما وردوا في المصادر الغربية. ويُشير شبلي ملاط (وهو محام مختص بقضايا حقوق الإنسان ومرشح سابق للرئاسة في لبنان - المترجم) إلى مصادر عراقية اوردت ان خمسة آلاف إلى عشرة آلاف اسلامياً لقوا حتوفهم في منتصف ثمانينيات القرن العشرين^(٧٣). والارقام التي قدمها ملاط مستقاة من مصادر لباحثين اسلاميين، وليس من الاعلام الشعبي، وهي على الأرجح قريبة قدر الامكان من الدقة. ولا تعرف مجموعات المعارضة نفسها عدد المدومين من اعضائها ناهيك عن المتعاطفين معها. وكما تورد مطبوعاتهم، "لا يعرف سوى الله عدد المؤمنين الذين اعدمتهم الحكومة البعثية". وفي عام ١٩٨٦، قدّرت "التيار الجديد"،

وهي مطبوع لا يصدر عن حركة اصولية، عدد المختفين والمعدومين العراقيين من جميع المشارب السياسية بثلاثين ألفاً^(٧٤).

وفي التاسع من نيسان ١٩٨٧، نفذت خلية تابعة لحزب الدعوة، تحمل اسم الشهيد الصدر، هجوماً مسلحاً على موكب سيارات يرافق صدام في الموصل^(٧٥). وقد نجا صدام من الهجوم ولكن قيل انه اذرف دموعاً لعلمه بانه مبغوض حتى في الموصل، المدينة العربية السنية القريبة من تكريت. وخلال الحرب العراقية - الايرانية، تبلورت آمالاً لدى الناشطين العراقيين للقيام بانقلاب عسكري في العراق. وقد اخبرني متحدث باسم حزب الدعوة في آب ١٩٨٦ ان لديهم سبباً للاعتقاد بإمكانية مجيء حكومة اسلامية للسلطة من خلال انتخابات تسمح باقامتها حكومة عسكرية انتقالية في بغداد، إلا أن الانقلاب لم يحدث، أو في الاقل لم ينجح.

وفي حزيران ١٩٨٧، اعلن قائد الحرس الثوري الايراني عن خطط لتوسيع الدور العسكري للقوات الشعبية داخل العراق وقد اخبر كمال خرازي، المتحدث باسم مكتب الدعاية الحربية الايرانية، الاعلام الايراني ان الحرب ينبغي ان تستمر بجهود العراقيين انفسهم. وجرى تشكيل وحدات تتكون من العراقيين حصراً ممن كانوا يقاتلون بوصفهم جزءاً من الوحدات العسكرية الايرانية. واصر الامام الخميني تعليمات بضرورة تشكيل فيالق لحزب الله داخل العراق^(٧٦). وفي الوقت نفسه تقريباً، اوردت مجموعات المعارضة العراقية ان الحكومة العراقية كانت قد هاجمت القوات القتالية الاسلامية في احوار العراق في الجنوب بالاسلحة الكيماوية^(٧٧).

ان الموقع الجغرافي للاحوار، بوجود قوات مسلحة عراقية مدججة بالسلاح على امتداد الحدود، قد جعل من الاستحالة بمكان للجرحى من

الهروب من العراق؛ ولذا، فإن الهجمات، على افتراض انها وقعت، لم يجرِ ايرادها في الاعلام الدولي.

وفي السابع من ايلول ١٩٨٧، شهد دبلوماسيون اجانب هجوماً مسلحاً على منصة الاستعراض العسكري في بعقوبة، وهي مدينة تقع في شمال شرقي بغداد، واوردت الانباء مقتل خمسين إلى مائة شخصاً. ولم يجرِ إمطة اللثام عن العمليات التي نفذتها المجموعات القتالية داخل العراق في الاعلام العراقي. وكذا لم يرق الاعلام الدولي بتغطيتها، ولكن بعد حادثة بعقوبة، تواردت انباء عن وجود "دليل على تزايد الاضطراب الداخلي" (٧٨)، وثمة حوادث لالقاء القنابل حدثت طوال الخريف، افضت بالحكومة إلى فرض حظر تجوال على مدينة الثورة، التي بات اسمها "مدينة صدام" بدءاً من تشرين الاول ١٩٨٢. وفي تشرين الثاني، استخدمت الحكومة اسلحة كيميائية ضد قوات المقاومة في حاج عمران في شمالي العراق. وكان ابو ثار الحسين، وهو مدير تنفيذي في المجلس، احد المصابين بجروح بليغة جراء التعرض للأسلحة الكيميائية خلال هجوم الحكومة على حاج عمران (٧٩).

وتواردت انباء عن تزعم حزب الدعوة لتنظيم خلايا حزب الله داخل العراق. وثمة مسؤول قيادي في حزب الدعوة، يدعى ابو مجاهد أوضح لتجمع دولي لقادة الحركة الإسلامية في كانون الاول ١٩٨٧ ان (حزب الله) ليس حزباً بل واسطة لتعزيز الاحزاب الإسلامية القائمة (٨٠). ويدل مضمون هذا الكلام على ان اعضاء حزب الله يتمسكون بقيادة حزب الدعوة والعلماء. وفي الاجتماع السادس للمجلس في كانون الثاني ١٩٨٨، كان الشيخ حجة الاسلام محمد علي رحمانى، المسؤول عن تعبئة المنفيين وهو ايضاً

مسؤول الحرس الثوري الإيراني، بين المتحدثين عن التقدم الحاصل في تنفيذ أمر الامام الخميني في تنظيم خلايا لحزب الله داخل العراق. "وفي الأقل خلال فترة حياة الامام الخميني، كانت وحدات حزب الله العراقية تتلقى الاوامر والتمويل من الحكومة الايرنية.

وفي ١٩٨٨، رفعت مجموعات المقاومة الكردية والاسلامية من وتيرة عملياتها خارج المنطقة الواسعة التي تقع تحت سيطرتها في شمالي العراق. وكان محمد تقي مولى يتراأس القوات العسكرية للمجلس التي وردت انباء عن كونها تتألف من اربعين الف رجلاً، بعضهم يرباط في الشمال والآخرين في الاهوار في جنوبي العراق. وقد أعيد تنظيم فيلق بدر إلى فرقة مشاة، وفرقة مدفعية، وفرقة مدرعة، ووحدة خاصة بحرب العصابات^(٨١). ويُقدر عدد المجاهدين المنضوين في المجموعات الاسلامية الكردية بأربعة آلاف مجاهد، ويمثل هذا العدد جزءاً صغيراً من اجمالي القوة المسلحة الكردية^(٨٢)، إلا أن القوات الاسلامية تتمتع بدعم اعداد كبيرة من المدنيين الكرد. وقامت الحكومة العراقية باستعمال اسلحة كيمياوية ضد قوات المقاومة والمدنيين الكرد في حلبجة في آب ١٩٨٨. وعلى النقيض من الهجمات المزعومة في الاهوار الجنوبية في حزيران ١٩٨٧ والهجوم على حاج عمران في تشرين الثاني ١٩٨٧، فإن الهجمات الكيماوية على حلبجة قد حظيت بتغطية اعلامية واسعة، وان المدنيين الكرد الهاربين ممن تمكنوا من عبور الحدود إلى ايران وتركيا قد أخضعوا للفحص على يد اطباء دوليين بغية التأكد من مصدر اصاباتهم.

ولإظهار وجه "ديمقراطي" امام العالم، اعلن صدام حسين في السابع والعشرين من تشرين الثاني ١٩٨٨ عن السماح بتشكيل الاحزاب السياسية،

ولكن تُستثنى من ذلك المجموعات الشيعية "المجاهدة"^(٨٣). وعدا المجموعات الكردية في الجزء الشمال الشرقي، فان المجموعات الشيعية تُعد على الأرجح المجموعات الوحيدة للمعارضة في العراق التي تنطوي على تنظيم في ذلك الوقت. وعلى أية حال، لم تتمخض عن هذا العرض أية خطوة نحو تحقيق الديمقراطية.

ولتصميمه على الاستمرار بالمقاومة، فتح المجلس مكتباً له في دمشق، بيد ان التضاريس العراقية، ومعظمها صحراء طينية حمرة دونما وجود حتى لشجرة واحدة يُمكن استخدامها في عمليات التمويه، قد عملت بالصد من استراتيجية المقاومة المسلحة، لكن هذا الامر لم يحول دون تنفيذ بعض العمليات ففي كانون الثاني ١٩٨٩، اوردت منظمة العمل الاسلامي حدوث هجمات على موقعين في بغداد، ملهى ليلي في الكرادة وفندق جنديان، وقد عدّ الاسلاميون كلا هذين الموقعين مرتعاً للأعمال غير الاخلاقية.

وفي كانون الثاني وشباط ١٩٨٩، استخدمت القوات الحكومية السميتات لمهاجمة "منشقين اسلاميين" في جنوبي العراق^(٨٤). وقد حال عدم تورع الحكومة عن قتل المدنيين في المناطق التي يعمل فيها افراد المجموعات المسلحة دون المضي في استراتيجية المقاومة المسلحة، ولكن المقاومة تواصلت نظراً للعداء بين الاسلاميين وصادام حسين. وفي بيان صادر في حزيران ١٩٩٠، اثر تبادل رسائل بين ايران والعراق في ما يتعلق بالتوصل إلى سلام رسمي، اصدر المجلس بياناً استعرض فيه المعارضة الاسلامية العراقية للحكومة البعثية، بدءاً من المواجهة بين أحمد حسن البكر وآية الله محسن الحكيم في ١٩٦٩ والتي استمرت عبر عمليات قتالية اتخذت شكل

حرب عصابات بعد انتهاء الحرب الايرانية - العراقية. ودعا البيان الشعب العراقي إلى مواصلة نضاله حتى "اسقاط الطاغية صدام"^(٨٥).

وقد طورت المجموعات الاسلامية علاقاتها بمجموعات المعارضة العراقية الاخرى؛ ففي كانون الاول ١٩٨٧، اجتمعت في طهران المجموعات الاسلامية. والاحزاب الكردية الرئيسية، ومجموعات قومية عربية، وحزب الامة الجديد^(٨٦). وفي السابع والعشرين من شباط ١٩٩٠، اصدر سبع وعشرون شخصية سياسية معروفة - بضمنهم السيد محمد بحر العلوم، وهو اسلامي، وعزيز محمد، السكرتير الاول للحزب الشيوعي العراقي؛ ومسعود البارزاني وجلال الطالباني، زعيما الحزبين الكرديين الرئيسيين - بياناً مشتركاً دعوا فيه إلى الاطاحة بالحكومة البعثية^(٨٧). وفي احتفالية استذكارية لآية الله الصدر في دمشق أُقيمت في نيسان ١٩٩٠، كان احد المتحدثين من الاحزاب الكردية؛ وفي الاحتفالية التي أُقيمت في طهران، كان من بين الحضور ممثلون عن الاحزاب الكردية والتركمان^(٨٨).

وفي الثاني من آب ١٩٩٠، اجتاح الجيش العراقي الكويت، وقد صب العراقيون المعروفون بميلهم للعنف جام غضبهم على الكويتيين. وجرى على الفور تشكيل ائتلاف دولي ضد العراق، الامر الذي حفز مجموعات المعارضة العراقية على محاولة صياغة خطة لادارة البلاد في حالة الاطاحة بصدام. وقد اجتمعت في دمشق خمسة احزاب اسلامية، واحزاب قومية كردية، والحزب الشيوعي العراقي ومنشقون بعثيون^(٨٩)، حيث أسسوا لجنة العمل الوطني العراقي تزعمها الفريق حسن النقيب، الذي انشق عن الجيش العراقي في ١٩٧٩. ودعت المجموعة إلى اقامة انتخابات حرة في العراق

ومنح المنطقة الكردية حكماً ذاتياً. وقد شجب المشاركون ايضاً الصهيونية والامبريالية.

وفي اواخر كانون الاول، اجتمع في بيروت، عدد من مجموعات المعارضة العراقية، بضمنهم ثلاث مجموعات يتزعمها رجال دين شيعة، في محاولة للاستعداد لمواجهة انهيار مأمول للحكومة العراقية. وقد دعا بيان المؤتمر إلى إقامة حكومة انتقالية تتولى إقامة انتخابات لاختيار مجلس يتولى كتابة دستور جديد^(٩٠)، وهو السيناريو الذي كان الاسلاميون يأملون ان يتمخض عن الحرب الايرانية - العراقية. وقد اتفقت المجموعات على تشكيل لجنة توجيه تتألف من خمسة اشخاص، وتضم ممثلين اثنين عن الاحزاب الاسلامية، وشيوعي واحد، وكردى واحد، وبعثى واحد، وجلّهم يحوزون على حق النقض. واتفقت المجموعات على صياغة ميثاق وحدة بينهم يوجز الخطوات الواجب اتباعها في طريق الانتقال نحو الديمقراطية في العراق، وتشكيل امانة عامة تتكون من سبعة عشر شخصاً، وصياغة خطط لتشكيل مجلس استشاري يتكون من ثمانية واربعين عضواً^(٩١). وقد وقّعت على وثيقة الاتحاد ست مجموعات اسلامية شيعية ومجموعتان اسلاميتان سُنيّتان، فضلاً عن سبع مجموعات كردية. وقد وعد البيان الذي تمخض عن المؤتمر بقيام المشاركين بتشكيل حكومة جديدة تتولى حظر استخدام اسلحة الدمار الشامل.

وفي السابع عشر من كانون الثاني، ١٩٩١، شنّ الائتلاف الدولي بقيادة الولايات المتحدة الذي جرى تشكيله بغية تحرير الكويت من سيطرة صدام هجوماً على العراق في حربٍ مدمرة استغرقت خمسة اسابيع. وقد واصلت مجموعات المعارضة العراقية على نحوٍ عاجل جهودها للاستعداد لتشكيل

حكومة انتقالية. وحين انتهت الحرب وصادم لما يزل في السلطة، ثار سكان الجنوب الشيعة وسكان الشمال الكرد على الحكومة البعثية. وقد استعمل الحرس الجمهوري قنابل النابالم والقنابل الفسفورية لإعادة فرض السيطرة على جنوب العراق وعلى معظم الشمال. وبعد قمع الانتفاضة شنت الحكومة اعتقالات واعدامات جماعية^(٩٢). وكان من بين من جرى انتزاعهم من النجف المرجع الاعلى آية الله الخوئي البالغ من العمر (٩٥) عاماً وستة عشر عضواً ذكراً من اسرة العالم الديني بحر العلوم. وقد واصلت الحكومة الترويح لروايتها بان الشيعة العراقيين ايرانيون في اصولهم. وقد اوردت مصادر غربية ان المزيد من "الايرانيين" يُقدر عددهم بسبعين ألفاً "معظمهم من شيعة النجف وكربلاء" قد فروا من العراق بعد حرب الخليج^(٩٣).

وفي الحادي عشر من اذار ١٩٩١، التقى في بيروت (٢٠٠) ممثلاً لمجموعات المعارضة العراقية، بضمنهم زهاء ثمانين اسلامياً^(٩٤). وقد تلاشت آمالهم بالحصول على اعتراف دول الخليج العربية وتلقي مساعدتها حين وُجِعت دعوة لوفدٍ منهم لزيارة المملكة العربية السعودية وجرى بعدها تركهم بحالة فتور في الهمة في احد فنادق الرياض. ولسلوكلهم لنهج عملي غير مؤثر، فقد تلقى الاسلاميين، بمن فيهم أخوة مدرسي وحجة الاسلام محمد باقر الحكيم، نقداً من اصوليين غير عراقيين^(٩٥).

الهوامش

١. المعلومات حول السنوات المبكرة لنشأة صدام حسين مستقاة من ميلر ومايلروي، صدام حسين، ص ٢٥-٣٣.
٢. خلال اقامتي في العراق في اواخر ستينيات القرن العشرين ومطلع سبعينياته، جرت العادة ان يقوم المجتمع الاكاديمي في بغداد بتعريف صدام حسين بوصفه "رجل وكالة المخابرات المركزية الامريكية في حزب البعث" ولا يراد دليل على ذلك، اورد كوغنوسيننو اشترك صدام في محاولة اغتيال عبدالكريم قاسم (الذي كانت بعض الجهات في وزارة خارجية جون فوستر دالاس تنتظر إلى يسارية قاسم بوصفها توجهاً شيوعياً)، وحماسته في قتل الشيوعيين وامثلة اخرى تُفسر صعوده السريع بارتباطه بداعم مؤثر.
٣. حين اقدم حزب البعث على اعدام اشخاص لتأمرهم مع اسرائيل، وُجِهُت التهمة إلى اليهود العراقيين، الامر الذي اعطى للتهمة مصداقية. وحين اقدمت الحكومة على اعدام اشخاص لتأمرهم مع ايران، وُجِهُت التهمة إلى الشيعة العراقيين في المجموعات الاسلامية الامر الذي اعطى الاتهامات مصداقية واعطى الانطباع بان الشيعة العراقيين ميالون إلى الغدر والخيانة.
٤. ليتويك، الامن في الخليج الفارسي، ص ٤. يعتقد ليتويك ان فصائل في حزب البعث تسعى إلى اظهار "عروبتها" باتخاذها لموقف متشدد حيال ايران.
٥. صوت العراق الثائر، تموز ١٩٨٧، ص ١٠.

٦. الخاطب ابن النجف، الحركات، ص ٨٢. ومما يوجب الملاحظة ان تعذيب رجال الدين واعدامهم لم تكن لهما سابقة في العراق الحديث.
٧. أعيدت طباعته في حياة الحكيم، ص ٧٥-٧٧.
٨. ان قمع الحكومة للنشاطات الدينية عام ١٩٦٩ جرى سرده مراراً في المطبوعات الاسلامية، نيسان ١٩٨٠، ص ١، حياة الحكيم، ص ٨٠؛ وصديقي، الحركة الاسلامية، ١٩٨٢-١٩٨٣-١٩٨٤ - ص ١٣٨.
٩. ان الإمام الثاني عشر هو المنقذ الذي تتوقع اغلبية الشيعة عودته من الغيبة ليقيم الحكم العادل في العالم.
١٠. العمل الاسلامي، الخامس من اذار، ١٩٨٩؛ ص ٢. للحصول على معلومات تتعلق بسيرة واحد من هؤلاء المعتقلين في هذا الوقت، انظر المدخل الخاص حول محمد صالح الحسيني في الجدول (٥-٢).
١١. الخاطب ابن النجف، الحركات، ص ٩٦. يؤكد الخاطب ابن النجف ان هؤلاء الرجال الثلاثة، وربما آخرين ممن جرى اعدامهم في ذلك الوقت، كانوا ابرياء تماماً من تهمة التآمر للاطاحة بالحكومة.
١٢. الخميني، الاسلام، والثورة، ص ١١٨.
١٣. كما كان مألوفاً، كان يجري نقل النعش بسيارة بين البلدات ولكن الرجال كانوا يحملونه على اكتافهم عبر البلدات.
١٤. للحصول على رواية لكيفية تعزيز البعثيين للخصوصية العراقية، انظر بارام، "الهوية الرافدينية"، ص ٤٢٦-٤٥٥.
١٥. الخليل، جمهورية الخوف، ص ١٣٦.
١٦. لولس، "العراق: الانماط السكانية المتغيرة"، ص ١٠٣.
١٧. الخفاجي، "الرأسمالية العراقية"، ص ٤-٩.

١٨. من المثير ان نعيد التذكير بزيارة كارستين نيبوهر إلى العراق في القرن الثامن عشر ورأيه بان الشيعة العراقيين مدينون بمقدار الحرية الدينية التي يتمتعون بها إلى حاجة الحكومة للدخل الذي يحصل عليه العراق من الزوار الشيعة. وفي عام ١٩٧١ انتهى حظر الحكومة على الزوار الشيعة عملياً مصدر الدخل هذا. ولم يمض وقت طويل بعد ذلك، وتحديداً في حزيران ١٩٧٢، قامت الحكومة بتأميم مقدار كبير من الصناعة النفطية، الامر الذي جعل الدولة مستقلة مالياً إلى حد كبير عن المجموعات المجتمعية.

١٩. الخاطب ابن النجف، الحركات، ص ١٢٢؛ العمل الاسلامي، الخامس عشر من كانون الثاني ١٩٨٩، ص ٥؛ صحيفة كيهان الدولية، السادس من شباط، ١٩٨٨، ص ٢٤.

٢٠. بطاطو، الطبقات الاجتماعية القديمة، ص ١٠٥٩-١٠٨٦.

٢١. الجهاد، الثلاثون من اذار، ١٩٨٧، ص ١٦، تحتوي على تقرير بشأن الاعتقالات في تلك الفترة.

٢٢. الخليل، جمهورية الخوف، ص ١٢.

٢٣. انظر الفصل الخامس للحصول على معلومات تخص سيرة الشيخ البصري. وقد أعدم الناشطون الاربعة الآخرون في ١٩٧٤ وهم العلامة عماد الدين التبريزي، المولود في النجف في عام ١٩٥١، والعلامة عز الدين القبنجي، المولود في النجف في ١٩٥١، والاستاذ حسين جولوخان، المولود في كربلاء، والاستاذ نوري الطعمة، المولود في كربلاء، الرابطة الاسلامية العراقية في امريكا، "النشرة الاسلامية"، ص ٨.

٢٤. لاحظ حنا بطاطو وجود ثلاث مشكلات اقتصادية في المجتمع الشيعي بسبب الجفاف والانخفاض في مياه الري جراء اقامة سد طبقة في سوريا. بطاطو، "المنظمات الشيعية في العراق"، ص ١٩٤. ان المزارعين ومالكي الاراضي، وهم المتأثرون تأثراً مباشراً من المشكلات التي تؤثر في الاقتصاد الريفي، لم يكونوا مُنظمين باعداد وافرة إلى الحركة الاسلامية؛ غير ان الصعوبات الاقتصادية الريفية تُضاف بالضرورة إلى الكرب الاقتصادي في المدن المقدسة.

٢٥. الصدر، "نداء القائد" الرسالة التي قام آية الله الصدر في ١٩٨٠ بتسجيلها باشرطة التسجيل وتوزيعها توزيعاً واسع النطاق على شكل رسائل بالآلة الناسخة. ثمّة ترجمة انكليزية تظهر في صديقي، الحركة الاسلامية، ١٩٨٠-١٩٨١، ص ٥٦-٥٨.

٢٦. حزب البعث، ثورة ١٩٦٨ في العراق، ص ١١٣.

٢٧. للحصول على معلومات تخص التضخم خلال هذه الفترة، انظر عبدالرسول "اقتصاد العراق"، ص ٢٧-٤٠، والخفاجي "الاساس الطفيلي" ص ٧٩.

٢٨. منظمة العفو الدولية ١٩٧٥-١٩٧٦، ص ١٨٤.

٢٩. بنروس، "السياسة الاقتصادية" ص ١٥٨-١٥٩.

٣٠. وحدات الاستخبارات الاقتصادية، العراق، ص ٥٥.

٣١. (صُفر) هو الشهر الثاني من السنة الاسلامية. ان التفاصيل الخاصة بالانتفاضة مستقاة من جواد، "انتفاضة صُفر"، ص ٤.

٣٢. "البكر" هو أحمد حسن البكر، الرئيس العراقي البعثي في ذلك الوقت. يعتقد منظمو الانتفاضة ان اربعة عشر ناشطاً اسلامياً من النجف قد

اعدمتهم الحكومة البعثية، بيد أن عدداً يقل عن الـعشر كان مطلوباً لجعل العدد متطابقاً. ولذلك فقد استخدموا العدد أربعة. (مقابلة تليفونية في عام ١٩٩٠ مع رئيس تحرير صوت العراق الناصر).

٣٣. ان الرواية المعطاة هنا مستقاة من عدد من المصادر، بضمنها محاورات مع شيعة عراقيين بارزين وتفاصيل معطاة في حسن، الشهيد الصدر، ص ٨.

٣٤. بينجيو، "الشيعية والسياسة"، ص ٣.

٣٥. ملاط، "العراق" ص ٧٨.

٣٦. كان من بين القادة الموجودين خارج العراق بحلول نهاية ١٩٧٧ السيد فاضلي، والسيد مرتضى العسكري، والسيد محمد حسين فضل الله، والشيخ محمد مهدي شمس الدين، والشيخ محمد مهدي الأصفي، والدكتور داود العطار، وحجة الاسلام مهدي الحكيم. الخاطب ابن النجف، الحركات، ص ١١٣. اصبح الشيخان فضل الله، وشمس الدين زعيمين في الحركة الاسلامية في بلدهما لبنان.

٣٧. فاروق سلاغيت وسلاغيت، "البعثية العراقية"، ص ١٠١.

٣٨. (رجب) هو الشهر السابع من السنة الاسلامية. ان الرواية الخاصة بانتفاضة رجب مستقاة من حسين، "انتفاضة رجب" ص ٤-٥.

٣٩. منظمة العفو الدولية ١٩٨٠، ص ٣٣٢.

٤٠. الحجة هي صيغة مختصرة لحجة الاسلام، وهو لقب يُعطى للمجتهد.

٤١. عدنان عبد الجبار، وارد في التيار الجديد، ١٧ أيلول ١٩٨٤، ص ٢٦.

٤٢. الصدر، من فكر الدعوة، ص ٣٧.

٤٣. الصدر، "نداء القائد".

٤٤. ابو علي، "عراقي يصحح النيويورك تايمز"، ص ١٢.

٤٥. ان الاقتباس مأخوذ من آية الله الصدر، كما يرد في صوت الدعوة للجماهير، السادس من اذار ١٩٨٠، ص ٢.

٤٦. الجهاد، الاول من حزيران ١٩٨٧، ص ٢.

٤٧. كان مفترضاً ان الدكتور الشهرستاني قد توفي، ولكن عثر عليه حياً، خلال انتفاضة اذار ١٩٩٠، وهو مشلول اليدين والقدمين جراء التعذيب. وبعد إطلاق سراحه من السجن، هرب إلى ايران قبل ان تتمكن الحكومة البعثية من إعادة فرض سيطرتها. انظر الهلال الاحمر الدولي، ١-١٥ آب، ١٩٩١، ص ٢.

٤٨. "عهد الرعب"، ص ٣.

٤٩. انني ممتن إلى البروفسور مايكل هيدسون لتزويدي بنسخة للفتوى، مطبوعة في الآلة الناسخة، التي صدرت من النجف، والتي كتبها على الأرجح حجة الاسلام محمد باقر الحكيم، الذي كتب معظم الفتاوى التي اصدرتها جماعة العلماء.

٥٠. الجهاد، السابع من ايلول، ١٩٨٧، ص ١٣.

٥١. منظمة العمل الاسلامي، صوت العراقيين، ص ٤-٥؛ كيهان الدولية، ٢٦ ايلول، ١٩٨٧، ص ٨. وقد ورد في التفسير الحكومي للحادث، ان المجتهد كان عميلاً سورياً وان من قام بقتلهم هم متعبدون شيعة، وهي قصة غير معقولة على نحو كبير، حتى في غياب التفسيرات التي تقدمها الحركة الاسلامية للحادث.

٥٢. بطاطو، "المظمات الشيعية في العراق" ص ١٩٦.

٥٣. مطر، صدام حسين، ص ١٣٤.

٥٤. منظمة العمل الاسلامي، صوت العراقيين، ص ٥-٦.
٥٥. الصحوة الاسلامية، كانون الثاني - شباط ١٩٨١، ص ٦.
٥٦. العراق، النزاع العراقي - الايراني، ص ١٣.
٥٧. اعتقاداً بان الالقاب الدينية الشيعية التي تحظى باعتراف الحكومة الايرانية هي الالقاب التي على الأرجح تحظى بالانتشار، لذا تتبعُ منشورات الحكومة الايرانية الخاصة بالالقاب الخاصة برجال الدين الشيعة. وحيث ان من الصعوبة احياناً معرفة ماهية اللقب الملائم لمرحلة معينة في حياة رجل الدين، فقد توجهت بالسؤال إلى قارئ مُطلع على هذه الامور.
٥٨. هيلمز، العراق، ص ١٦١. ان الحكومة، بدعوتها للسيد يوسف الحكيم بالطباطبائي، تجذب الانتباه إلى الاصل الفارسي للحركة، فطباطبائي هو الاسم الفارسي للمنحدرين من نسل النبي محمد (عليه الصلاة والسلام - المترجم).
٥٩. "مؤامرة على صدام حسين"، ص ٣.
٦٠. منظمة العفو الدولية، تقرير منظمة العفو الدولية ١٩٨٣، ث ٣١٠.
٦١. الجهاد، الاول من حزيران، ١٩٨٧، ص ٦.
٦٢. للحصول على روايات لمعركة الدجيل وما تلاها، انظر الايكونومست، ٣١ تموز ١٩٨٢، ص ٤٥-٤٦؛ الرابع من كانون الاول، ١٩٨٢، ص ٦١؛ و ٢٩ كانون الثاني، ١٩٨٣، ص ٣٠. وثمة رواية مفصلة للهجوم موجودة في (الجهاد)، الاول من حزيران، ١٩٨٧. وتورد (الجهاد) ان (٤٩) بعثياً لقوا حتوفهم في المعركة. واذا كان هذا الرقم

والرقم الذي قدمته (الايكونومست) البالغ (١٥٠) قتيلاً صحيحاً اجمالاً، فقد خسر حزب الدعوة زهاء (١٠٠) من رجاله في المعركة.

٦٣. انظر ملاط، "العراق"، ص ٨١، بغية تصنيف الجهود المتعاقبة التي قام بها العلماء العراقيون للحلول محل آية الله الصدر بوصفه زعيماً للحركة الإسلامية.

٦٤. وحدة الدعاية في المجلس الاعلى للثورة الإسلامية في العراق، المجلس الاعلى للثورة الإسلامية في العراق، ص ٢١-٢٥ و ٤٦، كما وارد في بطاطو، "المنظمات الشيعية في العراق" ص ١٩٧.

٦٥. ضمت قائمة القتلى آية الله عبدالصاحب، يبلغ عمره (٤١) عاماً؛ وحجة الاسلام علاء الدين، يبلغ عمره (٣٩) عاماً؛ وحجة الاسلام محمد حسين، يبلغ عمره (٣٨) عاماً؛ وحجة الاسلام كمال، يبلغ عمره (٤٢) عاماً؛ وحجة الاسلام عبدالوهاب، يبلغ عمره (٣٩) عاماً؛ والسيد أحمد، يبلغ عمره (٣٨) عاماً. الشخصيات الثلاث الاولى هم انجال آية الله محسن الحكيم. وكمال وعبدالوهاب هما نجلا يوسف وبالتالي هما حفيدا محسن الحكيم. اما أحمد، غير المنخرط الوحيد من خلفية دينية، فهو نجل محمد رضا وبالتالي فهو حفيد آية الله محسن الحكيم. وثمة نجل آخر لآية الله محسن الحكيم، الدكتور عبدالهادي، يبلغ عمره (٤٣) عاماً، أعدم في وقت لاحق. ان المعلومات الخاصة بالقتلى، بضمنها القابهم، مستقاة من الرابطة الإسلامية العراقية في امريكا، النشرة الإسلامية.

٦٦. ان تعاون علي كاشف الغطاء مع حكومة البعث يتناقض مع الموقف الميال لعدم الانخراط في النشاط السياسي لمعظم افراد عائلة كاشف

الغطاء. فقد اعتقلت الحكومة وسام كاشف الغطاء، ابن شقيق علي، وقامت بتعذيبه حين عاود دخول العراق بعد اربع سنوات بوصفه طالب هندسة في سويسرا. ولم تكن ثمة اتهامات أو محاكمة كي تكشف عن سبب اعتقاله، بيد ان نزلاء الزنزانة التي كان معتقلاً فيها يعتقدون ان سبب اعتقاله يعود إلى ان اخاه كان يعمل في حركة امل اللبنانية، وهي مجموعة سياسية لشيعية لبنانيين قام الامام موسى الصدر بتنظيمها. ابو جميل، "كنت سجيناً في سجون صدام"، ص ٣٠.

٦٧. ان تفاصيل القوات المسلحة الملحقة بالمجلس قد ظهرت في مطبوعات اسلامية عدة، ومن بينها صحيفة كيهان الدولية، ١-١٥ نيسان، ١٩٨٨، ص ١.

٦٨. المجاهدة ام معد، في مقابلة واردة في (العمل الاسلامي)، ٢٧ تشرين الثاني، ١٩٨٨، ص ٦.

٦٩. العمل الاسلامي، ٢٩ كانون الثاني، ١٩٨٩، ص ٤.

٧٠. اوردت كيهان الدولية، السادس من آب ١٩٨٨، ص ١٢ انباء عن اعدام العلماء الاكراد.

٧١. في تشرين الاول ١٩٨٨، اعدمت الحكومة العراقية (٢٧) عضواً من عائلة الحكيم. جرى ايراد الرقم في طبعة صوت العراق الثائر لتشرين الاول ١٩٨٨، ويرتبط رئيس تحريرها بمصاهرة مع آل الحكيم.

٧٢. بنكاش، "الفضائح بحق المسلمين"، ص ٦١.

٧٣. ملاط، "العراق"، ص ٧٩ و ٨٦ ن. ان ارقام ملاط مستقاة من عبدالكريم القزويني وغالب حسن، ولكليهما علاقة جيدة بالناشطين الاسلاميين العراقيين.

٧٤. التيار الجديد، تموز ١٩٨٦، ص ٢.

٧٥. الجهاد، الاول من حزيران، ١٩٨٧، ص ٦.

٧٦. بالنسبة للمؤشرات في ١٩٨٧ ومطلع ١٩٨٨ فان المجموعات العراقية

كان يجري تهيئتها لشن مقاومة مسلحة بدون مشاركة إيرانية، انظر

سيك، "ومضة أمل"، ص ٢٣ أي؛ الشرق الاوسط الدولية، ٢٦ ايلول،

١٩٨٧، ص ٦؛ وكيهان الدولية، ٢١ تشرين الثاني، ١٩٨٧، ص ٨.

٧٧. انظر وايت ليتون وآخرون، "هل صُغِقَ العراق؟"، ص ٢٤٥، للحصول

على تنويه لاستعمال الحكومة للأسلحة الكيميائية في الاهوار الجنوبية.

ولم تورد المصادر الغربية عموماً هذا الاتهام ضد حكومة صدام، بيد

ان طيفاً واسعاً من المصادر الاسلامية اصررت على ذلك. ومما من ثمة

شيء غريب حيال هذه التهمة منذ ان استعملت الحكومة العراقية فعلياً

الاسلحة الكيميائية ضد القوات الايرانية وبالتالي استعمالها ضد المدنيين

العراقيين.

٧٨. بارنيس، "حرب اللانتصار واللاهزيمة للعراق"، ص ٣٨. انظر ايضاً

النيويورك تايمز، ٢٢ ايلول ١٩٨٧، ص ٦ أ، وكيهان الدولية، التاسع

من كانون الثاني، ١٩٨٨، ص ١١.

٧٩. كيهان الدولية، ٣٠ كانون الثاني ١٩٨٨، ص ٩. توفي ابو ثار الحسين

جاء الجروح التي أصيب بها في كانون الثاني ١٩٨٨.

٨٠. الجهاد، ٢١ كانون الاول، ١٩٨٧، ص ٧.

٨١. ان الرواية بشأن قوات المجلس مستقاة من الهلال الاحمر الدولية، ١-

١٥ نيسان ١٩٨٨، ص ١؛ كيهان الدولية، السابع من آيار، ١٩٨٨،

- ص ١؛ ٢٨ آيار، ١٩٨٨، ص ١١؛ والثالث عشر من آب، ١٩٨٨، ص ١٦؛ وكريستيان سانيس مونيتير، ٢٩ آب ١٩٨٨، ص ١ و ٢٨.
٨٢. كيهان الدولية، ٣٠ أيلول، ١٩٨٨، ص ٨؛ والهلال الاحمر الدولية، ١-١٥ نيسان، ١٩٨٨، ص ٨، واذار ١٦-٣١، ١٩٨٩، ص ٨. مقارنة باربعة الاف إلى خمسة آلاف مجاهد كردي، فان الجبهة الكردستانية المتحدة، وتحالف الاحزاب الكردية غير الاسلامية، تضم حوالي (٢٦) الف مقاتلاً. وعلى الرغم من كونها ليست عضواً في الجبهة المتحدة، فان المجموعات الاسلامية الكردية قد اقامت تعاوناً مع الاحزاب الكردية الاخرى. وورد في ١٩٨٩ ان الجناح العسكري للمجموعات الاسلامية الكردية يضم حوالي (٢٨٠٠) مجاهداً.
٨٣. جانس، "العودة البطيئة للوضع الطبيعي"، ص ١٢-١٣.
٨٤. كيهان الدولية، الثاني والعشرون من نيسان، ١٩٨٩، ص ١٠.
٨٥. نص البيان المطبوع في العمل الاسلامي، ٢٤ حزيران، ١٩٩٠، ص ٢.
٨٦. وايت ليتون وآخرون، "هل صُغِقَ العراق؟"، ص ٢٤٧. ان حزب الامة الجديدة الذي ضم ليبراليين عراقيين والذي يتزعمه سعد صالح جبر قد ايد الديمقراطية والمبادئ الاسلامية، وليست حكومة اسلامية بالمعنى الاصولي، ولكن من المشكوك فيه للغاية ان كان للحزب تنظيم داخل العراق.
٨٧. نص البيان والموقعون عليه مطبوع في صوت العراق الثائر، اذار ١٩٩٠، ص ١.
٨٨. العمل الاسلامي، ٢٢ نيسان، ١٩٩٠، ص ١ و ٢.
٨٩. كريستيان ساينز مونيتير، ٢٠ و ٢٦ ايلول، ١٩٩٠.

٩٠. نيويورك تايمز، الثلاثون من ايلول، ١٩٩٠، ص ٤.

٩١. رودينبيك، "توحد المناوئين لصدام"، ص ١١.

٩٢. منظمة العفو الدولية، "العراق: انتهاكات حقوق الانسان منذ الانتفاضة"، ص ٢-١٤.

٩٣. نيويورك تايمز، ١٦ حزيران، ١٩٩١، ص ٣ أي.

٩٤. فاندي، "المعارضة العراقية المنقسمة".

٩٥. الهلال الاحمر الدولية، ١٦-٣١ كانون الثاني، ١٩٩١، ص ١، ١-١٥ شباط، ١٩٩١، ص ٦.

- ٥ -

الأسس الاجتماعية للحركة الإسلامية

بين الفصلان الثالث والرابع من هذا الكتاب، على نحو قاطع، الدور الفاعل والبالغ الأهمية الذي اضطلع به رجال الدين والمتقنون الشباب وسكان المدن في الحركة الإسلامية في العراق. وانوي، في هذا الفصل، تقديم ونُبذ حياتية مختصرة عن بعض من قيادات الحركة الإسلامية واعضاءها مستندة في ذلك الى كلمات التأيين المنشورة في اصدارات الحركة وصحفها، وإلى الدراسات التي أهتمت بتسليط الضوء على الظروف الاجتماعية للجماعات (الشرائح الاجتماعية) التي ينتمي لها اعضاء الحركة.

رجال الدين: يُعد رجال الدين بمثابة العمود الفقري للحركة الإسلامية في العراق التي أمتازت عبر تاريخ وجودها بتسهم رجال الدين قيادتها؛ ففي أواخر خمسينيات القرن العشرين، نظم رجال الدين حلقات دراسية مكثفة لتأسيس المؤمنين، وعندما ردت حكومة البعث على الاحتجاجات والتظاهرات الدينية المناهضة لسياساتها القمعية باضطهاد رجال الدين والتكيل بهم والتدخل في المناهج الدينية المعتمدة في الحوزات العلمية، نظم علماء الدين تظاهرات شعبية سلمية تتم عن رفضهم للسياسات الحكومية. وعندما قررت الحكومة اللجوء إلى الحل العسكري لمواجهة اضطرابات ١٩٧٩، لم يتوان العلماء عن المشاركة الفعالة وعن التضحية بأنفسهم في سبيل الحركة.

بدايةً، ثمة اختلاف واضح بين القيادة الدينية للحركة الإسلامية في العراق وقيادي الحركات الإسلامية في البلدان العربية من ذوي التعليم غير الديني، ففي مصر وسوريا، على سبيل المثال لا الحصر، انخرط بعض

رجال الدين السُّنة، على نحوٍ مماثل لنظرائهم العراقيين ، في صفوف المعارضة الإسلامية، بيد ان المؤسسة الدينية السُّنية كانت، على نحوٍ عام، غائبة عن المشاركة الفاعلة في الحركات الإسلامية. ولكونها حركة معارضة سياسية في الأساس، فليس من المتوقع ان تجتذب الحركة الإسلامية اهتمام المجموعات التي تعتمد على الحكومة او المستفيدة من ارتباطها بالمؤسسة السياسية المهيمنة، وهذا ما جرى عليه الحال مع رجال الدين السُّنة في البلدان العربية. على الضد من ذلك، طبع التوتر والنفور المتبادل العلاقة بين المؤسسة الدينية الشيعية والحكومة العراقية، وقد ساعد في ذلك الاستقلال النسبي لرجال الدين الشيعة عن الحكومة العراقية بما إنهم يعتمدون في تأمين احتياجاتهم المادية وفي بلوغ المكانة الدينية على الاتباع والمقلدين لا على الحكومة. وكما تبين اعلاه ، فالامر مختلف مع علماء الدين السُّنة.

وتعدّ التغيرات السياسية التي شهدتها المجتمع العراقي، بالاخص التوجه نحو تبني العلمانية، أحد أهم الاسباب التي دفعت علماء الدين الشيعة للانخراط في العمل السياسي. وتاريخياً، حظت النخب الدينية بمكانة اجتماعية مرموقة ومارست تأثيراً هائلاً في المجتمعات البشرية التي غالباً ما عدّت افراد هذه النخب ممثلين لقوى فوطبيعية (ظل الله في الارض). في المجتمعات التي تتبنى العلمانية، ثمة تحول في هذه الرؤية التي لم تعد تحظى بالقبول في ضوء انتقال مسؤولية التنظيمات المؤسساتية والمجتمعية من النطاق الديني إلى البشري البحت. وفي مناخ متغير كهذا، يفقد رجال الدين وظائفهم التربوية والفقهية والاجتماعية التقليدية وكذا امتيازاتهم الاعتبارية، ويترتب على ذلك تضائل نطاق نفوذهم وتأثيرهم وتدهور اوضاعهم. وقد أفرزت عمليتا التحديث والعلمانية في المجتمع العراقي مشكلة ثلاثية الابعاد

لرجال الدين، فضلاً عن تقلص اعدادهم وتدهور اوضاعهم المعيشية نتيجة انخفاض مواردهم المالية، جرى التشكيك في جدوى الأدوار التي ينهضون بها خاصة في ضوء الاقبال المتزايد للسواد الاعظم من الناس على تحصيل العلوم الدينية بمعزل عن رجال الدين التقليديين^(١). زيادة على ذلك، لوحظ ارتفاع سن المنتمين إلى الاوساط الدينية بالنظر للانخفاض المتواصل في أعداد الشباب الراغبين في دراسة العلوم الدينية التقليدية والعمل في المجال الديني مستقبلاً. وبحلول أواخر الخمسينيات، تاريخ تشكل الحركة الإسلامية في العراق، وجد رجال الدين الشيعة أنفسهم في مواجهة هذه المشكلات والتحديات. ويبين الجدول (رقم ٥)، على نحو جلي، الانخفاض غير المسبوق في أعداد رجال الدين، فمن ١٢ ألفاً في مطلع القرن العشرين، تضاعل العدد الاجمالي للدراسين في الحوزات الدينية في النجف، بحلول كانون الاول ١٩٥٧، إلى (١,٩٥٤) دارساً فقط، وليس جميع هؤلاء من العراقيين الذين بلغ عددهم (٣٢٦) فقط وهو عدد لا يكفي لسد احتياجات الوظائف الدينية في المدن العراقية في وقت كانت فيه المناطق الريفية تعاني سلفاً من قلة رجال الدين المؤهلين اكااديمياً^(٢). والمشكلة الاخطر التي واجهتها المؤسسة الدينية التقليدية تمثلت في كبر سن الطلبة العراقيين مقارنة بنظرائهم من الدول الاخرى. هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى، تأثرت عملية اجتذاب الطلبة الجدد للدراسة في الحوازت الدينية سلباً بالاوضاع الاقتصادية المتدهورة للمؤسسة الدينية الشيعية التي انخفضت مواردها المالية، التي اعتادت على استحصالها من اموال الخمس والهبات، انخفاضاً كبيراً بعد فقدانها السيطرة على عوائد الاوقاف في عشرينيات القرن العشرين^(٣). وعلى الرغم من ان انخفاض العائدات المادية التي تحصل عليها

المؤسسة الدينية قد ترك أثره البالغ في مجمل فعاليات المؤسسة وأنشطتها، فإنه كان أشد وطأة على المراتب الدنيا من النخب الدينية.

زيادة على ذلك، شهدت اعداد الطلبة الراغبين في الدراسة في المدارس الاسلامية تراجعاً حاداً بسبب ميل العوائل العراقية حتى تلك التي عُرِف عنها الالتزام الديني والميل إلى شغل الوظائف الدينية إلى ارسال أبنائهم إلى المدارس الحكومية والمدارس التي يديرها الاجانب رغبةً منها في اعدادهم لولوج مضماري التحديث والتكنولوجيا؛ وما عادت عملية التدريب الديني التقليدي المستندة في جوهرها الى مناهج التعليم التلقينية واللغة الدينية الصرفة تجتذب الطلاب الذين لا يميلون إلى امتهان الوظائف الدينية مستقبلاً. وهكذا ، باتت مسألة الجدوى العملية لدراسة العلوم الدينية محل تشكيك. وقد تفاقم هذا الوضع بأطرّاد، وبلغ وضوحه حدّاً جعل الشيخ رضا الشبيبي، الذي تسنم منصب وزير المعارف لثلاث مرات متتالية خلال عشرينيات القرن العشرين وثلاثينياته، يعبر عن أسفه العميق واستيائه مما يردده بعض الشباب العراقي بشأن عجز العلوم الدينية عن مواكبة روح العصر^(٤).

ومع تسارع وتيرة اعتماد المجتمع على التحديث والعلوم الحديثة، وجد العراقيون أنفسهم، بكافة شرائحهم الاجتماعية من الفلاحين إلى شيوخ القبائل، أمام سيل من الافكار والمفاهيم الجديدة التي ساعد في الترويج لها ازدياد اعداد المؤسسات المدنية غير الدينية التي أخذت على عاتقها تقديم رؤى جديدة للحياة. وهكذا، كان من الطبيعي، بحلول خمسينيات من القرن العشرين أن يخسر رجال الدين الشيعة موقعهم التقليدي وسيطرتهم المطلقة على الرؤى العالمية الشيعية في مجتمعهم. وقد تمكنت النخب الدينية،

تاريخياً، من التعايش مع العلمانية والمفاهيم الجديدة طالما حافظ الحكام السياسيون على القانون الديني والتزموا به، ولكن وعندما تحرم هذه النخب حتى من حق التعايش والتعاون، فإنها تفقد مواقعها الاجتماعية التقليدية وتغدو مصدر تهديد للنظام القائم.

ان الحكومة التي تختار تجاهل رجال الدين وعدم التعاون معهم، كما فعلت حكومة البعث في ١٩٦٩، إنما تغامر بزعزعة الوضع القائم والمخاطرة بتحويل الدين إلى الأساس الاجتماعي الضروري لتشكيل حركة معارضة سياسية متكاملة . وبهذا الصدد، بين عالم الاجتماع ماكس فيبر:

ثمة خاصيتان أساسيتان في الحكم الديني (الكهنوتي) توجبان التحالف مع السلطات السياسية؛ فالسلطة الدينية بوصفها سلطة مانحة للشرعية لا غنى عنها ليس فقط (وخاصة) للحاكم القيصري - بابوي وانما للحاكم الذي يتمتع بمواصفات كرازماتية هائلة (مثال ذلك، الحاكم المنتخب أو الذي يأتي باستفتاء عام) وكذا لكافة الطبقات الاجتماعية التي تعتمد في امتيازاتها على "شرعية" النظام السياسي. زيادة على ذلك، تعد السلطة الدينية وسيلة فعالة قل مثيلها في احتواء الافراد واخضاعهم في عظم الامور وصغائرها^(٥).

وفي العراق، لم تكن حكومة البعث بالقبض على رجال الدين البارزين وتعذيبهم، بل وحتى قتلهم، ولكنها صبت الزيت على النار بإقامتها احتفالات تتعارض والمعتقدات الدينية من مثل احتفال "وادي الرافدين" الذي تواصل لتسعة ايام وأختتمت فعالياته في أحد المعابد الوثنية القديمة في مدينة الحضر.

وعلى الرغم من تناقص اعدادهم وتدهور اوضاعهم الاقتصادية في النصف الاول من القرن العشرين، برهن رجال الدين الشيعة انهم خصوم لا

يستهان بهم في حالة اختاروا قيادة الحركات السياسية المعادية للنظام، وقد مكنهم عملهم في مجال تفسير الشريعة الاسلامية واحكامها من الاحتفاظ بسلطات دينية واسعة اهلتهم للتأثير في أفكار اتباعهم الشيعة ومواقفهم. وعبر التوظيف البارع لهذه السلطات الدينية، شرع علماء الدين الشيعة في تحويل مسار جهودهم من اصلاح المجتمع عبر اصلاح افراده إلى الانضمام إلى صفوف المعارضة المناوئة لحكومة البعث.

آية الله الصدر: يُعد آية الله الصدر أحد ابرز رجال الدين المؤسسين للحركة الاسلامية في العراق ، فضلاً عن كونه من اوائل من تصدروا لقيادتها^(١). وقد ساهم، عبر توظيفه البارع والمبتكر لطاقت المتقنين الشيعة في تجديد الانصار وهداية عوام الشيعة إلى الطريق الصحيح، في تعزيز مكانة الحركة الاسلامية العراقية المعاصرة وبعثها للوجود. وكذا مكنه أنتمؤه إلى عائلة الصدر الدينية العريقة وورعه وتبحره في العلوم الدينية من اقناع الآخرين بأهمية افكاره الاصلاحية التي شكلت مصدر إلهام للناشطين العراقيين. وقد ساهم الحضور الفاعل للمجموعات الاسلامية الناشطة التي شكلها اتباعه في العراق في جعل اللجوء إلى العنف امراً محتملاً في ١٩٧٩.

ولد آية الله محمد باقر الصدر في ١٩٣١ في مدينة الكاظمية المقدسة، وتعود أصوله العائلية إلى لبنان ومنه هاجر جده الأكبر صدر الدين إلى العراق في القرن الثاني عشر . تعني كلمة "صدر" في اللغة العربية الشخص الذي يتصدر الامور ويبلغ اعلى المناصب في مجال معين. تبعاً لذلك، تعني صدر الدين "الفقيه الاعلى" والمتبحر في العلوم الدينية. تاريخياً، حافظت عائلة الصدر الموسوية على مكانتها الدينية المرموقة في العراق، فقد كان السيد حسن الصدر الشخصية الدينية الابرز في مدينة الكاظمية عندما دخلتها

القوات البريطانية في اواخر العام ١٩١٧. وعن ذلك، كتبت جرتروود بل، المسؤولة السياسية البريطانية في بغداد، في ١٩٢٠، "تُعد عائلة الصدر من أهم العوائل المؤثرة والتي تحظى باحترام كبير في مدينة الكاظمية، وربما كانت الافضل تفقهاً في الدين من أية عائلة أخرى في عموم العالم الشيعي"^(٧). وكان ابن السيد حسن ، رجل الدين المعروف السيد محمد الذي سار على خطى والده أحد قادة ثورة العشرين ضد الاحتلال البريطاني.

اما السيد حيدر الصدر، والد الشهيد محمد باقر الصدر، فكان من كبار العلماء وأحد المجتهدين البارزين ، وهو ابن المجتهد العالم اسماعيل الصدر، وقد فقد محمد باقر الصدر والده وعمره اربع سنوات، وقد تولى تربيته والدته الفاضلة الزاهدة بنت آية الله الشيخ عبدالحسين آل ياسين^(٨)، ونشأ تحوطه رعاية أخيه الاكبر اسماعيل، وهو أيضاً مجتهد، واخواله الثلاثة الشيخ مرتضى آل ياسين والشيخ راضي آل ياسين والشيخ محمد رضا آل ياسين.

بدأ محمد باقر الصدر دراسته الاولى في مدرسة الامام الجواد الدينية في بغداد وكان موضع إعجاب الاساتذة والطلاب لشدة ذكائه ونبوغه المبكر. أنقل محمد باقر بعد ذلك للدراسة في مدينة النجف حيث تتلمذ على يد عدد من كبار اساتذة الحوزة العلمية ومنهم خاله السيد محمد رضا وأخوه اسماعيل وآية الله محسن الحكيم، وقد اهلته نبوغه العلمي المبكر واتمامه الدراسات الفقهية والاصولية للبدء بتدريس الفقه في سن مبكرة. تزوج السيد الصدر بنت عمه، السيدة فاطمة، أخت الإمام موسى الصدر الذي اشرف على تنظيم وتسييس الحركة الشيعية في لبنان في ستينيات القرن العشرين وسبعينياته. ألف السيد محمد باقر الصدر اثنتين وعشرين كتاباً وكان العربي

الوحيد بين المراجع الشيعية الأحياء الثمانية، وقد عاش حتى وفاته في منزل متواضع في أحد أحياء النجف الفقيرة. ترك السيد الصدر خمسة أبناء، ابن واحد هو السيد جعفر وكان عمره أحد عشر عاماً وقت إعدام والده في الثامن من نيسان عام ١٩٨٠، وأربع بنات إلى جانب زوجته ووالدته. مُنح السيد الصدر، بعد وفاته لقب الشهيد الرابع^(٩).

حجة الإسلام مهدي الحكيم^(١٠): ولد حجة الإسلام مهدي الحكيم في مدينة النجف الأشرف في ١٩٣٥، وكان الابن الثاني لآية الله محسن الحكيم، المرجع الشيعي المعروف الذي حظى بالعدد الأكبر من الاتباع في ستينيات القرن الماضي. شغل جده الأكبر، علي الحكيم الذي يُعد المؤسس الأول لفرع عائلة الحكيم في العراق بعد قراره الاستقرار فيه، منصب طبيب البلاط في عهد الشاه عباس الصفوي (١٥٧١-١٦٢٩)، ولهذا لقب بالحكيم الذي يعني "الطبيب" في اللغة العربية. في ظل حكم الامبراطورية العثمانية، نجح أفراد من عائلة الحكيم في شغل منصب النقيب، وهو أحد أهم المناصب الدينية في البلاد. والدته هي السيدة الفاضلة كريمة السيد حسن البازي في لبنان حيث تمتلك عائلة الحكيم فرعاً لها. بلغ السيد مهدي الحكيم درجة الاجتهاد وساهم بفاعلية في تأسيس جماعة العلماء. كما كان من طلائع المؤسسين لكلية أصول الدين في بغداد حيث درس مادة الاقتصاد الاسلامي. وإلى جانب ذلك، عمل السيد مهدي مساعداً لوالده واضطلع بمهام عدة منها إبلاغ الحكومة في بغداد وأفراد الطائفة الشيعية في العراق بوجهات نظر الحوزات الدينية. وقد أدت نشاطاته هذه إلى لقاء القبض عليه وتعرضه للتعذيب في ١٩٦٩. وبعد خروجه من السجن، قرر السيد مهدي الحكيم الهرب من العراق برفقة الدكتور محمد بحر العلوم، مساعد آية الله الحكيم

لشؤون السياسية. توجه السيد الحكيم إلى باكستان حيث تمتلك العائلة فرعاً هناك.

وفي ١٩٧١ عين آية الله الصدر السيد مهدي الحكيم في منصب المرشد الروحي للطائفة الشيعية في دبي في الامارات العربية، حيث بقي هناك حتى العام ١٩٨٠ عندما تقرر ارساله إلى لندن للإشراف، بمساعدة جماعة العلماء على تأسيس منظمة أهل البيت الخيرية إلى جانب مركز المؤتمرات الشيعية المعني بالتعاون مع اللاجئين العراقيين في المهجر. ولم يساهم السيد مهدي في تأسيس المجلس الاعلى ولكنه بارك "تأسيسه" وامتنع عن العمل في المشاريع والفعاليات التي لا تحظى بمباركة المجلس ورعايته.

في السابع عشر من كانون الثاني عام ١٩٨٨، وبينما كان في الخرطوم، عاصمة السودان، لحضور المؤتمر الاسلامي، أُغتيل السيد مهدي الحكيم على يد جماعة تستقل إحدى سيارات السفارة العراقية. في مراسيم التآبين التي أُقيمت في بيروت، تحدث السيدان محمد مهدي شمس الدين، نائب رئيس المجلس الاعلى للمسلمين الشيعة في لبنان^(١١)، وعلي الحسيني من حركة أمل^(١٢). أما في مراسيم الدفن في مدينة قم، إيران، فتحدث آية الله محمد رضا غولبغاني. وعلى شاكلة السيد مهدي الحكيم، كان هؤلاء المتحدثون ينتمون إلى الخط المعتدل من التفكير السياسي في أوساط الشيعة الداعي إلى رفض نظام الحكم الديني لصالح اقامة نظام يتحدد دور رجال الدين فيه بتقرير مدى مقبولية السياسات الحكومية المقترحة. للسيد المهدي ولدان هما السيد صاحب والسيد علي وبناتان يعيش جميعهم في إيران بعد اغتياله في المنفى، تولى الدكتور محمد بحر العلوم، الذي شارك في المؤتمر

الذي عقدته قوى المعارضة العراقية في العاصمة واشنطن في مطلع آب ١٩٩١، قيادة الخط المعتدل في المعارضة الإسلامية.

آية الله حسن شيرازي^(١٣): ولد آية الله حسن شيرازي في مدينة النجف الأشرف في ١٩٣٣، وكما هو واضح، تعود أصول عائلته إلى مدينة شيراز في إيران. وقد انتقلت عائلته، ولما يزل السيد حسن صغيراً، إلى كربلاء المقدسة حيث درس العلوم المعاصرة والدينية وتتلذذ على يد والده آية الله مهدي شيرازي وكذلك أخيه الأكبر محمد شيرازي وكلاهما من كبار العلماء. وإلى جانب هؤلاء، نهل السيد حسن العلم من آية الله محمد هادي الميلاني^(١٤)، وآية الله محمد رضا الاصفهاني. وزيادة على تفقهه في العلوم الدينية وبلوغه درجة الاجتهاد، قرض السيد حسن الشعر وكان حجة في الأدب العربي.

وقد أدت مجاهرته العداء لنظام البعث وانتقاده العلني لسياساته، إلى القاء القبض عليه وقضائه تسعة أشهر في السجن تعرض خلالها إلى شتى صنوف التعذيب والتنكيل. دخل السيد حسن المستشفى اربع مرات لتلقي العلاج من مشكلات صحية جسدية وعقلية.

وبعد نفيه في ١٩٧٠، واصل السيد حسن عمله في صفوف المعارضة السياسية الإسلامية خارج العراق، حيث أسس ثلاثة مراكز للتعليم الديني وعمل مدرساً فيها؛ وهي الحوزة الزينية في سوريا وحوزة الإمام المهدي في لبنان والحوزة الهاشمية في سيرايليون. ألف السيد حسن عدداً لا بأس به من الكتب في الفقه وعلم الاخلاق الاسلامي، وعلى نحو مماثل لمصير السيد مهدي الحكيم، أُغتيل السيد حسن في بيروت في الثاني من أيار عام ١٩٨٠.

يقيم آية الله محمد شيرازي، الأخ الأكبر للسيد حسن، في قم، ويعمل أثنان من أخوته، وهما عالما دين، في أماكن أخرى في إيران.

حجة الإسلام محمد باقر الحكيم^(١٥): ولد السيد محمد باقر الحكيم في مدينة النجف الأشرف في حوالي العام ١٩٤٤، وهو سادس أبناء آية الله حسن الحكيم العشرة. وعلى نحو مماثل لأخوانه، تلقى السيد محمد باقر الحكيم تعليماً دينياً تقليدياً في النجف. ولكونه من طلائع المنتمين إلى الحركة الإسلامية، نشط السيد محمد باقر الحكيم في مجال الدعوة للإسلام، فألف الكتب ونشر المقالات المعنية بتقديم الإسلام نظاماً متكاملًا وشاملاً لشتى جوانب الحياة وساهم في تنظيم انتفاضة صفر في شباط ١٩٧٧. ولمرات عدة، في ١٩٧٢ و ١٩٧٧ و ١٩٧٩، قامت حكومة البعث بزج السيد الحكيم في السجن، وبعد إطلاق سراحه في ١٩٨٠، قرر السيد الحكيم الهرب إلى إيران.

في إيران، تولى السيد محمد باقر قيادة جماعة العلماء المجاهدين وكذلك رئاسة المجلس الأعلى الإسلامي منذ تأسيسه في ١٩٨٢. وفي أثناء الحرب العراقية-الإيرانية، أخذ السيد الحكيم على عاتقه القيام بجولات تفتيشية منتظمة في معسكرات اللاجئين العراقيين الخمسة عشر إلى جانب تفقده القوات العسكرية التابعة للمجلس وفي اتصالاته مع مجموعات المعارضة العراقية في دمشق، وفي أنحاء العالم الأخرى، مثل السيد الحكيم وجهات نظر الحكومة الإيرانية. إلى جانب ذلك، واصل السيد الحكيم اتصالاته مع مجموعات المعارضة العربية السنية وكذلك الكردية مبدئياً استعداداً للتعاون معها ودعم انتخابات المجلس الاستشاري لكتابة دستور جديد للعراق.

بنت الهدى: عالمة آمنة حيدر الصدر، المعروفة ببنت الهدى^(١٦)، هي أخت آية الله والمرجع الشيعي المعروف محمد باقر الصدر. ولدت السيدة بنت الهدى في مدينة الكاظمية. وبعد وفاة والدها، تولى أخوها اسماعيل ومحمد باقر تربيته ورعايته وتنقيفها في أصول الدين والفقه والحديث النبوي وسيرة الأئمة (عليهم السلام - المترجمة) وباقي المعارف الإسلامية. وفضلاً عن ولعها بمطالعة الكتب والمؤلفات الإسلامية، اضطلعت بنت الهدى بعدة أدوار رئيسة منها تأسيسها مدارس الزهراء (عليها السلام - المترجمة) الدينية للفتيات في بغداد والنجف واشرفها على ادارتها، ودورها في تعميق الوعي الديني والإسلامي لدى المسلمات في النجف. ألّفت بنت الهدى ثمانية كتب، نشر أولها في بداية الستينيات بعنوان (كلمة الدعوة). كما شاركت في التظاهرات الاحتجاجية ضد القاء القبض على أخيها، السيد محمد باقر الصدر، في ١٩٧٩ وأدى ذلك إلى القاء القبض عليها واعدامها مع أخيها في اليوم نفسه، الثامن من نيسان عام ١٩٨٠. واحياءً لذكراها وتثميناً لدورها الريادي في مجال التنقيف الإسلامي، أُطلقَ على العملية الانتحارية التي قام بها حزب الدعوة لاغتيال صدام حسين في منطقة الدجيل في ١٩٨٢، "عملية بنت الهدى".

الشيخ عارف البصري: ولد الشيخ العلامة عارف البصري^(١٧) في مدينة البصرة في ١٩٣٧. وبعد اكماله دراسته الثانوية في البصرة، دخل العلامة البصري كلية أصول الدين في النجف وكان من طلائع المؤسسين لحزب الدعوة. وبعد اكماله دراسته الجامعية، كلفه آية الله الحكيم بتدريس مادة أصول الدين في مدرسة الامام الجواد وكلية أصول الدين في بغداد. وفضلاً عن التدريس، كُلف البصري بمهام عدة منها توزيع اموال الصدقات على

مستحقها وأعداد البرامج الدينية في الراديو والتلفزيون. وشكل لقاء القبض على العلامة البصري في الثامن عشر من تموز ١٩٧٤ نهاية لمسيرته الجهادية ، وعلى الرغم من تأجيل الحكم عليه بسبب التظاهرات اليومية التي نظمها انصاره امام المحكمة، فقد عانى الامرين في السجن وشُنق في كانون الاول من العام نفسه. وتتمنياً لدوره الريادي على صعيد الجهاد التبليغي، أطلق اسمه على احدى وحدات المجاهدين التي شاركت في القتال ضد الحكومة العراقية في الحرب العراقية - الايرانية، فاصبحت تُعرف باسم "وحدة الشيخ عارف البصري".

رجال الدين والعوائل الدينية الاخرى في الحركة الاسلامية:

ساهمت رغبة المرجع آية الله محسن الحكيم في وضع موارد المؤسسة الدينية في خدمة الحركة الاصلاحية في جعل أنشاء منظمة "جماعة العلماء"، امراً ممكناً. ولتحقيق هذه الغاية واخراج هذه المنظمة إلى النور، نظمت المؤسسة الدينية سلسلة من الاجتماعات التجنيدية في عامي ١٩٦٢ و ١٩٦٣، وقرر آية الله الحكيم ارسال الامام موسى الصدر إلى لبنان للاشراف على تنظيم الشيعة وتعميق الوعي السياسي الذي برزت ملامحه في السبعينيات لديهم. وتولى آية الله أبو القاسم الخوئي المعروف بعزوفه عن النشاط السياسي مهمة الاشراف على مدرسة بنت الهدى الدينية للبنات في النجف^(١٨) وتمويلها مالياً. اما وكيله السيد محمد حسين فضل الله فيُعد من كبار العلماء الشيعة في لبنان وهو أحد اعضاء جماعة العلماء ويُشار له بالبنان في اوساط الطائفة الشيعية هناك.

ولد الشيخ فضل الله لعالم مجتهد لبناني في مدينة النجف التي شهدت بواكير كتاباته السياسية التي واصلها بعد انتقاله إلى لبنان. وفي ١٩٧٦،

العام الثاني للحرب الاهلية اللبنانية، نشر فضل الله كتابه (الإسلام ومنطق القوة) يحث فيه الشيعة على التخلي عن مواقفهم السلبية المسالمة والانخراط بفاعلية في مشروع اقامة المجتمع الاسلامي العادل والملتزم دينياً. وفي السياق ذاته، يرى الشيخ فضل الله في العزوف عن السياسة والميل إلى المسالمة الذي نصح به الائمة (عليهم السلام - المترجمة) في القرون الاولى من الحكم الاسلامي ظرفاً طارئاً لا ينبغي الأخذ به في الاوقات الحالية. ولهذا أعلن صراحة "أن الأوان قد آن للوقوف بوجه القمع والاضطهاد الذي يُمارس بحق المجتمع الاسلامي بعامه وابناء الطائفة الشيعية بخاصة"، وقد دافع الشيخ فضل الله بشدة عن استخدام العنف والقوة في حالة الدفاع عن النفس لا بوصفه امراً مشروعاً فحسب، بل وملزماً في حالة الشيعة، وبينما لم يصر الشيخ فضل الله على اقامة الدولة الدينية في لبنان لوجود الاغلبية المسيحية، إلا أنه شدد على ضرورة مشاركة الشيعة في حكم البلاد^(١٩).

نشر رجال الدين الشيعة عدد لا يحصى من الكتابات والمنشورات في مسعى منهم لإعادة تفسير التعاليم والاحكام الاسلامية للشيعة وتعبئتهم سياسياً. كما اصدروا قرارات تخص المجموعات الاسلامية وحاولوا تجنيد عوام الشيعة فيها. وعلى سبيل المثال لا الحصر، تولى رجل الدين الشيخ أبو ميثم الخفاجي مسؤولية قيادة قوات البسيج العراقية^(٢٠) في اثناء الحرب العراقية - الايرانية، وكان رئيس الجمعية العامة في المجلس الاعلى، السيد علي الحائري، ينحدر من احد العوائل الدينية العراقية البارزة^(٢١). ولكل مجموعة ناشطة مرشد ديني يشرف على سير عملها، وآخر من تولى هذا المنصب في حزب الدعوة الشيخ العطيفي. وتعاقب على قيادة منظمة العمل الاسلامية حجة الاسلام محسن الحسيني وأبناء أخت آية الله حسن شيرازي،

وهم محمد تقي المدرسي ومحمد هادي المدرسي، وعلى الرغم من عدم بلوغهما مرتبة الاجتهاد، فإن كليهما يُعدان من الشخصيات الدينية البارزة، وقد عُرف عن الاخ الاكبر محمد تقي تبحره في العلوم الدينية وسعة اطلاعه على المؤلفات الاسلامية. اما أخوه الاصغر، محمد هادي، فمعروف على نطاق واسع بجهوده السياسية الرامية إلى نشر الافكار والمتبنيات الاسلامية وقد عمل ممثلاً للمجلس الاعلى في الاجتماعات العامة^(٢٢).

أعضاء اللجنة المركزية للمجلس الاعلى جلهم من كبار العلماء. وقبيل الاجتماع السادس للجمعية العامة واللجنة المركزية التابعة للمجلس في طهران في الخامس والسادس من كانون الثاني عام ١٩٨٨، التقى جميع اعضاء اللجنة المركزية التي تعقد اجتماعاتها على نحوٍ منتظم تقريباً بغية التشاور وتنسيق أنشطة المجلس في مدينة قم المقدسة^(٢٣). وفي هذا الاجتماع الذي تميز باكتمال نصابه، كان غالبية المتحدثين من رجال الدين.

بداهةً، اعتاد رجال الدين الشيعة في العراق على الدراسة في الحوزات الدينية المنتشرة في الاماكن المقدسة وقد ترعرعوا في بيئة ذكورية للغاية حيث يتعلمون على ايدي آبائهم وأخوانهم الاكبر سناً والذين تعلموا منهم احترام الاكبر سناً ومقاماً وكذلك قر في أنفسهم توقع احترام الآخرين لهم لما تتمتع به أسرهم من مكانة دينية مرموقة ولمواظبتهم على دراسة المعارف الدينية، وهم ينظرون لمسألة احترام السلطة الدينية واطاعة تعليماتها بوصفه واجباً دينياً ملزماً.

وفي تشكيل الحركة الاسلامية في العراق، احتلت ثلاث من أبرز العوائل الدينية قصب السبق، وهي عائلة الصدر من الكاظمية، وعائلة الحكيم من النجف والشيرازي من كربلاء. وحرصت القيادات الدينية في المدن العراقية

الاصغر التي تأتمر بأمر الحوزة على تنظيم فعاليات المجموعات التابعة للحركة في مدنها. وقد أثر انتشار القيادات المؤسسة للحركة في المدن الثلاث إلى تباین توجهات المنخرطين فيها في ما يتصل بالجهة التي يودون الانضمام لها. مثال ذلك، تتزايد احتمالات انضمام سكنة كربلاء لصفوف منظمة العمل الاسلامي التي يرأسها الاخوان المدرسي بمعدل اكبر من انضمامهم الى حزب الدعوة الذي تأسس في مدينة النجف . وبينما تحدد وجود غالبية المجموعات الاسلامية بالمدن، تمكن كل من حزب الدعوة ومنظمة العمل الاسلامي من توسيع قاعدة وجودهما خارج مدن المنشأ، فعمل حزب الدعوة، مثلاً على تجنيد الانصار في الجامعات العراقية في حين نشطت منظمة العمل الاسلامي في دول الخليج ، حيث شاركت بفاعلية في التظاهرات التي عمت البحرين في آب من عام ١٩٧٩ تأييداً لأقامة الحكومة الاسلامية واحتجاجاً على حكم الاعدام الذي أصدرته السلطات البحرينية بحق قائدها الشيخ هادي المدرسي.

وعلى الرغم من الاختلاف في الآراء والتوتر الذي وسم العلاقة بين المجموعات الاسلامية العراقية احياناً والذي كشفت عنه إصداراتها وصحفها، فقد تعاونت هذه المجموعات فيما بينها وعملت على تنسيق جهودها. وتمحور الخلاف ، في احد مستوياته المهمة، حول تحديد من هو الافضل والاكثر قدرة على خدمة القضية الاسلامية في العراق. وقد ساهم التقليد الشيعي الذي ينص على ان بلوغ المراتب الدينية يعتمد ، في جزء كبير منه، على عدد المقلدين والاتباع في تعقيد طبيعة المسائل الخلافية وزيادة حدة التنافس والاهتمام بالعلاقات العامة. مثال ذلك ما ذكرته جريدة الجهاد الناطقة بلسان حزب الدعوة من تمثيل "حزب الدعوة للمحور الذي

تتمفصل حوله الفعاليات الإسلامية في العراق^(٢٤). وردت "العمل الإسلامي"، وهي الجريدة الرسمية الناطقة بأسم منظمة العمل الإسلامي، على هذا التصريح ببيانات عدة أكدت فيها أنه "ليس لأية مجموعة حق أدعاء حيازتها المسؤولية الحصرية للاطاحة بنظام حزب البعث، بما أن النصر الموعود هو نصر سماوي"^(٢٥).

وفي مستوى آخر، يكتسب الخلاف بين المجموعات الإسلامية طابعاً ايديولوجياً صرفاً، فقيادة المجلس الأعلى يدعمون طروحات آية الله الخميني بشأن الحكم الديني بوصفه السبيل الأمثل لاقامة الحكومة العادلة في حين ترى غالبية الحركات الإسلامية الأخرى في العراق استحالة اقامة الحكومة الدينية في ظل التنوع السكاني ووجود أغلبية سنية. ولتشدده في موقفه المعارض للحكم الديني ورفضه الاذعان لدعوة الخميني - الامر الذي لم يرق للخميني كثيراً - قرر حزب الدعوة ترك حرية الاختيار لاجرائه.

وتاريخياً، ترتبط العوائل الدينية في العراق فيما بينها، بأواصر القرابة والمصاهرة ويتميز ابناء هذه العوائل، رجالاً ونساءً، بشدة التزامهم بالقيم والاعراف الإسلامية التقليدية، وقد شكلت هذه العوائل، حتى حملات التطهير التي قامت بها حكومة البعث ضد ابنائها في سبعينيات القرن الماضي وثمانينياته، مجتمعاً شديد التماسك والتلاحم وحريصاً على الحفاظ على مكانة العراق بعامة ومدينة النجف بخاصة بوصفهما أهم مراكز تدريس العلوم الدينية الشيعية. ولهذا، شكل وجود مرجع ديني من اصول عربية مسألة ملحة لرجال الدين الشيعة في العراق لضمان مساندتهم له على الدوام. كما ان الاستقلال عن ايران في هذا المجال يُعد أحد المعايير المهمة التي ما فتئت تشكل بؤرة للخلاف والتنافس بين رجال الدين الشيعة. وفي هذا

السياق، يرى اعضاء منظمة العمل الاسلامي التي تحظى بشعبية كبيرة في دول الخليج انها اكثر استقلالاً عن ايران من حزب الدعوة. وإذا كان رجال الدين الشيعة العراقيون قد انصهروا في صفوف رجال الدين الايرانيين نتيجة لحملات النفي إلى ايران وحملات التقتيل التي طالتهم في العراق وتضييق الخناق الذي مارسته حكومة البعث على من بقي منهم، فإن الاستقلال الذي حافظ عليه علماء الدين الشيعة من اصول عربية بصعوبة بالغة لقرون طويلة قد حُكم عليه بالموت.

الانتلجنسيا الشابة: لكي تتمكن القيادات الدينية للحركة الإسلامية من تفعيل الحركة الاجتماعية، ينبغي وجود شرائح اجتماعية تهتم باهداف هذه الحركة وتتجاوب مع منطلقاتها الفكرية. وفي العراق، تجاوب المسلمون الشباب الملتزمون دينياً، المتعلمون منهم وغير المتعلمين مع دعوة رجال الدين الرسالية. وعلى شاكلة الانتلجنسيا العلمانية الشابة التي عارضت حكومة الشاه في ايران ووقفت بوجه سياساته القمعية، دشّن الشباب العراقي المؤمن نشاطهم السياسي بمعارضة سلمية للحكومات العراقية، ولم يكن لجوؤهم للسلاح والعمل العسكري، بعد ذلك، إلا رداً على استخدام الحكومة السلاح ضدهم. وفي العراق وايران على حد سواء، كان المفكرون الشباب يشعرون بالاستياء من الفقر المدقع الذي يعيشه افراد الشعب في هذه البلدان المنتجة للنفط، كما أبدوا تذرهم من استشراف الفساد والمحسوبية والاستئثار بالحكم الذي تمارسه حكومات بلدانهم^(٢٦).

وإلى جانب شعورهم بالسخط والامتعاض حيال الاوضاع المتدهورة في بلدانهم، هناك الضغط وسياسة التضييق الاقتصادية التي مارسها الحكومة ضدهم، إذ تمكنت حكومة البعث، بعد الزيادة الكبيرة في معدلات التعليم في

العراق في ستينيات القرن العشرين وسبعينياته، من الاستغناء عن خدمات أولئك الذين يرفضون الانضمام لصفوف البعث. وبسيطرة الحكومة على غالبية القطاعات الانتاجية والاقتصادية بحلول اواسط الستينيات، تكون الابواب قد أُوصدت عملياً، بوجه الشباب العراقي المتعلم ولم يتبق امامه من خيار غير القبول بالوظائف الحكومية. وهكذا، وجد الشباب العراقي المتعلم أنفسهم امام خيارين لا ثالث لهما، أما الانتماء إلى الحزب لضمان الحصول على وظيفة او المجازفة بعدم التعيين ومكابدة شظف العيش . وبهذا الصدد، ذكرت مجلة "النهضة الاسلامية": "تتحكم الحكومات العسكرية ، عملياً، بجميع الاعمال والوظائف، ولهذا، فعلى من يرغب بالحصول على وظيفة حكومية في العراق، أن يحوز، فضلاً عن المؤهل الاكاديمي. وربما أهم منه، على توصية من أحد أفراد العائلة المقربين من الحزب الحاكم؛ الامر الذي يعني، عملياً، اجبار العوائل العراقية على الانتماء لحزب البعث لضمان بقائهم^(٢٧). وقد عانى خريجو الجامعات العراقية الذين رفضوا الانضمام لحزب البعث من فترات طويلة من البطالة اضطرتهم لتأجيل مشاريع كثيرة منها الزواج . وقد أدى ذلك إلى تفاقم شعورهم بالاستياء والسخط. وحتى في حالة حصول غير المنتمين للحزب على وظيفة، فإنها غالباً ما تكون وظيفة غير مناسبة لمؤهلاتهم الاكاديمية وطموحاتهم الشخصية. يضم الجدول (٥-٥-٢) قائمة بأسماء الشباب العراقي المتعلم الذي ساند رجال الدين في مقارعتهم للحكومة العراقية. أما جدول (٥-٣) فيحوي معلومات شخصية موجزة عن الاسلاميين الشباب من ذوي التعليم غير الديني والمدونة اسماؤهم في جدول (٥-٢). وجغرافياً، ينتمي المذكورون في الجدول إلى جميع المناطق باستثناء الجزء الشمالي القصي من العراق، وقد جُند غالبيتهم في الحركة

عندما كانوا طلاباً غير واثقين من فرص حصولهم على وظيفة بعد التخرج ومن بين الخمسة عشر شاباً في الجدول، ولد ستة في احدى المناطق الشيعية المقدسة، وبينما لا يمكن عد هؤلاء الشباب، بالضرورة، ممثلين للإسلاميين المتعلمين في العراق، فإنهم لا يشكلون بالضرورة استثناءً. وتضم منشورات الحركة الإسلامية واصداراتها المئات من أسماء الناشطين وفعالهم، ولكن، ومما يثير الاستغراب حقاً، عدم أيراد هذه المنشورات لأية بيانات اجتماعية تخص هؤلاء الناشطين. يضم الجدولان (٥-٢) و (٥-٣) قوائمً بأسماء جميع الناشطين السريين الذين تمكنت من الحصول على بياناتهم الاجتماعية.

فقراء المدن: يحتل فقراء المدن المرتبة العددية الثانية بعد رجال الدين في الحركة الإسلامية العراقية، وعلى الرغم من تحدث المسؤولين في حزب البعث، باستفاضة وعلى نحو مقنع، عن المشاريع والبرامج التي تعتمز الحكومة تنفيذها لتحسين اوضاع الطبقات الفقيرة، بدا واضحاً للعيان دعم هذه الطبقات للإسلام المؤسس، وليس أدل على ذلك من اندفاع سكان مدينة الثورة إلى الشوارع للاحتفال بالثورة الإسلامية في ايران. يزداد على ذلك ما شهدته المدينة من تظاهرات احتجاجية عارمة ضد الحكومة بعد القائها القبض على آية الله الصدر مطلع حزيران ١٩٧٩^(٢٨). ويُعتقد بان هذا هو السبب في تنفيذ حكم الاعدام بحجة الاسلام، قاسم المبرقعي، امام الجامع الرئيس في المدينة، في نهاية الشهر ذاته^(٢٩). في كلمته امام مجلس الامن في الامم المتحدة في ١٥ تشرين الاول ، ١٩٨٠، أنهم سعدون حمادي ، وزير الخارجية آنذاك، سكان الثورة وكذلك الكاظمية وكربلاء والنجف والعمارة والبصرة^(٣٠) بارتكاب الاعمال التخريبية، وكما هو واضح، فجميع هذه المدن هي مدن شيعية.

وينحدر فقراء المدن في العراق من اصول ريفية، إذ هاجر أبائهم واجدادهم في فترات مختلفة هرباً من سوء الأوضاع المعيشية في الريف، وهؤلاء المهاجرون لم يجلبوا معهم شيئاً يذكر سوى الولاء العائلي والإيمان والاسلام. والاسلام الذي يؤمن به هؤلاء لا يمثل نسقاً فكرياً منعزلاً، بل ان حضوره طاغ ومتغلغل في جوانب الحياة اليومية كافة. وفي دراستها للمهاجرين الريفيين في العراق، لاحظت دوريس قلب ، ان زيارة الاضرحة الدينية تشكل وسيلة الترفيه الثانية المفضلة لديهم ولا يفوقها في الأهمية غير الجلوس والتحدث^(٣١).

ولفقراء المدن في العراق تظلمات كثيرة ضد الحكومة، فبحلول نهاية السبعينيات، بلغ عدد سكان مدينة الثورة اكثر من مليون نسمة، وعلى الرغم من تشكيلهم ثلث سكان مدينة بغداد، عانى سكان مدينة الثورة من قصور شديد في قطاع الخدمات، فليس ثمة ماء صالح للشرب ولا مجاري ولا شوارع مبلطة. رغم ذلك ، لم تبادر الحكومة إلى ادخال بعض التحسينات الاساسية على قطاع الخدمات إلا في العام ١٩٨٠ في رد فعل منها على نجاح الاسلاميين في تعبئة السكان هناك. ومما يثير الاستغراب حقاً حدوث ذلك بعد خمسة واربعين عاماً على تدفق عائدات النفط إلى العراق وسبعة عشر عاماً من تسلم حكومة البعث، بشعاراتها الاشتراكية الجذابة، السلطة، وكذلك بعد عشرين عاماً من مشروع عبدالكريم قاسم لتوطين المهاجرين من الريف فيها. وعلى الرغم من الجهود التي بذلتها الحكومات العراقية المتعاقبة في مجال زيادة معدلات التعليم ودعم الطبقة الوسطى، فإنها اجمت عن تخصيص ما يكفي من الموارد النفطية لتحسين الأوضاع المعيشية للشرائح الاقفر من السكان عبر زيادة الرواتب مثلاً أو تنفيذ مشاريع الاسكان

الحكومية أو تحسين البنى التحتية. على الضد من ذلك، عملت حكومة البعث على الإبقاء على الاجور منخفضة عبر استجلاب العمالة الاجنبية، إذ بلغ عدد العمال المغتربين في العراق، بحلول العام ١٩٨٠، حوالي النصف مليون من مجموع المغتربين الاجمالي البالغ مليون^(٣٢) زيادة على ذلك، بلغ معدل الارتفاع السنوي في الاسعار في عهد حكومة البعث - إلى حد العام ١٩٧٦-١٠% في مقابل متوسط نمو في الاجور لم يتجاوز ٣,٢% ، الامر الذي يعني انخفاضاً فعلياً في قيمة الاجور الحقيقية وفي القدرة الشرائية؛ انخفاض مرد السبب فيه، على نحو رئيس، إلى السياسات الحكومية المتبعة^(٣٣). حقيقة، لم تشهد الاجور ارتفاعاً فاق معدلات التضخم إلا في أواخر السبعينيات ولم يحدث ذلك في كل القطاعات الاقتصادية ، بل في قطاعات معينة.

وبوصفهم اعضاء فاعلين في الحركة الاسلامية في العراق، لم تكن اعداد فقراء المدن تتجاوز ابدأ اعداد افراد الانتلجنسيا الشابة في الحركة، إلا أن اعدادهم ، بوصفهم متعاطفين مع الحركة الاسلامية، فاقت كل التوقعات، إذ شاركت اعداد كبيرة منهم في تظاهرات السبعينيات ضد حكومة البعث، الى جانب ذلك، لعب فقراء المدن ادواراً فردية مهمة في الحركة الاسلامية، كما يتضح ذلك من الناشطين الاساسيين الثمانية الواردة اسمائهم في جدول (٥-٤) الذي يضم معلومات شخصية عنهم. وتوحي انواع المهن التي عمل بها هؤلاء الناشطون ان تحصيلهم الدراسي لم يتجاوز المرحلة الابتدائية، على الرغم من تمتعتهم جميعاً، ربما باستثناء الاخ الكوفي الاصغر، بمهارات تؤهلهم للعمل. شكل هؤلاء الناشطون جزءاً من شريحة فقراء المدن وكانوا جميعاً (ربما باستثناء ابو مهند الذي لا يُعرف محل ولادته) من سكنة بغداد

الاصليين، أي أنهم لم يكونوا من المهاجرين الريفيين^(٣٤). يحوي الجدول (٥-٥) ملحقاً بالبيانات الاجتماعية المدونة في الجدول (٥-٤) والخاصة بهؤلاء الناشطين.

وعلى شاكلة نظرائهم من ذوي التعليم الجامعي، كان غالبية هؤلاء الناشطين من الشباب، ونصفهم تقريباً من مدينة الكوفة التابعة ادارياً إلى مدينة النجف الاشرف. ولكن ، وبخلاف الناشطين الموسرين، جُنِدَ الناشطون من فقراء المدن في الحسينيات والجوامع وليس في الجامعات. وفي ١٩٨٦، ذكر لي الناطق بأسم حزب الدعوة أن احدى المسائل التي تشعر قيادة الحركة الاسلامية بالاسف حيالها هي عدم أهتمامها ومسارعتها لتجنيد فقراء المدن وغير المتعلمين في وقت مبكر من تأسيس الحركة^(٣٥). وبداهةً، كان الدور الكبير الذي اضطلع به فقراء المدن في أنجاح الثورة الاسلامية في ايران عامي ١٩٧٨ و ١٩٧٩ بمثابة درس لقيادات الحركة الاسلامية في العراق، ومنهم قيادة حزب الدعوة، ينبههم إلى أهمية هذه الشريحة وإلى طاقاتها الثورية الكامنة.

إن العدد الكبير للعراقيين الذين ينتمون إلى الطبقات الدنيا والفقيرة من المجتمع يجعل مشاركتهم في أي حركة معارضة سياسية لا تعتمد في الوصول الى السلطة على القوة العسكرية، مهمة ان لم تكن ضرورية. وعلى نحوٍ مماثل لفقراء المدن الايرانية، شكل فقراء المدن في العراق ارضية خصبة ومناسبة لنمو المعارضة الاسلامية ودعمها، فالفقراء في العراق، رغم رجحان كفتهم العددية في المجتمع، عادةً ما افتقروا للتنظيم والتمثيل الحقيقي في الحكومة. وطالما بقي شيعة العراق بعامة وفقراؤهم بخاصة غير منظمين، فلن تكتب لجهودهم الرامية إلى اجبار الدولة على احترام حقوقهم

وصيانة مصالحهم النجاح. وجدير بالانتباه استعداد فقراء المدن العراقية، على نحو مماثل لفقراء المدن الايرانية ، إلى التجارب مع الدعوة الى الاسلام بالاخص عندما تتخذ هذه الدعوة من تحقيق العدالة الاجتماعية هدفاً ومنطلقاً لها، ولنا في تجربة حزب الله في لبنان وفقراء المدن في العراق الذين انضموا إلى منظمة انصار الدعوة وغيرها من الجماعات الاسلامية خير مثال على ذلك.

المجموعات الاجتماعية الأخرى: كما لاحظنا، لم يُبد علماء الدين وفقراء المدن والمتقنون الشباب ممن اضطر للعمل في الوظائف الحكومية بالاجور والاماكن التي تحددها الاخيرة، لم يُبد هؤلاء اهتماماً كثيراً بالبنية الاجتماعية القائمة في مجتمعهم، وربما يعود ذلك اساساً إلى عدم اقتناعهم بهذه البنية. وكان من الطبيعي بالنسبة لهذه الشرائح ان تكون الاكثر تجاوباً وتعاطفاً مع الحركة الاسلامية . بيد أنهم لم يكونوا الشرائح الاجتماعية الوحيدة التي أنتمى افرادها الى الحركة التي ضمت صفوفها إلى جانبهم عدداً من التجار والضباط العسكريين على الرغم من الفرص الاقتصادية الكبيرة المتاحة للفئة الاولى وحرص السلطات العسكرية على اختيار افراد الفئة الثانية. وإلى جانب هذه الشرائح الاجتماعية، انضم الفلاحون الى الحركة الاسلامية على الرغم من عدم خضوعهم لعملية تعبئة سياسية من قبل قياداتها.

فلاحو الدجيل: على الرغم من الصعوبات التي واجهها المهاجرون الفلاحون في المدن وتذبذب موارد رزقهم، فإنهم عَدّوا أنفسهم أفضل حالاً من الناحية المادية في محال اقامتهم الجديدة عنه عندما كانوا في الريف، وقد اشارت احدى الدراسات الميدانية في عامي ١٩٧٤ و ١٩٧٥ إلى دور "العوامل الريفية" في دفع الفلاحين إلى الهجرة من الريف إلى المدينة في

مقابل "العوامل المدينية" التي تجذبهم إلى المدن^(٣٦). وثمة عوامل لا تحصى تدفع سكان الريف إلى الهجرة إلى المدينة منها تدهور الأوضاع المعيشية للفلاحين واضطهاد مالكي الأرض لهم وارتفاع ملحوظ التربة وحوادث الفيضان وتذبذب المناخ ، وجميعها عوامل تؤثر في معدلات انتاجية الأرض وبالتالي العوائد المالية التي يحصل عليها الفلاحون. وفي السنوات العشر الممتدة بين ١٩٦٨ و ١٩٧٨، سجل القطاع الزراعي معدل النمو الأوطأ في الاقتصاد العراقي^(٣٧). وفي ١٩٨٠ أشار التقرير الذي أعدته وحدة المخابرات الاقتصادية إلى أن الانخفاض الحاد في معدلات الدخل دفع العراقيين إلى الهجرة خارج ما كان يُعدّ سابقاً مناطق ريفية ذات كثافة سكانية واطنة^(٣٨). وينتمي غالبية الفلاحين العراقيين إلى الطائفة الشيعية ويلاحظ عليهم افتقارهم للتنظيم وعدم تمثيلهم تمثيلاً مناسباً في الحكومة. وعلى الرغم من قيام حكومة البعث بتنظيم الفلاحين في الجمعيات التعاونية الفلاحية والمجلس الزراعي الأعلى، فقد فشلت هذه المؤسسات في تحسين الواقع الاقتصادي للفلاحين ولم تقدم لهم شيئاً يذكر، إذ عملت الجمعيات بوصفها وسيط أو مقاول عمال يجهز السلطات الحكومية بالأيدي العاملة الفلاحية اللازمة، في حين تمحورت مهام المجلس الزراعي حول ضمان سلطة الحزب وتعزيز حضوره في اوساط الفلاحين^(٣٩).

وبالنظر لأجتماع عوامل التشتت الجغرافي للفلاحين وسوء اوضاعهم الاقتصادية، فقد كان من الصعوبة بمكان نجاح النخب السياسية بتنظيمهم . وفي العراق، يعيش سكان الريف في قرى صغيرة متباعدة لا يتجاوز عدد بيوتها الأربعين أو الخمسين بيتاً في أحسن الاحوال، وهذا النوع من محال الإقامة من السهولة مراقبته والاشراف عليه من قبل مالكي الاراضي

ووكلائهم، وليس بمستغرب والحال هذه قلة المعلومات الدالة على انخراط الفلاحين في النشاط السياسي، باستثناء ربما، فلاحو الجبل، وهي منطقة زراعية منظمة تقع في شمال شرق بغداد.

وفي تموز ١٩٨٢، شنت اثنتان من خلايا المجاهدين التابعة لحزب الدعوة هجوماً مسلحاً على صدام حسين وحمايته. في اثناء الهجوم، قُتل (١٥٠) رجلاً، وفي ظل غياب المعلومات الموثقة حول الناشطين السياسيين في صفوف الفلاحين، يُعتقد ان التركيبة الاجتماعية في الدجيل وتحكم الفلاحين بمواردهم الاقتصادية قد سهلت عليهم الانخراط في الانشطة الجهادية.

وبين عامي ١٩٤٦ و ١٩٥٠ وفي اثناء الحكم الملكي، شكل سكان الدجيل خليطاً من السُنّة والشيعية. ومنحت كل واحدة من العوائل (١٠٥٨) مائة دونم من الاراضي المستصلحة حديثاً شريطة استغلال العائلة للارض لمدة عشر سنوات. وبما ان المعيار الوحيد لمنح قطعة الارض هو ان يكون المتقدم من سكنة منطقة الدجيل، فإن العديد ممن حصلوا على قطع الاراضي لم يكونوا من الفلاحين المتمرسين. وهكذا، وزعت الاراضي على عدد من ضباط الجيش والشرطة المتقاعدين والموظفين الحكوميين والعاطلين عن العمل من خريجي المؤسسات الدينية^(٤٠).

ولم يكن فلاحو الدجيل من المُعتمدين أو الأميين الذين تعوزهم الصلات التنظيمية بعضهم بالبعض الآخر. أن مستوياتهم التعليمية واستقلالهم المادي النسبي جراء حيازة الارض وصلاتهم التنظيمية الدقيقة قد جعلت منطقة الدجيل منطقة عالية التنظيم وجعلت اوضاع فلاحها تختلف اختلافاً بيناً عن اوضاع الفلاحين في المناطق الاخرى. وعلى الرغم مما خلفته معدلات

الملوحة العالية نتيجة قُدم نُظم البزل والتصريف من تأثير سلبي على معدلات الانتاج الزراعي، تمتع فلاحو الدجيل، على نحوٍ عام، بوضع اقتصادي افضل من الفلاحين في المناطق الاخرى. ان التمرد الذي شهدته الدجيل ضد النظام البعثي ومحاولة اغتيال صدام حسين يدعم وجهة نظر أرك وولف القائلة: ان الطبقة الفلاحية المتوسطة، وليس العمال الكسبة المتواكلون الذين لا يملكون اراضٍ ولا مالكي الاراضي من الاقطاعيين الاغنياء، هي الطبقة الريفية الاكثر ميلاً للتمرد والثورة^(٤١).

التجار المفقودون: على الضد من الفلاحين، يمثل التجار التقليديون شريحة اجتماعية يحتمل انخراطها في الحركة الاسلامية؛ فتجار الاسواق الايرانيون شكلوا جزءاً من التحالف الذي اطاح بنظام الشاه في ايران، كما دعم التجار السوريون الحركة الاسلامية في بلادهم^(٤٢). ويؤلف الحرفيون والتجار الصغار، المنتمون إلى الطبقة الوسطى التقليدية، الشريحة الاجتماعية الاكثر استعداداً للانخراط في صفوف المعارضة السياسية. وتقليدياً، يُعد تجار الشورجة الشيعيون من أبرز المساهمين في دعم المرجعية الدينية مالياً - عبر دفع الخمس - وقد يُفسر هذا السبب في حرص حكومة البعث على ترحيلهم عن العراق في ١٩٨٠. رغم ذلك، تندر الإشارة الى التجار في منشورات الحركة الاسلامية العراقية، وحتى لو وجدت هكذا اشارات، فإنها لا تبين نشاطاً ذا شأن من جانبهم. في حديثه التفصيلي عن انتفاضة ١٩٧٧^(٤٣)، ذكر سامي جواد حادثة ارسال المشرفين على تنظيم الانتفاضة لأحد الشباب إلى تجار الاقمشة في النجف لشراء مقدار كبير من الأقمشة الضرورية لعمل الرايات واللافتات، وعندما سأل التاجر الشاب محمد سعيد جواد البلخي عن السبب في شراء هذه الكمية

الكبيرة من الأقمشة، أجاب البلغي أنه يريد لها لأحد الفرق الرياضية، تمويه ما كان ضرورياً لو كان للحركة الإسلامية حليف في اوساط تجار الاقمشة . والدليل الآخر على ضعف مشاركة التجار في الحركة الإسلامية ما قاله محمد باقر الحكيم، فعندما سأل في مقابلة معه في ١٩٨٢ عن الجهات التي تدعم الحركة الإسلامية، اجاب الحكيم إن جميع شرائح الشعب العراقي تدعم الحركة الإسلامية، ومنها: الفلاحون والطلاب والعمال الكسبة والموظفون والعلماء، ولكن ليس التجار^(٤٤).

ولا يعني هذا الحديث الغياب الكلي للتجار عن المشاركة في الحركة الإسلامية في العراق، وإنما يعني، ببساطة، صعوبة عدّ التجار من الشرائح الاجتماعية الأساسية في الحركة. فعائلة التاجر رضا علوان الثرية من منطقة الكرادة في بغداد قد أختفت في غياهب السجون في منتصف العام ١٩٨٣ ولم يعرف شيئاً عن مصير افرادها بعد القاء القبض عليهم في ايار ١٩٨٣ ربما بسبب علاقتهم الوطيدة بعائلة الحكيم^(٤٥). وعلاوة على ذلك، عمل بعض التجار بحماس في صفوف المجاهدين، وليس هذا بمستغرب بالنظر للحضور الشيعي القوي في اوساط التجار الصغار واصحاب الحرف اليدوية. وليس بالامكان تحديد الاسباب الكامنة وراء ترحيلهم او القاء القبض عليهم او معرفة الادلة والتهم التي أدینوا بها بالنظر لسرية محاكماتهم، هذا ان عقدت هذه المحاكمات أصلاً.

إن السياسات التي اتبعتها الحكومة مع التجار قد تُعد تفسيراً مناسباً لغيابهم النسبي عن الحركة الإسلامية ؛ فحكومة عبدالكريم قاسم (١٩٥٨-١٩٦٣) وحكومتا الاخوين عارف (١٩٦٣-١٩٦٨) وكذلك حزب البعث في السنوات الاولى من حكمه جميعها تجنبت اتباع السياسات المعادية للطبقة

الوسطى التقليدية بالقدر الذي فعله الشاه في ايران، كما انها لم تؤمم الصناعات الصغيرة، فضلاً عن ذلك، يتمتع التجار العراقيون الذين لديهم رخص استيراد بأوضاع اقتصادية أفضل بكثير من خريجي الجامعات الذين يعملون لدى الحكومة. ولهذا، يُعد الحصول على اجازات الاستيراد العامل الاهم والاساس في رخاء التجار، بما انها الشرط الضروري لانتعاش التجارة في بلد نفطي لا ينتج ما يكفي من المنتجات الزراعية والصناعية لسد حاجة البلاد. إلا أن عملية منح الاجازات أو ربما حجبها كانت خاضعة خضوعاً مطلقاً لسيطرة الحكومة، مما اضطر التجار إلى محاولة مجاراتها وتجنب ابداء أي نوع من انواع السخط أو الاستياء حيال النظام.

وثمة جانب آخر استفاد منه التجار؛ فالسياسات الضريبية التي أتبعتها الحكومة انصبت في صالحهم، ويلاحظ انه بحلول اواخر العام ١٩٧٠، لم تكن أي ضريبة من ضرائب الدخل المستحصلة تجبى من عوائد النشاط التجاري بالمقارنة مع ٩٢,٧% في ايران في عامي ١٩٧٧/١٩٧٨ و ٨٤,٧% في سوريا في ١٩٧٦^(٤٦). وفي النصف الاول من عقد السبعينيات، تبنت حكومة البعث، على نحو عام، سياسات مشجعة ومفيدة للأنشطة التجارية، وذلك باعتمادها استراتيجية التوسع في انشاء الصناعات الخفيفة المملوكة للقطاع الخاص وتكليف المصارف الحكومية بتمويلها بالمال اللازم. كما شرعت الحكومة في تأجير الاراضي التابعة لها للقطاع الخاص في مقابل نسبة قليلة من قيمتها الفعلية^(٤٧). وقد شجعت هذه الاجراءات عدداً من الاثرياء والعاملين في القطاع الخاص بوصفهم مقاولين وصناعيين ووسطاء على التحالف مع السياسيين في حزب البعث لتشكيل طبقة عليا جديدة ومحدودة العدد يعيش افرادها في احياء بغداد الراقية.

وبالاستناد إلى البيانات التي نشرتها وزارة التخطيط العراقية، قدم عصام الخفاجي، أحد الخبراء الاقتصاديين، أدلة على تشكل طبقة برجوازية ثرية جديدة في العراق؛ طبقة تعود اصولها، اساساً، إلى الشرائح الدنيا والوسطى من الطبقة البرجوازية التقليدية. وشهد العراق في هذه الفترة تطورات سريعة نتيجة الارتفاع المفاجيء في اسعار النفط في ١٩٧٣ وتأميم صناعة النفط العراقية، إذ تضاعف الناتج المحلي الاجمالي من ١,٥١٢,١ مليون دينار عراقي (الدينار كان يعادل ٣,٣٩ دولار) في ١٩٧٣ إلى ٣,٣٣١,٥ مليون في ١٩٧٤^(٤٨). وشهدت البلاد كذلك توسعاً في حيازة الملكية والثروات الخاصة ونجاح التجار واقطاب الصناعة في تعزيز مواقعهم ونفوذهم . واسهم هذا التوسع كذلك في نشوء طبقة جديدة مؤلفة من بضعة آلاف من المقاولين ورجال الاعمال الصغار الذين جمعوا من الثروات ما يؤهلهم لبلوغ مرتبة رجال الاعمال الكبار. وعلى سبيل المثال لا الحصر، تحول التجار من مدينة كبيسة في محافظة الانبار، التي تشكل جزءاً من الشمال العربي السني، من تجار أنسجة تقليديين إلى مالكين لاكثر المصانع تحقيقاً للارباح في العراق. كما ابلى متعهدو البناء والاعمال الانشائية بلاءً حسناً في هذه الفترة.

والجدير بالملاحظة عدم حاجة رجال الاعمال للمساهمة برؤوس اموالهم الخاصة بما ان البنك الصناعي يمنح قروضاً تصل قيمتها إلى ٨٠% من الكلفة الاجمالية للمشاريع الصناعية في حين تراوحت القروض الممنوحة للمشاريع في القطاعات الاخرى ما بين ٤٠% من الكلفة الاجمالية في البصرة وبغداد والموصل إلى ٦٠% في المحافظات الاخرى. وفي ضوء ذلك، لا يحتاج رجل الاعمال سوى إلى تضخيم كلفة المشروع للحصول

على قرض يغطي كامل الكلفة^(٤٩). وللدخول إلى عالم الارباح الكبيرة والثروات الطائلة، لا يحتاج البرجوازيون الطامحون شيئاً خلال التعرف إلى شخص متنفذ سياسياً وقريباً من دوائر الحكم وسجل عائلي خالٍ من النشاطات المناهضة للحكومة. ومما يثير الاهتمام حقاً في هذا السياق، ميل غالبية المسؤولين الحكوميين رفيعي المستوى وكذلك المسؤولين الحزبيين إلى استثمار اموالهم في دول الخليج العربي والدول الاجنبية^(٥٠).

اختيار ضباط الجيش ودعمهم: يؤلف ضباط الجيش احدى الشرائح الاخرى التي حرصت الحكومة على دعمها، ففي عهد عبدالسلام عارف (١٩٦٣-١٩٦٦)، كانت الثكنات العسكرية المكيفة تتناقض على نحو صارخ مع الاوضاع المجحفة في الاحياء الفقيرة المحيطة بها. ويتمتع الضباط بامتيازات اخرى، فبمقدورهم شراء البضائع والمنتجات العادية بمعدلات اسعار أدنى من تلك التي يدفعها المدنيون، وقد واصلت حكومة البعث هذه السياسة التفاضلية، فالتفاوت في توزيع الدخل بين الضباط مرتفعي الاجور والجنود متدني الاجور بلغ ٤٦ إلى واحد، ناهيك عن مخصصات السكن والخدمة والاجور الاضافية التي يحصل عليها كبار الضباط (في المواقع القيادية المتقدمة)^(٥١) وحصل الضباط كذلك على المعدات والاجهزة الكهربائية، وقد سمحت عائدات النفط لحكومة البعث بانفاق اكثر من بليون دولار على استيراد المعدات والاسلحة الروسية في اواسط السبعينيات^(٥٢). وبعد تسلمه مقاليد الحكم في ١٩٧٩، رفع صدام حسين رواتب العسكريين ومنح افراد القوات المسلحة الافضلية في شراء المنازل والسيارات. كما ضاعف من مشتريات البلاد من الاسلحة الغربية المتطورة، وهي خطوة اثارت اعجاب القوات المسلحة. وفي ١٩٨٣ و ١٩٨٤، سمحت الحكومة

بافتتاح مائة ملهى ليلي في بغداد للترفيه عن منتسبي القوات العسكرية^(٥٣). وحتى بعد انتهاء الحرب العراقية - الايرانية، واصلت الحكومة العراقية انفاق الاموال الطائلة على جهازها العسكري^(٥٤).

وعلى الرغم من حرص الحكومة على الاختيار الدقيق للضباط في المواقع المتقدمة والامتيازات التي منحتها لهم (بالاخص لأولئك الذين يشغلون مواقعاً تؤهلهم للقيام بانقلابات) ، نجحت الحركات الاسلامية في تجنيد بعض الجنود والضباط من المراتب المتدنية (برتبة ملازم ثان مثلاً). وثمة عوامل عدة دفعت بالمجندين من المراتب الدنيا باتجاه الانخراط في الحركة الاسلامية منها التدني الواضح لاجورهم وكون الغالبية العظمى منهم من الشيعة، وبالتالي انخفاض حظوظ مشاركتهم في النظام السياسي بمعدل اكبر من نظرائهم من السنة العرب. ويلاحظ انه من بين الاثنين وعشرين ناشطاً المذكورة اسماؤهم في الجدولين (٥-٣) و (٥-٥) ، هناك ثلاثة من المجندين في الجيش. ومن بين الاثنين وثلاثين ناشطاً في جدول (٤-١)، هناك اثنان من الضباط برتبة ملازم ثان فما فوق، واربعة من ضباط الصف وناشط سابع سَجل جندياً. وقد اشرنا في الفصل الرابع الى محاولة ضباط القوة الجوية اغتيال صدام حسين مرتين وبينما لا يمكن عدّ العسكريين، بوصفهم مجموعة مؤسساتية، أحد الأسس الاجتماعية للحركة الاسلامية، من الواضح تحمس العديد من الجنود والمراتب العسكرية للدعوة الى الاسلام.

كلما بدا النصر الذي تعد به الحركة الاسلامية امراً محتملاً وممكناً تضاعفت إمكانيات تعبئة المؤمنين وانخراطهم فيها. وكلما واصلت الحكومة سياساتها التعسفية والقمعية، تضاعفت احتمالات زيادة الشرائح الاجتماعية المؤيدة للحركة الاسلامية، بالاخص بعد المغامرات العسكرية الفاشلة التي

خاضتها الحكومة. وفي الماضي، وعلى الرغم من تجنيد آلاف العراقيين وانخراطهم في العمل السياسي نصرَةً لقضية الاسلام، حكم المراقبون الخارجيون بصعوبة ظهور معارضة سياسية منظمة ومؤثرة في العراق. وبالنظر للحروب المتعاقبة التي أثقلت كاهل العراقيين واستمرار الحكومة في سياساتها التعسفية، ثمة احتمال ان يستمر العراقيون في النظر إلى ما وراء هذا العالم طلباً للمساعدة.

هوامش

١. تاولر ، "الوضع المتغير للوزارة" ، صفحات ٧٣-٧٨.

٢. الكاتب، الثورة الإسلامية في العراق ، صفحات ١٧٢-١٧٣.

٣. ليس بالامكان أن اعزو السبب في انخفاض اعداد رجال الدين إلى ضعف الإيمان، إذ تعاني مصر من ذات المشكلة . ففي حين تخلو جوامعها الحكومية من الوعاظ الدائمين لعدم توفرهم، يلاحظ تولي بعض المسلمين الملتزمين غير المؤهلين أكاديمياً مسؤولية ادارة جوامعها الأهلية. أنظر، غافني "السلطة والجامع في مصر"، ص ٢٠٩. مع ذلك، تمكنت جماعة الاخوان المسلمون والجماعات الإسلامية الاخرى الناشطة في مصر من إعادة تنظيم صفوفها على نحوٍ منتظم بعد حملات التطهير والملاحقة التي قامت بها الحكومة وأبليت بلاءً حسناً في الانتخابات عندما سُمح لها بالاشتراك والتنافس.

٤. كفلاند، صناعة القومية العربية ، ص ١٥٩.

٥. فيير، الاقتصاد والمجتمع، المجلد الثالث، صفحات ١١٧٥-١١٧٦.

٦. حسن، الشهيد الصدر، الصحوۃ الإسلامية، حزيران - تموز، ١٩٨٠، ص ٣، اذار - نيسان ١٩٨١، صفحات ٣-٦؛ كيهان الدولية، ١٥ آب، ١٩٨٧، ص ١١؛ مقدمة كتاب الشهيد الصدر، فلسفتنا، ص XV-iii؛ توطئة كتاب الشهيد الصدر، الشعائر، الصفحات ٧-١٠؛ الشهيد الصدر، من فكر الدعوة؛ بطاطو، "الحركات الشيعية"، ص ٥٩٣؛ عجمي، الامام الغائب، ص ٢٥.

٧. بل، رسائل جرتروود بل، المجلد الثاني، ص ٤٨٤.

٨. ثمة عالم دين آخر من عائلة آل ياسين عمل مرجعاً للشيعية في منطقة الكاظمية هو شيخ محمد حسن آل ياسين (توفي ١٨٩١).

٩. كان الشهداء الثلاثة الآخرون الذين سبقوا آية الله الصدر من رجال الدين البارزين الذين أعدمتهم حكوماتهم بسبب انخراطهم في العمل السياسي دفاعاً عن الحركة الشيعية، والشهيد الأول هو ابن مكي العاملي، الذي أسس جبل عامل في لبنان بوصفه أحد مراكز الدراسات الشيعية المهمة في المنطقة. أعدم العاملي في دمشق في ١٣٨٤ ميلادية بأوامر من السلطان المملوكي، أنظر مومين، الاسلام الشيعي، ص ٩٥، الشهيد الثاني هو زين العابدين العاملي (١٥٠٦-١٥٥٨). تلقى زين العابدين تعليمه على يد عدد من علماء الدين السُنَّة وعمل مدرساً في مدينة بعلبك في لبنان. قُتل زين العابدين بأوامر من اسطنبول. أنظر مومين، الاسلام الشيعي، ص ٣٢٠. أما الشهيد الثالث فهو نور الله ابن شريف شوستري (ولد في ١٥٤٩). عمل الشوستري قاضياً في لاهور وجُلد حتى الموت بتهمة الهرطقة. أنظر هولистер، "الحركة الشيعية في شبه القارة الهندية"، ص ٢٤٣.

١٠. حياة الحكيم، الصفحات أ - ٢٣ وأ - ٣٩؛ "العراق يغلي غضباً"، الصفحات ٦-٥؛ مقابلة شخصية مع السيد مهدي الحكيم في مؤسسة اهل البيت في لندن، ٦ آب، ١٩٨٦؛ نيويورك تايمز، ٢٤ كانون الثاني، ١٩٨٨، ص ٦؛ "سيد مهدي الحكيم" باللغة العربية؛ كيهان الدولية، ٣٠ كانون الثاني، ١٩٨٨، ص ١٦؛ صوت العراق النائر، تموز ١٩٨٨.

١١. يتولى الامام موسى الصدر رئاسة المجلس الاعلى للمسلمين الشيعية في لبنان غيابياً، وبالنظر لأختفاء الامام موسى الصدر في ١٩٧٨ (خلال

رحلة الى ليبيا)، يتولى الشيخ شمس الدين مهام الرئيس التنفيذي للمجلس بدلاً من الامام؛ وهذا المنصب جعله رجل الدين الشيعي الابرز في لبنان. أنضم الشيخ شمس الدين الى القادة اللبنانيين السنة والدرزيين الذين طالبوا باقامة جمهورية ديمقراطية برلمانية تحترم الاختلاف في قوانين الاحوال الشخصية بين المجموعات الدينية المختلفة في لبنان. أنظر نورتن، أمل والشيعية، ص ٩٣.

١٤. تعني الكلمة "الامل"، وعنوان الحركة اختصار لعبارة أفواج المقاومة اللبنانية.

١٣. حياة الحكيم، ص أ - ١١؛ الصحوة الاسلامية، آب - ايلول ١٩٨٠، الصفحتان ١ و ٤، كيهان الدولية، ١٥ آب، ١٩٨٧، ص ١١؛ العمل الاسلامي، ١٥ كانون الثاني، ١٩٨٩، ص ٨؛ مقابلة شخصية مع عضوين من اعضاء منظمة العمل الاسلامية، كاليفورنيا، ٢٧ تشرين الثاني، ١٩٨٧.

١٤. عمل آية الله الميلاني في وقت لاحق مرجعاً دينياً في مدينة مشهد، ايران.

١٥. حياة الحكيم، الصفحات iii وأ - ٢٣؛ الصحوة الاسلامية، كانون الثاني - شباط ١٩٨١، ص ٣؛ بنغيو، "طموح صدام حسين في السلطة"، الصفحات ٣٢٣-٣٤١؛ كيهان الدولية، ٢٠ حزيران، ١٩٨٧، ص ٨؛ ٢٧ تشرين الاول، ١٩٨٧، ص ١٠، ٨ نيسان، ١٩٨٩، ص ١.

١٦. الصحوة الاسلامية، كانون الثاني - شباط ١٩٨١، ص ٣؛ الخاطب ابن النجف، الحركات، الصفحات ٥٠-٥٤؛ الجهاد، ١ حزيران، ١٩٨٧، ص ٦؛ كيهان الدولية، ١٥ آب، ١٩٨٧، ص ١١.

١٧. صوت الدعوة للجماهير، ٢٨ شباط، ١٩٨٠، الصفحات ٢-٣، حزب الدعوة الإسلامية، جرائم صدام، ص ٢١٩؛ الجمعية الإسلامية العراقية في امريكا، "النشرة العالمية"، ص ٨.
١٨. الخاطب ابن النجف، الحركات، ص ٥٤.
١٩. للاطلاع على المزيد بشأن مسيرة الشيخ فضل الله، أنظر الامل والشيعية، الصفحات ١٠٢-١٠٤.
٢٠. كيهان العربية، ٩ كانون الثاني، ١٩٨٨، ص ٤.
٢١. تستمد عائلة الحائري لقبها من كلمة حائر التي تعني الموقع المقدس لضريح الامام الحسين (عليه السلام) في كربلاء.
٢٢. كيهان الدولية، ٢١ كانون الثاني، ١٩٨٩، ص ١. يُحذف الاسم الاول "محمد" عادةً من أسم سيد هادي.
٢٣. كيهان الدولية، ٢٦ كانون الاول، ١٩٨٧، ص ٨. لا يعقد المجلس اجتماعاته على نحوٍ منتظم، ولذا فإن جميع اجتماعاته الستة كانت استثنائية.
٢٤. الجهاد، ٢٤ تشرين الثاني، ١٩٨٦، ص ٤.
٢٥. العمل الاسلامي، ١ تشرين الثاني، ١٩٨٧، ص ٩.
٢٦. انظر ابراهمن، "حركة التمرد"، الصفحات ١٤٩-١٥٢، لمعرفة طبيعة الشعور بالاستياء لدى العلمانيين الشباب المعارضين للحكومة الشيعية.
٢٧. الصحوة الاسلامية، ايار ١٩٨٠، ص ٥.
٢٨. تُعد قوة شكيمة المجاهدين في مدينة الثورة أحد الظواهر البارزة التي لاحظتها ووثقت لها العديد من المصادر منها، على سبيل المثال لا

- الحصر، بطاطو، "الحركات الشيعية"، الصفحات ٥٨٠-٥٨١، وفاروق سلاغيت وآخرون، "ليست معركة حاسمة تماماً"، ص ٢٩ ن.
٢٩. حزب الدعوة، جرائم صدام، ص ٢٢٠.
٣٠. بيان أعيد طبعه في اسماعيل، العراق وايران، ص ٢٠٦.
٣١. فلبس، "الهجرة من الريف الى المدينة في العراق، ص ٤١٧.
٣٢. شربيني، "موجات العمالة المغتربة"، ص ٦٦٠.
٣٣. الخفاجي، "القاعدة الطفيلية"، ص ٨٤.
٣٤. اظهرت الدراسات ان الفقراء المولودين في المدن هم اكثر نشاطاً وفاعلية سياسياً من الفقراء الذين هاجروا من الريف الى المدينة. انظر نيلسن، الوصول للسلطة، ص ١١٢.
٣٥. السابع من آب، ١٩٨٦، مقابلة في لندن مع الدكتور أبو علي، الناطق باسم حزب الدعوة، والاخ علي.
٣٦. الجومارد، "الهجرة الداخلية في العراق"، الصفحات ١١٦-١١٧.
٣٧. أنظر عبدالرسول، "اقتصاد العراق"، ص ٢٨، للاطلاع على معدلات النمو في القطاعات الصناعية المختلفة.
٣٨. وحدة المخابرات الاقتصادية، العراق، ص ٦.
٣٩. سبرغبورغ، "البعثية ممارسة"، ص ٢٠٣.
٤٠. بتروس وبتروس، العراق، ص ١٥٢.
٤١. كتب ارك وولف بأستفاضة عن احتمالات ثورة الفلاحين. ثمة ملخص بأهم آراءه بهذا الخصوص في وولف، "تمرد الفلاحين والثورة"، الصفحات ٤٨ - ٦٧.

٤٢. في ما يتصل بالدور الذي أضطلع به التجار في الثورة الإسلامية في إيران، انظر ارجوماند، الثورة في ايران"، ص ٣٠١. أما بالنسبة لانخراط التجار في الحركة الإسلامية السورية، انظر هينبوش، "الحركة الإسلامية في سوريا"، ص ١٥٥.
٤٣. جواد، "انتفاضة صفر"، ص ٤.
٤٤. صديقي، الحركة الإسلامية، ١٩٨٢-١٩٨٣، الصفحات ١٤١-١٤٢.
٤٥. التيار الجديد، ١٧ كانون الاول، ١٩٨٤، ص ٨.
٤٦. العسكري وآخرون، "الضريبة في الشرق الاوسط"، ص ٢١٨.
٤٧. سبرنغبورغ، "الانتفاضة الفلاحية العراقية"، ص ١٧.
٤٨. الخفاجي، "التطور الرأسمالي في العراق"، ص ٢٦.
٤٩. الخفاجي، "الرأسمالية العراقية"، ص ٨.
٥٠. وحدة الاستخبارات الاقتصادية، العراق، ص ١٦.
٥١. بطاطو، "المجتمع العراقي"، ص ٣٨٧.
٥٢. الدليل الاقتصادي في الشرق الاوسط، ٢٢ كانون الاول، ١٩٧٧، ص ١٨.
٥٣. التيار الجديد، ١٧ كانون الاول، ١٩٨٤، ص ٨.
٥٤. كاسلو، "النفط يفتح الطريق امام العراق"، ص ١.

-٦-

مراحل الصيرورة

على الرغم من ان الحركة الاسلامية في العراق تُشكل في جوهرها، جزءاً من حركة احياء الاسلام في العالم الاسلامي، فقد اكتسبت الدعوة الى الاسلام التي تبناها العرب الشيعة في العراق بعداً اضافياً، فقد عانى العرب الشيعة الأمرين في بلدانهم، فهم مقصيون من السلطة السياسية ومحرمون من الامتيازات الاقتصادية والاجتماعية التي تسيطر عليها الجماعات السياسية الحاكمة. وعلى الرغم من تشكيل الشيعة لاغلبية - وليس لاقلية - متضررة ومظلومة في العراق، بالامكان دراسة ظاهرة انخراط الشيعة في النشاط السياسي وفق نموذج العملية السياسية لتبلور الحركة الاجتماعية ذات الصلة بحركة التمرد التي حمل لواءها السود في الولايات المتحدة في القرن العشرين والذي قدمه دوغ مك آدم في كتابه العملية السياسية وتبلور حركة التمرد السود^(١). وثمة اسباب عدة لتبلور الحركات الاجتماعية أهمها التغيرات الاجتماعية والاقتصادية الواسعة التي تشهدها المجتمعات، المتأثرة بانواع الفرص السياسية المتوفرة وكذا بالقوة التنظيمية التي تتمتع بها ، أو تفتقر لها المجموعات الاجتماعية المتضررة. وتساهم العوامل المُحددة لطبيعة هذه العملية في احداث تغيرات ادراكية ومعرفية عميقة في وعي المجموعات المستسلمة والمسالمة تقليدياً؛ وهذه التغيرات تدفع بالحركات الى التشكل في نهاية الامر.

التغيرات الاجتماعية /الاقتصادية الواسعة: تعود جذور التغيرات الاجتماعية التي اسهمت في بلورة النشاط السياسي وتواصله في أوساط

الشيعية العراقيين إلى السنوات الأخيرة من حكم الامبراطورية العثمانية عندما دشن الاتراك جهودهم الحثيثة لتحديث امبراطوريتهم عبر بناء المدارس وتحسين شبكات الطرق وتطوير نظام الحكم واجهزته، وتسارعت وتائر التغيير بعد الاحتلال البريطاني للعراق وما تلا ذلك من نشوء نخبة سياسية جديدة. وقد واصل البريطانيون مشاريع التوسع في قطاع التعليم الذي بدأه العثمانيون وعملت الحكومات العراقية المستقلة المتعاقبة على المضي قدماً في تنفيذ هذه المشاريع. واسهمت خطة التوسع في التعليم التي دعمتها حكومة عبدالكريم قاسم بتبنيها سياسة المساواة الاجتماعية في نشوء طبقة وسطى جديدة في العراق، وكما سيتبين في هذا الفصل ، ترك هذا التغيير الاجتماعي أثراً بعيداً المدى على المجتمع بعامه، والحركة السياسية بخاصة. وقد ساعدت زيادة معدلات التعليم على نشر الثقافة العالمية بافكارها ومفاهيمها الجديدة عن الحقوق الاقتصادية والحريات السياسية في اوساط هذه الطبقة . ولتلقاهم التعليم باللغتين العربية والانكليزية، توفرت أمام هذه الطبقة فرصاً وخيارات جديدة في ما يخص الرؤى العالمية. فضلاً عن تأثير التعليم تأثيراً بالغاً في طريقة تفكير الافراد بظروفهم الاجتماعية وعوالمهم الروحية لتترسخ الحاجة لدى العديد من الشباب المثقف إلى التوفيق بين العلوم الجديدة التي تعلموها والمعتقدات الاسلامية التي توارثوها. والاهم من ذلك شعور الشباب المسلم في العراق بالحاجة الى فهم مدى التوافق بين النصوص القرآنية والعلوم والمعارف الحديثة.

شهدت هذه الفترة ايضاً زيادة في عدد النساء المتعلّمات، وبالتالي تأخر سن زواجهن. بهذا الصدد، ذكرت فاطمة الميرنسي في معرض تناولها لآليات العلاقة بين الذكر والأنثى في المجتمعات المسلمة المعاصرة أن

"ظاهرة المرأة البالغة غير المتزوجة كانت ظاهرة جديدة تماماً في العالم الإسلامي"^(٢). وقد اعتادت المجتمعات المسلمة في القرون السابقة، بل وحرصت، على منع العلاقات الجنسية قبل الزواج عبر الفصل بين الجنسين ومأسسة ممارسة التزويج المبكر للنساء. وفي عراق القرن العشرين، تضاعلت حدة هذه الممارسات المجتمعية بفضل زيادة معدلات تعلم النساء. ان دخول النساء الشابات المنعزلات سابقاً في الصفوف الدراسية والمكاتب الحكومية والاماكن العامة الاخرى شكل نقطة تحول جوهريّة في النظام الاجتماعي التقليدي؛ فالنساء العراقيات لم يتعلمن ويحضرن في الاماكن العامة فحسب، بل وحصلن على سلطات لم يكن ليحلمن بها في السابق، وعلى رأس هذه السلطات تقف سلطة المعرفة، وانطلاقاً من ذلك، امكانية الحصول على دخل اقتصادي مستقل، وهذا الدخل يشكل مصدر قوة جديد للنساء.

ويُعد تأييد النخب السياسية والاقتصادية العراقية لهذه الممارسات الاجتماعية، الجديدة، بالاختصاص تعليم النساء وتوظيفهن، من أهم العوامل التي ساعدت في أنتشارها في ادنى السلم الاجتماعي بين الطبقات الدنيا من المجتمع، لتحل بذلك محل الاشكال والممارسات الاجتماعية التقليدية. وكان السُّنة من ذوي المراكز الاجتماعية المرموقة من طلائع المرحبين والمتحمسين لهذه الممارسات الاجتماعية غير التقليدية، تبعهم في ذلك الشيعة المحافظون. وهكذا، وجد رجال المجتمع العراقي ونساؤه أنفسهم، وللمرة الاولى، وجهاً لوجه امام ظروف ثقافية واقتصادية وسياسية واجتماعية جديدة عليهم التفاوض بشأنها. وفي ظل هذه الظروف المتغيرة، بدأت النساء المحافظات، اللواتي يندر ان يظهرن علناً في السابق، وان حدث ذلك، فلا

يمكن لاحد رؤيتهم لارتدائهنّ الحجاب، في العمل في وظائف لم يعد ارتداء الحجاب فيها امراً عملياً، بمعنى أن الظروف الجديدة لم تتيح للنساء فرصة الظهور في الاماكن العامة فحسب، وإنما سمحت لهنّ بالظهور من دون ارتداء الحجاب التقليدي.

علاوة على ذلك ، ساهم دخول التكنولوجيات الحديثة في تغيير أنماط الحياة التقليدية على نحو جذري استلزم تعديلاً في آليات فهم الناس للخارطة الاخلاقية والمعرفية التي يوفرها الدين. كما اسهمت العلمانية بتركيزها على المسؤولية البشرية عن طيف واسع من الوظائف الاجتماعية في تقليص مساحة تأثير الدين. وباتت الدولة ، وليس الدين العامل المحدد الرئيس في الخطاب الاجتماعي مما أدى إلى اندفاع المجموعات المجتمعية كافة إلى التجاوب مع توجهات الدولة والاستجابة لها. وقد اسهمت التطورات التكنولوجية والعلمية في القرن العشرين في تطوير وظائف الحكومة وسلطاتها وتوسيع نطاقها، إذ تولت الحكومة مهمة الاشراف المباشر على قطاعي التعليم والقضاء واستحوذت على الصناعات الرئيسية (ومنها صناعة النفط) وشرعت في التخطيط الاقتصادي. وسعى العلماء والعراقيون الآخرون ، في ظل هذه المتغيرات، إلى النهوض بدور اكبر في وضع السياسات الحكومية المعنية بتنفيذ هذه الوظائف الجديدة وفي ابداء الرأي بآليات انفاق الحكومة لعائدات البلاد النفطية. إلا أن السياسات الحكومية التي أهملت القطاع الزراعي، مصدر معيشة غالبية العراقيين، قد أدت الى هجرة اعداد كبيرة من الفلاحين إلى المدن حيث عاشوا دونما مصدر عمل ثابت وعلى مقربة من المساجد ووسط تجمعات سكانية كبيرة للمرة الاولى في حياتهم.

وحدثت عملية التحديث هذه بسرعة هائلة وتركت أثرها البالغ لا في حياة الفقراء فحسب، وإنما في حياة وافكار طيف واسع من الشباب العراقي الذي تزداد احتمالات انفصالهم جغرافياً عن عوائلهم بالاخص بعد اكمالهم الدراسة الجامعية أو حصولهم على الوظائف فضلاً عن ارتفاع معدلات عيشهم في بيئات غير منظمة ادارياً تتدر فيها فرص الحصول على سكن لائق أو منافذ للترفيه والتسلية. كما أدت التغيرات في انماط الحياة التقليدية إلى تغيرات جوهرية في العلاقات الاجتماعية، من مثل تضاول تأثير النظام البطرياركي (الابوي)، وقد اظهرت احدى الدراسات التي تناولت علاقات القرابة في العراق انخفاض نسبة العوائل التي تعيش في منازل العوائل الممتدة من (٨٢%) في اربعينيات القرن العشرين إلى (٣٤%) بحلول العام ١٩٧٥^(٣).

وقد ادرك علماء الدين حجم التأثير الذي أخذت تمارسه المؤثرات الثقافية الاجنبية وتنامي التغيرات المعيارية المصاحبة للتحديث ورأوا فيهما مصدر تهديد للاسلام؛ فعمدوا في بادىء الامر إلى مقاومة هذه المؤثرات والتغيرات. وقد أدى اصرار العلماء على التمسك بالتقاليد والموروثات إلى عزلهم عن التيارات المجتمعية الجديدة التي وجهت لهم سهام النقد اللاذع. ويلاحظ في السياق ذاته اتفاق النخب السياسية الجديدة مع العديد من المسلمين التقليديين على انتقاد السلطات الدينية ووصل الامر حد اتهامها "بالظلامية" وتشكيلها عقبة في طريق تقدم المجتمع. وفي ضوء تعمق الفجوة ما بين الممارسات الدينية التقليدية وعلاقات السلطة وبين الواقع الحياتي المعاش، تفاقمت مشاعر الاستياء والتذمر من هذه الممارسات ومن الجهات الممثلة لها، الامر الذي اضطر العلماء، في نهاية الامر، إلى الدفاع عن المعتقد الديني. ولذا، فالدعوة إلى الاسلام تمثل، في جوهرها، دعوة للدفاع

عن الدين والقيم التقليدية ومحاولة لتكييف الاسلام مع المتغيرات الجديدة. وتبرز في هذا السياق الجهود التي بذلها آية الله الصدر للتوفيق ما بين الممارسات الدينية وبين التغيرات التي يشهدها المجتمع . ولذلك حث العلماء على المساهمة بفاعلية في ادارة عملية التغيير في العراق، وبكلمات آخر، مساهمتهم في حكم العراق.

التفاوت الطبقي: استلزمت عملية التحول الاجتماعي التي شهدتها العراق حدوث تغيرات في علاقات السلطة وفي طبيعة الموقع الاجتماعي الذي تُعد حيازته احدى الوسائل الفاعلة للحصول على التقدير والجدارة الاجتماعيين اللذين يؤديان، بدورهما، إلى الحصول على الامتيازات السلبية أو الايجابية^(٤). وتحوز الشرائح الاجتماعية المختلفة على مواقعها ضمن البنية الاجتماعية القائمة وفقاً لقدراتها الاقتصادية وسلطاتها السياسية ومكانتها الاعتبارية في المجتمع مع ملاحظة تأثر عملية التمتع بالخاصية الاخيرة بقيمة الشريحة الاجتماعية وأهميتها في المجتمع.

وعلى هذه الشاكلة ، تتحد مكانة الفرد في المجتمع بعلاقات القرابة والتحصيل الدراسي والمهنة، وبالطبع، فإن السلطات السياسية والاقتصادية التي يحوزها الافراد والمجموعات تتطابق عادة مع مكانتها الثقافية، بمعنى ان كل فرد وكل مجموعة اجتماعية تُمنح موقعاً موافقاً لها في مكونات السلطة الثلاثة. ولا يسير الامر على هذا النحو المتعارف عليه في حالات التغيرات الاجتماعية السريعة حيث تتوزع المواقع الاقتصادية والسياسية والاعتبارية على نحو غير منتظم وربما غير متوقع. وعندما تتباين المواقع والامتيازات التي يتمتع بها افراد المجتمع الواحد وشرائحه، تبرز ظاهرة التفاوت الطبقي. وتعتمد حيازة الموقع الاجتماعي في المجتمعات العربية إلى

حد كبير على جملة من الخصائص الموروثة منها الخصائص الجسدية والاخلاقية^(٥). وقد اعتادت الانماط الاجتماعية الاقدم التي سادت في العراق على الاهتمام بعوامل الاصل النبيل، والتبحر بالعلوم الدينية وحياسة القداسة والمهارة القتالية^(٦). كما أخذت الخصائص السلالية اساساً للبروز الاجتماعي وترجم ذلك بحرص العوائل المعروفة من العراق الى المغرب على عرض "أشجارها العائلية" التي ترجع أصولها إلى النبي محمد (صلى الله عليه وسلم). وفي أواخر سبعينيات القرن الماضي، حرص كل من الاثرياء المنحدرين من سلالة النبي واتباعهم من الفلاحين السابقين في العراق على "شرعنة اوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية غير المتساوية بالاستناد إلى مكانتهم الدينية غير المتساوية"^(٧). أن ميل الشيعة تاريخياً إلى منح رجال الدين المنحدرين من سلالة النبي (صلى الله عليه وسلم) قيادة الطائفة لربما ساهم في تعميق احترام الشيعة للخصائص المنسوبة لرجال الدين من مثل حياسة المعارف الاسلامية والمحتد النبيل والورع والمكانة الاعتبارية المرموقة. ويرى افراد الطائفة الشيعية ان التفاوت الطبقي قد وسم القيادات السياسية العراقية منذ الوقت الذي خضعت فيه الحكومة لسيطرة العسكر في ١٩٥٨. وتأريخياً، لم يبدِ الشيعة اهتماماً كبيراً بالخدمة العسكرية نيابة عن حكوماتهم ولم يتحمسوا لها ربما بسبب هيمنة السُّنة على مقاليد الحكم لقرون طويلة وخضوع الحكومة في اغلب الاحيان للسيطرة الاجنبية. وكانت الكلية العسكرية، بالنسبة للشيعة، بمثابة الملاذ الاخير للشباب غير القادر على الانخراط في المدارس المرموقة. بيد أنه، ومنذ الاطاحة بالنظام الملكي في ١٩٥٨، كانت جميع الحكومات العراقية التي تعاقبت على حكم البلاد حكومات عسكرية في جوهرها، تسلمت مقاليد الحكم بوسائل عسكرية

وعملت على المحافظة عليه بالقوة . والاهم من ذلك افتقار القادة السياسيون في هذه الحكومات للمكانة الاجتماعية والدينية المرموقة.

وقد شهدت مرحلة تسلم حزب البعث السلطة في ستينيات القرن العشرين قلب النظام الاجتماعي رأساً على عقب، إذ لم تكن النخب السياسية والاقتصادية الجديدة تفتقر المحتد النبيل فحسب، وإنما شاع الاعتقاد بمناهضة الحزب ذاته للدين. وبخلاف الرئيس احمد حسن البكر الذي عُرف بالتزامه الديني، عُرف عن العديد من القيادات البعثية، بالاخص صدام حسين ، عدم التزامهم الديني^(٨). ووصل الامر حد فقدان بعض اعضاء القيادة الثورية "مناصبهم بسبب ادائهم الصلاة في مقرات الحزب واعتمادهم الدين معياراً لتحديد صلاحية العضوية في الحزب"، وهي ممارسات أدانها صدام حسين علناً^(٩). كما أتخذت الحكومة اجراءات لمنع اداء الناس للعديد من الشعائر الدينية المعنية بتعزيز التضامن الاجتماعي. وهكذا، لم يعد بمقدور أية شريحة اجتماعية ادعاء حيازتها خاصية الشعور بالأمان، وهي قيمة اساسية محددة في أي نظام طبقي اجتماعي. وفي ظل هذه المتغيرات الجديدة ، لم تسلم حتى شريحة رجال الدين ذات المكانة الاجتماعية المرموقة تقليدياً من حملات المطاردة والتعذيب والاعتقال.

وفي سبعينيات القرن العشرين، تفاقمت ظاهرة افتقار النخب السياسية للمكانة الاجتماعية المرموقة خاصة بعد اعتماد حكومة البعث سياسة تعيين انصارها من ذوي الاصول الريفية في مواقع السلطة السياسية والاقتصادية. واحياناً، يتمثل المؤهل الوحيد الذي يحوزه المتقدم للوظيفة في ولادته في تكريت، محل ولادة احمد حسن البكر وصدام حسين، رجل النظام القوي: "جُلب افراد العشيرة التكريتية الحاكمة (العديد منهم لم يكمل دراسته الثانوية)

من أعماق الريف وتم تعيينهم في مواقع تستلزم مقداراً كبيراً من الخبرة التقنية والحصافة الادارية من مثل الادارات العامة للمؤسسات الصناعية^(١٠). وبهذا الصدد نشرت التيار الجديدة الناطقة بأسم الليبراليين العراقيين والصادرة في لندن، قائمة باسماء أحد عشر سفيراً يقابلها وظائفهم قبل توليهم هذا المنصب، خمسة من هؤلاء السفراء كانوا يعملون عمال كسبة، وأربعة مدرسين في مدارس ثانوية وواحد كان يعمل في الشرطة السرية وآخر موظف حكومي^(١١).

وعلى الضد من السفراء التكريتيين والبعثيين، تميز الناشطون الاسلاميون بتحصيلهم الدراسي العالي، والجدول (٤-١) الذي يضم قائمة بأسماء الناشطين الاسلاميين الذين ماتوا في السجون والمعتقلات للفترة بين كانون الاول ١٩٧٩ وواسط شباط ١٩٨٠ يبين ذلك على نحو جلي، فأتان من الناشطين العشرة من مدينة الثورة كانوا موظفين الى جانب اثنين من ضباط الصف، وطالب جامعي واحد وأستاذ واحد - ربما كاتب - ومدرس جامعي واحد ومستخدم حكومي واحد. وبعد الهجرة الجماعية الى بغداد في اربعينيات وخمسينيات وستينيات القرن العشرين، تجمع الفلاحون المهاجرون في مدينة الثورة حيث شيدوا اكواخهم الطينية هناك. وعلى الرغم من اوضاعهم المعيشية السيئة وافتقارهم التعليم، نجح الناشطون الاسلاميون من مدينة الثورة الذين اعدمهم النظام وغالبيتهم من ابناء هؤلاء الفلاحين المهاجرين واحفادهم في الحصول على اعلى المستويات الدراسية وفي تكوين طبقة وسطى فاعلة^(١٢). فضلاً عن ذلك، فإن العديد من الاسلاميين من ذوي التعليم غير الديني المذكورة اسمائهم في جدول (٥-٢) تخرجوا من كليتي الهندسة والعلوم. ويُعد الحصول على المعدلات العالية في امتحان

البكالوريا شرطاً رئيساً لدخول هذه الكليات في العراق، ولذلك، فالطلاب غير البعثيين^(١٣) الذين يدخلون هذه الكليات كانوا بالضرورة من المتفوقين. والشيء ذاته يصح على العلماء الشيعة الذين أُلقي القبض عليهم وأتهموا بمزاولة "النشاطات الدينية الرجعية المعادية" في ١٩٧٩. والجدير بالملاحظة نواحي التشابه العديدة التي تجمع الناشطين الاسلاميين بنظرائهم في الحركة الاسلامية المصرية الذين وصفهم سعد إبراهيم بكونهم من الشباب الطموحين اجتماعياً والمتفوقين علمياً^(١٤). ونجحت الحكومة البعثية إلى حد ما، في تغييب الاصول المتواضعة والانجازات الدراسية غير المميزة لاعضاءها التكرارة. ففي ١٩٧٦، سنت الحكومة قانوناً ينص على الغاء استخدام الالقاب الدالة على الاصل العائلي للفرد. وهكذا، أصبح صدام ابن حسين من قرية العوجة في تكريت صدام حسين بدلاً من صدام التكريتي. وقد عدّ هذا القانون ، وعلى نطاق واسع، وسيلة لتغييب حقيقة كون العديد من مسؤولي الحكومة من قرية تكريت. وقد نجحت الحكومة في مخططها هذا إلى حد بعيد. في الوقت نفسه، أفرز هذا القانون أثراً اجتماعياً مساوئياً ذا فائدة للنخبة البعثية من الاصول شبه الريفية؛ فالعائلات العراقية المرموقة فقط تحوز القاباً عائلية راسخة . اما الفلاحون وغيرهم ممن لا يحوزون سلاطات عائلية مميزة فعُرفوا على الدوام باسمائهم المجردة أو اسمائهم الثلاثية الاولى. وفي حال أستلزم الامر التعريف بالشخص يتم ذكر محل الولادة أو العشيرة ، كما في حالة التكرارة. وبكلمات أخرى، عمل اعضاء النخبة البعثية الحاكمة ، عبر الطلب من الاشخاص الذين يحوزون ألقاباً عائلية مميزة التخلي عنها، على أنزال جميع أفراد الشعب العراقي إلى مستواهم الاجتماعي. ويُرجع ان صدام حسين كان مدركاً لمشكلة مكانته الدينية

وشرعيته السياسية ، وربما لهذا السبب بالذات، بادر فور تسلمه مقاليد الحكم في العراق إلى طبع "شجرة عائلة" تبين انحداره من سلالة الامام علي (عليه السلام)، ابن عم النبي (صلى آله عليه وسلم)، وقد حرصت الحكومة على توزيع نسخاً من هذه الشجرة في جميع أنحاء العراق^(١٥). وبوصفه احد افراد عائلة النبي وسليل الامام علي (عليه السلام)، بالامكان عدّ صدام حسين حاكماً اسلامياً شرعياً حتى بالنسبة للشيعية الذين تنتفي بذلك حاجتهم إلى البحث عن حكومة شرعية أخرى.

وبغض النظر عن المكانة الاجتماعية للنخبة السياسية الحاكمة، ثمة تباين طبقي واضح في العراق؛ ففي الاقتصادات الحديثة، تساهم البيروقراطية الحكومية الفاعلة والواسعة النطاق والتطورات التكنولوجية في زيادة قيمة الافراد من ذوي المهارات التكنولوجية وأهميتهم في المجتمع. في مقابل ذلك، تضاعلت الاهمية الاجتماعية للشرائح الاجتماعية التقليدية امثال شيوخ القبائل ورجال الدين الذين شهدت مكانتهم، ونفوذهم في ظل التغيرات الجديدة، تراجعاً حاداً في خمسينيات القرن العشرين وستينياته، ولم يختلف الأمر مع أبنائهم الذين واجهوا، على الرغم من كفاءتهم العلمية ومهاراتهم التكنولوجية، العديد من العقبات في النظم الاقتصادية والسياسية البعثية في السبعينيات، حيث أضطر الشباب من العوائل المتعلمة الى شغل الوظائف الحكومية متدنية الاجر أو حتى البقاء عاطلين بلا وظائف بما ان عملية توزيع الوظائف التي يفترض ان يشغلها هؤلاء تتم وفق اعتبارات سياسية بحتة. وقد شهد العراق سيطرة مطلقة للنظام السياسي الحاكم على القطاع الاقتصادي، وبالتالي على الوظائف، وكان هذا النظام يعتمد على المصداقية السياسية لشاغل الوظيفة بمعدل اكبر من الكفاءة التكنولوجية. وهكذا، وكلما

أفرطت الحكومة في السيطرة على القطاع الاقتصادي ووضع المعايير السياسية الصارمة في مجالي العمل والترقية الوظيفية، تضاءلت فرص الحراك الاجتماعي العامودي المتاحة امام أبناء الشعب ، بالاخص الشيعة الملتزمين دينياً الذين لا يسمح لهم الوضع الجديد بتحقيق طموحاتهم المهنية. مع ذلك، يُرجح ان لا يمثل التباين الطبقي أحد الاسباب الرئيسة في نشوء الحركة الاجتماعية، إلا أنه بوصفه مؤشراً على غياب التطابق ما بين درجة التقدير والاعتبار في النظام الاجتماعي وبين حجم مساهمة الافراد والمجموعات الاجتماعية في بناء المجتمع وتطوره، يغدو مقترناً، على نحو متزايد، بهذه الحركات. وتعمل الحركات الاجتماعية الدينية على تمكين أولئك الذين غطت حقهم أو جرى تقويمهم على نحو سلبي من تغذية احساسهم بالعزة والكرامة لشعورهم انهم مكلفون بإداء مهمة عظيمة؛ مهمة كلفهم بإدائها الله عزَّ وجلَّ. وفي العراق، تمثلت المهمة التي كلف الاسلاميون العراقيون أنفسهم بإدائها بالعمل سويةً على تأسيس نظام اجتماعي جديد. وللناشطين الاسلاميين مصلحة عقلانية في اقامة نظام يؤمن الاعتراف بانجازاتهم ومكانتهم ويعوضهم مادياً ومعنوياً. وفي المستوى الآني المباشر، تنمي الحركات الاسلامية لدى افرادها الاحساس بانتمائهم إلى جماعة متكاملة ومتجانسة وتغذي فيهم الامل بقرب تحقق النصر الموعود الذي سينتشلهم من براثن الاضطهاد والفقر، كما تعزز فيهم الاحساس بالأهمية النابعة من الالتزام باحكام الدين الاسلامي وتعاليمه. ان التحالف مع الملتزمين دينياً والفضلاء في سبيل الدعوة الى الاسلام والدفاع عنه كفيل بطمأنة الاسلاميين على صحة آراءهم وصواب قراراتهم.

نشوء الحركة الإسلامية: وفر حضور السيد الصدر (قدس سره) والكارزما الشخصية التي يتمتع بها القيادة الضرورية للإسلام المُنظم في العراق. وقد امتازت هذه القيادة بالقدرة الفائقة على الاستجابة الفاعلة والبناءة للتغيرات الاجتماعية الواسعة التي يشهدها المجتمع العراقي. في ظل قيادة السيد الصدر، انخرط علماء الدين الشيعة في عملية قراءة وكتابة واعية ومناقشة مستفيضة هدفها إعادة تفسير الشريعة الإسلامية في ضوء التطورات العلمية والتغير في دور المرأة ووجود الحكومة المفتقرة للشرعية الإسلامية، وقد وظف السيد الصدر الزيادة المُطرّدة في مستويات تعليم الشباب العراقي المسلم توظيفاً بارعاً، فعمل بالتعاون مع عدد من رجال الدين المقربين على توسيع قاعدة الدعم الشعبي للحركة، وتمكنوا من التصدي لمشكلة تضاول مواردهم المالية وفقدانهم الدعم السياسي في اوساط الطبقة العليا القديمة من ملاك الاراضي عن طريق جذب المزيد من الشباب "الداعين إلى الإسلام".

وأسهمت المؤسسات والهيئات الإسلامية القائمة في العراق في انشاء الحركة الإسلامية ودعمها. وقد استهل آية الله الصدر جهوده الإصلاحية في اوساط العلماء الدارسين في الحوزات الدينية في النجف، وكان لقرار المرجع الديني آية الله الحكيم الانخراط في النشاط السياسي أثره البالغ في جذب عدد كبير من العلماء واتباعه من المقلدين إلى صفوف الحركة. وتألفت طلائع المجندين في الحركة من الشباب المنحدرين من العوائل الدينية المحافظة في النجف، وعندما اتسع نطاق تواجد الحركة خارج النجف، عمل رجال الدين في مدن العراق الاخرى على تنظيم مجموعات الناشطين الجُدد. وفي بادئ الامر، انحصرت عملية التجنيد في حلقات عائلية ضيقة في

الحسينيات والجوامع والمدارس. فضلاً عن ذلك، توسعت شبكة المجموعات الدراسية التي بدأها السيد الصدر بعد أقدام عدد من الدارسين في الحوزات الدينية التي يُشرف عليها علماء الدين على تأسيس مجموعاتهم الخاصة. وتُعد السيدة سلوى البحراني المذكورة في الجدول (٥-٢) مثالاً على الأشخاص الملتزمين دينياً والمنظمين إلى مجموعة يقودها عالم دين - في حالة السيدة سلوى كانت عالمة بنت الهدى - وعملوا بعد ذلك على تشكيل مجموعاتهم الناشطة الخاصة. وبموازاة نشاطها السياسي في الداخل، عملت المؤسسة الدينية على نشر رسالة الحركة السياسية الإسلامية ومتبنياتها في دول الخليج ولبنان وانهاء العالم الاخرى. وفي اثناء ذلك، حرص علماء الدين الشيعة الناشطون على التعامل مع الظروف والمتغيرات الجديدة بما ان الزيادة الكبيرة في اعداد المنخرطين في الحركة السياسية من سكان المدن جعل النشاط السياسي الجماهيري امراً ممكناً.

وفي هذا السياق، شكلت تجمعات الشباب في الجامعات فرصة مناسبة للمنظمين السياسيين؛ فرصة افرزتها مستجدات التحديث. وقبل خمسين عاماً، لم تكن لدى العراق، أو لبنان مثلاً، اعداد كبيرة من الطلاب أو حتى من فقراء المدن الذين يمكن تنظيمهم في نشاط سياسي. وفي الجامعة ، تتوسع آفاق الشباب وطموحاتهم ويتعزز احساسهم بقدراتهم وامكانياتهم، وهذا التغير يُسهل عملية جذبهم وتجنيدهم في النشاط السياسي. كما ان عملية الوصول الى فقراء المدن والتحدث اليهم تبدو سهلة إلى حد ما. وكان لبراعة السيد الصدر وتفهم المرجعية وقدرتها على الاحتواء الاثر الكبير في اقناع الاسلاميين بالاستجابة للظروف الجديدة التي اتاحتها التغيرات في المناهج التربوية الاسلامية والمقاربة المبتكرة لنظام الحكم الاسلامي.

وفي ١٩٦٠، أدى اجتماع جملة من العوامل المؤاتية الى بلورة مبادرة اسلامية علنية في العراق، إذ ساعدت الحرية السياسية النسبية التي وفرتها حكومة عبدالكريم قاسم (١٩٥٨-١٩٦٣) على اتاحة الفرصة امام الانخراط في التنظيم والنشاط السياسيين. فضلاً عن ذلك، ساهمت معارضة آية الله بروجردي لقانون الاصلاح الزراعي عام ١٩٦٠، ومن ثم وفاته في ١٩٦١ على تحرير الشيعة من فتاوي تحريم انخراطهم في النشاط السياسي التي اصدرها بعض العلماء. وعلى أثر ذلك، شهد العامان الاخيران من حكم قاسم، ١٩٦٢-١٩٦٣، المتمثلان مع عامي ١٩٥٧-١٩٥٨ لجهة ضعف الحكومة السياسي وشيوع الاعتقاد لدى قطاعات واسعة من الشعب بقرب انهيار النظام وعجزه عن البقاء، موجة التجنيد الكبرى الاولى في الحركة الاسلامية وهكذا، أدى اجتماع سلسلة من التغيرات الاجتماعية والاحداث الداخلية الى تأسيس حزب سري، هو حزب الدعوة، ومن ثم بروز حزب علني هو الحزب الاسلامي، والعودة، بعد ذلك، إلى النشاط السياسي السري بعد تضائل الفرص السياسية والقانونية أمام التنظيم الاسلامي. وسعى الناشطون الاسلاميون الشيعة الى التحالف مع رجال الدين السنة ونجحوا في ايجاد حلفاء لهم على نحو مشابه لمحاولة الناشطين في مجال الحقوق المدنية ونجاحهم في ايجاد حلفاء لهم بين صفوف البيض في الولايات المتحدة الامريكية. ولو افترضنا سعي المجموعات المتضررة والمضطهدة الى الهيمنة والتسيد عوضاً عن المساواة التي تطالب بها، لما نجحت في ايجاد حلفاء في صفوف المجموعة المهيمنة.

ان تجنيد المسلمين العراقيين في النشاط السياسي بهدف إقامة المجتمع الاسلامي استلزم عمليتي تحرير ادراكية ومعرفية تمكن المؤمنين من النظر

الى النشاط السياسي بوصفه نشاطاً مشروعاً في المقام الاول ومحتمل النجاح في المقام الثاني . وقد تزامنت هذه التغيرات مع انتشار افكار المشاركة الشعبية في الحكم التي تمتعت بجاذبية خاصة في صفوف العراقيين المتعلمين. وغني عن البيان دور التعليم وكذا ارتفاع معدلات الاطلاع على الافكار والمفاهيم العالمية الجديدة في تغيير افكار الناس وتوقعاتهم في ما يتعلق بالمشاركة السياسية وطبيعة وظائف الحكومة وواجباتها.

وتأسيساً على ذلك، شرع الشيعة الميالون تاريخياً الى الموقف المسالم والعزوف عن النشاط السياسي في عملية قراءة متفحصة لواقعهم أدت بهم الى النظر الى المعارضة السياسية لا بوصفها شرعية فحسب، بل واجب ملزم يفرضه الدين عليهم خاصة بعد التصريحات التي أدلى بها علماء الدين بشأن افتقار الحكومات القائمة للشرعية ومسؤولية المؤمنين عن اقامة الحكومات الشرعية. وبينما كان العثمانيون والملكية الهاشمية، على الرغم من اخطائهم وسياساتهم المجحفة، يتمتعون بالشرعية الاسلامية اللازمة التي تقيهم شرور التحدي والمعارضة بأسم الاسلام، لم تحظ الحكومات العراقية المتعاقبة العلمانية في توجهاتها والقومية في مواقفها باستحسان رجال الدين وموافقتهم؛ الامر الذي رسخ ما يُشاع عن العراقيين من حيث تأليفهم شعباً صعب المراس "لا يمكن حكمه". وقد استجاب قاسم والاخوان عارف، بقدر معين لانتقادات علماء الدين ونصائحهم، بيد أنهم لم يكونوا منحدرين من سلالة النبي وقرروا المضي قدماً في تبني العلمانية والاستحواذ على الملكية الخاصة، وفي بعض الاحيان وصل الامر بهم حد التشكيك بجدوى بعض التقاليد والموروثات الاسلامية. اما حكومة البعث، فلم تكتف بالتشكيك بالممارسات الاسلامية وأنتهاكها، وإنما واجهت نصائح علماء الدين

وتحذيراتهم بجملة من الاجراءات الصارمة شملت الاعتقال والزج في السجون وارتكاب اعمال العنف.

وبداهة، لا يمثل الاسلام المصدر الوحيد للشرعية السياسية، إذ يمكن للحكومات العراقية الحصول على الشرعية السياسية اللازمة عن طريق السيادة الشعبية، بيد ان هذه الحكومات لم تكن اقرب للشرعية الديمقراطية منها للشرعية الاسلامية. وبالنظر لضالة القاعدة الشعبية التي تستند اليها وكونها غير ممثلة تمثيلاً حقيقياً ، فقد فشلت الحكومات العراقية في السماح للمجموعات الجديدة التي افرزتها سياسات التحديث في المشاركة السياسية الفاعلة. ويُعد احتكار السلطة السياسية في العراق قاعدة لا استثناءً على الرغم من "الانتخابات" والبرلمان المنعقد في ظل الحكم الملكي والمشاركة الشكلية في عهد حكومة البعث^(١٦).

وثمة جانب آخر كان بمقدور الحكومات العراقية الحصول على الشرعية السياسية اللازمة من خلاله، وهذا الجانب هو النجاح الاقتصادي ، إلا أن الحكومات العراقية فشلت في هذا الجانب كما فشلت في غيره، إذ أنها لم تنجح في تنويع مصادر الاقتصاد العراقي، وكذا أخفقت في تقليل اعتماد البلاد على العائدات النفطية^(١٧). زيادة على ذلك، أخفقت الحكومات المتعاقبة في متابعة تنفيذ أي من الخطط التنموية، وعلى الرغم من نشوء طبقة وسطى لا بأس بها، أستمّر الفقر مستشرياً في اوساط الشعب العراقي، خاصة في المناطق الريفية ، حيث عاش الفلاحون، على نحو عام، على الخبز والتمر مع انعدام التدفئة في الشتاء^(١٨). وكان الشباب المتشربة اذهانه ، إما بمفاهيم العدالة الاجتماعية الاسلامية أو القيم الاشتراكية يعي تماماً أهمية الموارد النفطية وحجمها، وقد دفعهم ذلك إلى إدانة الوضع السياسي وانتقاده عادين

إياه مسؤولاً عن المظالم والمشكلات الاقتصادية. وعلى الرغم من ابتعاد العديد من العراقيين عن مجتمعاتهم التقليدية بفعل انتشار التعليم والمفاهيم الجديدة، لم يجد هؤلاء أنفسهم في مجتمع سياسي حديث ومتسامح.

وهكذا، أتمت مشاعر الاحباط والعجز السياسي لدى غالبية العراقيين^(١٩) بتناقضها الصارخ مع النمو المفرط لسيطرة الحكومة التي حولت المجتمع العراقي من مجتمع يقتصر فيه تدخل الحكومة في شؤون افراده على استحصال الضرائب والتجنيد إلى مجتمع سيطرت فيه الحكومة ، بحلول سبعينيات القرن العشرين، سيطرة مطلقة على الوظائف والاسعار وقطاعات الاتصالات والتجارة والاعمال. وفي الانظمة السياسية الديمقراطية، تزايد اعداد المجموعات الاجتماعية التي تحاول التأثير في السياسات الحكومية والمشاركة في وضعها كلما توسعت الحكومة في السيطرة على الموارد وفي الوظائف التي تؤديها. وليس بمستغرب سعي العراقيين الى التأثير في سياسات الحكومة الغنية والماضية قدماً في توسيع دائرة نفوذها ونشاطاتها.

ويمكن "الدعاة إلى الإسلام" من اقناع العديد من الشباب بأهمية الحركة الاسلامية بكونها الوسيلة الامثل لإقامة مجتمع عادل ونزيه. وقد وفرت المبادرة الاسلامية للعراقيين المتعلمين مقداراً من الاعتراف بمكانتهم وإسلام ذا طبيعة تنافسية ايدولوجياً افرزته الاصلاحات التي اجراها آية الله الصدر على التفسيرات التقليدية للإسلام. ولشعورهم بالعجز عن التعبير عن أنفسهم وترجمة طموحاتهم بصيغ سياسية صرفة بسبب احتكار السلطة السياسية، تجاوب العديد من الشباب العراقي من ذوي التوجهات والرؤى المثالية مع جهود التحديث التي بذلها الاسلاميون من خلال انخراطهم في الحركة

الإسلامية بوصفها وسيلة التعبير الأمثل عن طموحاتهم. وتتمثل أهداف أي حزب سياسي في ضمان السلطة السياسية والحصول على الامتيازات المادية لأعضائه؛ وعندما تسعى الأحزاب الدينية لبلوغ السلطة السياسية فإنها، حتماً، تضع نصب أعينها أهدافاً مادية ومثالية تسعى لتحقيقها.

التكيفات المرحلية: يبين الشكل (٦-٢) المعدل عن موديل ارثر مك آدم التكيفات المرحلية في الحركة الإسلامية حال انطلاقها، فالحركة بدأت بوصفها محاولة سرية جادة لإصلاح الأفراد، وقد نجحت في أستغلال الحرية السياسية النسبية في ١٩٦٠ التي اتاحت لها فرصة العمل والتحرك السياسي، وفي رد منها على سياسة القمع والاضطهاد التي أتبعتها حكومة البعث حيال رجال الدين، لجأت الحركة الإسلامية الى تنظيم التظاهرات الجماهيرية الاحتجاجية. ولم تكتسب الحركة الصفة الثورية الخالصة إلا بعد تدخل الحكومة السافر في شؤون المؤسسة الدينية وتحجيمها دور رجال الدين وتقليصها المساحة المحددة أصلاً لممارسة التنظيم والمعارضة السياسيتين. وبغية تعزيز قدرتهم على معارضة حكومة البعث، عمل قادة الحركة الإسلامية على توسيع نطاق أهدافهم ليشمل إعادة تنظيم الحكومة التي حرصت على أعاقه تقدمهم الوظيفي.

استجابات الضبط الاجتماعي: خلال فترة حكم عبدالسلام عارف (١٩٦٣-١٩٦٦)، وجهت آليات الضبط الاجتماعي نحو تفعيل النشاط الإسلامي، إلا أن الحكومة لم تتخذ اجراءات استرضائية أو قمعية في تعاملها مع الحركة. ويبدو واضحاً أن الانشطة الدينية لم تكن ممنوعة في العراق، الامر الذي ساعد التنظيم السياسي للإسلاميين على تحقيق بعض النجاحات دونما تكلفة باهظة. وبفضل توافر الظروف المناسبة، تمكنت المجموعات

الإسلامية من توسيع دائرة وجودها في الفترة الممتدة من ١٩٥٧ إلى ١٩٦٨، رغم بقاء نشاطها، على نحو عام، متوارياً عن انظار الحكومة. وقد واجهت الحركة الإسلامية منعطفاً جديداً في مسيرتها في ١٩٦٨، فقد حرص حزب البعث حال تسلمه مقاليد السلطة في البلاد على تنفيذ استراتيجية ضبط اجتماعي متحررة من القيم الأخلاقية المتعارف عليها. وبالقدر نفسه، حرص البعثيون على توظيف موارد البلاد النفطية في اختيار العرب السُنّة والكوادر العسكرية الموالية لهم ولم يتوانوا في اضطهاد الناشطين الإسلاميين والجهات الأخرى المناوئة لهم، وحتى العراقيين الذين لم ينخرطوا في النشاط السياسي ولا ذنب لهم سوى اصولهم الإيرانية اجبروا على مغادرة العراق إلى إيران.

وقد شهد العراق فترة نمو ورخاء اقتصادي في سبعينيات القرن العشرين، بيد ان المكاسب والعوائد الاقتصادية لم يجر توزيعها على نحو متساوٍ، فقد أدى تأمين الصناعة النفطية الذي بدأ في ١٩٧٢ وارتفاع اسعار النفط في ١٩٧٣ إلى ارتفاع معدل الناتج القومي الاجمالي من (٦٣٠) دولار في ١٩٧٠ إلى (٣,٠٢١) في ١٩٧٨. وثمة عامل آخر ساعد العراق في هذا الجانب هو عدم التزامه بقرار الدول العربية الامتناع عن تصدير النفط للدول المساندة لإسرائيل في ١٩٧٣، إذ جنى العراق من وراء ذلك ارباحاً طائلة بعد ارتفاع اسعار النفط الخام في الاسواق العالمية الى اربعة اضعاف. وعلى الرغم من ذلك، شهدت هذه الفترة ذاتها انخفاضاً ملحوظاً في الدخل الحقيقي للعديد من الموظفين العراقيين. وتذكر التقارير انخفاض قيمة المكافآت الممنوحة للموظفين في القطاعات الصناعية المختلفة المشتملة على الكوادر الادارية والعمالية المنتجة بمعدل ٢٠,٧% (٢٠).

وقد أدت سيطرة الحكومة المطلقة على الصناعة النفطية إلى استحوادها على جميع موارد البلاد الاقتصادية، وأسهمت قرارات تحريم الاشتراك أو الانتماء إلى أي تنظيم سياسي باستثناء حزب البعث في وضع العراقيل أمام عمل المصالح المجتمعية الساعية لتنظيم النقابات العمالية المستقلة والمجموعات المهنية والأحزاب السياسية القادرة على التأثير في القرارات الحكومية ذات الصلة باستخدام تلك الموارد^(٢١). إن النسبة المئوية لانخفاض المكافآت الممنوحة للموظفين في الناتج المحلي الإجمالي والبالغة (٢٠,٧%) يعكس غياب المدخلات السياسية من تلك الشريحة المجتمعية الكبيرة (انظر جدول ٦-١) ولا يُمنح المستخدمون والموظفون نسبة مئوية صغيرة من الناتج المحلي الإجمالي سوى في الإمارات العربية المتحدة حيث تتوافر عمالة اجنبية وفائض مالي كبير.

وفي المدن، لم تستثمر الطاقات والقدرات المحتملة التي تتمتع بها الأعداد المتزايدة من المتعلمين على نحوٍ مثمر ولم يتم مكافأة جهودها على نحوٍ مرضٍ. وفي حقيقة الأمر، ومقارنة بالرواتب والأجور في بعض البلدان الفقيرة مثل مصر، لا يمكن عدّ الرواتب في العراق منخفضة، بيد أن هذه الرواتب، مقارنة بتكاليف المعيشة المرتفعة عموماً، تبدو منخفضة إلى حدٍ يضطر الشباب المتعلم إلى ادخار المال لسنوات قبل الإقدام على الزواج^(٢٢). إن السبب الرئيس في مشكلة السكن التي استشرت في سبعينيات القرن العشرين، على نحوٍ مماثل لاستشراء مشكلة سوء التغذية في الستينيات، لم يكن الفقر ولا قلة الموارد بقدر ما كان سوء السياسات الاجتماعية في الأقل من وجهة نظر العديد من الشباب. فضلاً عن ذلك، شهدت سبعينيات القرن

العشرين ارتفاعاً في حجم الانفاق العسكري المعتمد أساساً على الموارد النفطية من ١٠٠,٠٠٠ في ١٩٧٣ إلى ٢٢٢,٠٠٠ في ١٩٧٨^(٢٣).

وبالطبع، كانت هذه الزيادة في الانفاق العسكري على حساب احتياجات العراقيين العاملين في القطاعات المدنية على شاكلة فقراء المدن والموظفين الحكوميين الذين تأثرت أوضاعهم الاقتصادية بالارتفاع النسبي لمعدلات التضخم وسيطرة الحكومة المطلقة على النشاط الاقتصادي.

وبينما تحسنت الحياة الاقتصادية للعراقيين (المُفضلين) من ذوي الامتيازات، في سبعينيات القرن العشرين، تدهورت الحياة السياسية لجميع افراد الشعب العراقي تقريباً، إذ ألغت الحكومة الجرائد الخاصة ومنعت الاحزاب السياسية التي نشطت في العهد الملكي وفترة حكم قاسم من مزاوله نشاطها، ولم تتوان عن اللجوء إلى أشد الاساليب قسوة في التعامل مع منتقدي سياساتها الذين عادةً ما تعرضوا لحملات المطاردة والتعذيب وحتى القاء جثثهم امام منازلهم. في نهاية ١٩٧٣، حصلت الحكومة العراقية على مساعدة خارجية مهمة تمثلت في استعداد الاتحاد السوفيتي إعادة تنظيم وتدريب القوى الأمنية في العراق^(٢٤). ومن المانيا الشرقية والاتحاد السوفيتي، تلقت حكومة البعث تعليمات تنظيمية وبرامج تدريبية ومعدات متطورة للمراقبة والاستجواب بحيث أضحي من المستحيل على خصوم الحكومة الاستمرار في معارضتها لفترات طويلة. وألقت الحكومة، بفضل توظيفها البارع لخاصية احتكارها العنف، القبض على آلاف المواطنين العراقيين؛ ويُعد القاء القبض على شخص ما في ذلك الوقت امراً مفزعاً حقاً. وبهذا الصدد، كتب جيمس باربر، رئيس منظمة العفو الدولية في الولايات المتحدة عن معاملة الحكومة العراقية للسجناء والموقوفين أن

"التعذيب في العراق يُعد امراً روتينياً، فلسنوات عدة، أُقْتِيد مئات من الاشخاص المذعورين الى غرف التعذيب حيث تعرضوا للحرق والضرب وقطع الاطراف والصدمات الكهربائية وشد اجسامهم على آلات خاصة" (٢٥). وفضلاً عن ذلك، توحى طرق القتل المفزعة التي استخدمتها الحكومة باعتمادها سياسة ترهيب متعمدة تجاه المواطنين (٢٦).

وتمثلت احدى استراتيجيات الضبط الاجتماعي الاخرى التي أتبعتها الحكومة في سعيها تغيير التركيبة الدينية والاثنية للسكان. وكانت الخطوة الاولى في هذه الاستراتيجية ترحيل الشيعة والاكرد عن مناطق سكناهم. وبهذا الصدد ، ذكرت المصادر الرسمية الايرانية استقبالها لآكثر من ٥٠٠ ألف من اللاجئين العراقيين بحلول عام ١٩٨٨ الى جانب عدد كبير من الاكرد. وفضلاً عن ايران، اختار عشرات آلاف من العراقيين سوريا ملاذاً لهم. وفي السياق ذاته، ذكرت التيار الجديد التي يتألف غالبية المشتركين فيها من اللاجئين العراقيين الذين يعيشون في الغرب، ان العدد الكلي للعراقيين الذين يعيشون في المنفى يتراوح بين ٥٠٠ ألفاً إلى مليون، وأشارت المنظمة الدولية للدفاع عن حقوق الانسان في العراق الى اختيار ٦٥٠ ألف من العراقيين العيش في الخارج في حين وصل عدد المهجرين الى نصف مليون (٢٧). وعلى نحو عام، بلغت نسبة العراقيين الذين يعيشون في المنفى (٨%) من مجموع سكان العراق البالغ عددهم ١٣ مليون نسمة في ١٩٨٠.

وتمثل الجانب الآخر من استراتيجية الضبط الاجتماعي التي اعتمدتها الحكومة في استبدال الشيعة والاكرد بالعرب السُّنة من البلدان الاخرى، خاصة مصر، إلى جانب منحها الاراضي الكردية الى مواطنين عرب من العراق ومصر وشمال اليمن، ولم تكثف الحكومة بمنح الاراضي ، بل

حرصت على تقديم المساعدات الى الساكنين الجدد في شكل خدمات ومُنح مالية ومعدات زراعية واسلحة ، وهي مساعدات لم يكن المزارعون السابقون في هذه الاراضي يحظون بها. وفي ٣١ كانون الثاني، ١٩٩٠، منحت القيادة الثورية المركزية المواطنين العرب المقيمين في العراق جميع حقوق العمل والامتيازات التي يتمتع العراقيون بها^(٢٨). وبينما لا يعني اعلان الحكومة العراقية عن سياسة ما حتمية تنفيذها، فإن الاعلان ذاته يعكس رغبة الحكومة العميقة في جذب المهاجرين.

وتمثلت الاجراءات الاخرى التي لجأت لها حكومة البعث في حرمان المؤسسة الدينية الشيعية من استقلالها. ففي آذار من العام ١٩٨٠، قررت الحكومة تولي مهام جمع وتوزيع وتوظيف الموارد الدينية الشيعية إلى جانب الاشراف على ادارة المراقد الدينية المقدسة، ان محاولة الحكومة جعل علماء الدين يعتمدون عليها في تزويدهم بالموارد المادية وفي السماح لهم بإداء الشعائر الدينية كان الهدف منها تحويلهم الى وكلاء حكوميين مستعدين للتعاون مع السياسات والمقاصد الحكومية.

وساهمت النجاحات التي حققها الاسلاميون في اوساط فقراء الشيعة في دفع الحكومة باتجاه الاعلان عن برنامج شامل لتحسين الاوضاع المعيشية للشيعة. إلا أن الواقع لم يعكس ما يدل على تخصيص الحكومة ما يكفي من الاموال لتنفيذ برنامجها هذا؛ فصحیح ان الحكومة انفقت مبالغاً كبيرة لتعبيد الطرق وامداد مدينة الثورة بشبكات المياه، إلا أنه من الصعب تصديق ادعائها انفاق (٢٥) بليون دولاراً اميركياً لتعمير المراقد الدينية المقدسة في مدينتي النجف وكربلاء^(٢٩). لقد شاهدت بنفسي، في مطلع السبعينيات، القباب المكسوة بالذهب والمراقد المزدانة بالسجاد الفارسي الفاخر الذي جرت

المحافظة عليه على نحوٍ مناسب. وعلى الرغم من التأثير السلبي الذي خلفه اعدام عدد كبير من رجال الدين القيمين على المراقد المقدسة ومصادرة الموارد المادية الشيعية في اواخر السبعينيات في قدرة رجال الدين المتبقين على صيانة المراقد، من الصعب فهم ادعاء الحكومة حاجة هذه المراقد الى عملية صيانة شاملة. على أية حال، مازالت الشكوك تحيط بادعاءات الحكومة الاهتمام بالمراقد الشيعية. وفي موازاة ذلك، تحدثت مجلة الايكونوست في ١٩٨٤ وبتهكم بالغ عن عدم محاولة الحكومة العراقية ايقاف قصف مدينة البصرة التي يشكل الشيعة (٨٠%) من سكانها على الرغم من ان سلاح المدفعية الذي يقصفها لم يكن يبعد كثيراً عن الحدود العراقية وكان في مرمى نيران القوات العراقية وبمقدور الطيران العراقي الرد عليه^(٢٠).

وبداهةً، ساهمت المساعدة الدولية المقدمة الى العراق في تمكين الحكومة البعثية الحاكمة من تشديد قبضتها والاستمرار في تنفيذ سياسات الضبط الاجتماعي. وفي اثناء الحرب العراقية - الايرانية، حصلت حكومة البعث على بلايين الدولارات من دول الخليج العربي، وقد وصفت المساعدات العربية البالغة اربعين بليون دولاراً امريكياً بأنها "معقولة الى حدٍ ما ولها ما يبررها"^(٢١). علاوة على ذلك، ادى دعم الدول الغربية والاتحاد السوفيتي للعراق في حربه ضد ايران الى دعم موقف الحكومة العراقية أمام خصومها. وفي اواسط ١٩٨٢، أستأنف الاتحاد السوفيتي امداد العراق بشحنات الاسلحة^(٢٢)، وفي كانون الاول ١٩٨٢، باعت احدى شركات تصنيع طائرات الهليكوبتر عدداً من الطائرات الى الحكومة العراقية، وبحلول ١٩٨٤، جهزت الولايات المتحدة العراق بمعدات استخباراتية

عسكرية متطورة مستمدة من طائرات الاستطلاع المتطورة واوكس، والاقمار الاصطناعية الى جانب التوسع في منح التسهيلات الائتمانية على البضائع المصدرة للعراق. وفي ١٩٨٤، عقد الاتحاد السوفيتي اتفاقيات اقتصادية وتقنية كبيرة مع الحكومة العراقية ووافق على منحه قرضاً بقيمة بليون دولار بشروط ميسرة^(٣٣). وفي ١٩٨٧، منحت الولايات المتحدة العراق اكثر من (٨٠٠) مليون دولاراً امريكياً على شكل قروض ائتمانية زراعية^(٣٤) مع موافقة هيئة ائتمان البضائع التابعة لوزارة الزراعة الامريكية على ضمان هذه القروض. وهكذا تنامت المصالح والاستثمارات الامريكية في العراق على نحوٍ مطردٍ وموازيٍ لاستثمارات المواطنين من دول الخليج العربي. وشهدت الفترة ذاتها سماح الاتحاد السوفيتي للعراق بشراء الطائرات المقاتلة المتطورة من نوع ميغ ٢٩. وعلى الرغم من عدم دفع العراق الاقساط المستحقة على القروض التي حصل عليها في فترة الحرب، وافقت هيئة ائتمان البضائع الامريكية في تشرين الثاني ١٩٨٩ على منح الحكومة العراقية قرضاً آخر لاغراض التصدير بقيمة خمسة بلايين دولاراً. وقد سهلت هذه المساعدات الخارجية الهائلة على صدام حسين مهمة قمع المعارضة السياسية سواء أكان هذا هو الهدف من المساعدة أم لا.

وفي ضوء نجاحها في استعمال غاز الاعصاب وغاز الخردل ضد القوات الايرانية، يبدو مناسباً القول، وعلى نحوٍ مؤكدٍ غالباً، استعمال الحكومة العراقية لهذه الغازات ضد المتمردين في مناطق الاهوار في الجنوب والاكرد المدينين في المناطق الجبلية في الشمال. وفي الاشهر الاخيرة من عام ١٩٨٨، وبعد توقف العمليات القتالية ضد ايران، نفذت الحكومة حملة تطهير اخرى واسعة النطاق بحق خصومها ومعارضيه

السياسيين. كما نفذت فرق الاعداد الحكومية احكام الاعداد بحق المئات من ضباط الجيش وعدد من المدنيين، غالبيتهم من مناطق جنوب العراق ووسطه، وبالتالي فهم شيعة^(٣٥). وفي تمثيلية قضائية زائفة، سُمح لزوجات بعض ممن صدرت بحقهم احكام الاعداد مقابلة صدام حسين ليطلبن منه العفو عن ازواجهن على الرغم من جهلنَّ بطبيعة التهم الموجهة لهم^(٣٦).

في كانون الثاني ١٩٩٠، تحركت القوات العراقية ضد ثلاثين من المدن والقرى الشيعية في جنوب شرقي العراق لترحيل سكانها الذين سقط العديد منهم ما بين جريح وقتيل^(٣٧). لم يُذكر شيء عن حملة الهجوم هذه ولا عن الاحداث التي سبقتها، ويسود الاعتقاد بتعاطف سكان هذه المناطق وتضامنهم مع الحركة الاسلامية.

ان القوى السياسية والعسكرية الهائلة التي تحوزها حكومة البعث والمساعدات الخارجية التي حصلت عليها تمثل قوى خارجية مؤثرة فرضت وجودها والقت بظلالها على قواعد الحركة الاسلامية. لقد اسهمت سياسات حزب البعث والآليات القسرية الحديثة التي اتبعتها الحكومة في تقليص مساحة الفرص السياسية المحدودة أصلاً التي تمتع بها العراقيون في السابق. فضلاً عن ذلك، فإن آليات الضبط الاجتماعي التي نفذتها الحكومة ساعدت وبشكل فعال على اضعاف الرغبة بالانتماء الى الحركة الاسلامية والمتمثلة اساساً بالتعسف في تنفيذ احكام الاعداد والنفي بنوعيه الطوعي والمفروض قسراً من قبل الحكومة.

الانتقال إلى الدعوة الثورية: في أي مجتمع، تساهم مجموعة متنوعة من المصالح الفردية والتقاليد والاعتقاد بشرعية النظام الاجتماعي وقانونيته في تحديد مدى خضوع الافراد للحكومة^(٣٨). والاختفاق في الخضوع يمثل قراراً

مُهْلِكاً يَنْذِرُ بعواقب وخيمة ويَحْتَمِلُ ان يَفْضِيَ بالفرد الى خِساَرَتِهِ اِقْتِصَادِيّاً ومعنويّاً، وربما خِساَرَةَ حَيَاتِهِ ذاتها. وفي ضوئِ اِحْتِمالاتِ هَذِهِ الخِساَئِرِ والمخاطر التي قد يَتَعَرَّضُ لها المُنشَقِقين السياسيين ، فإن الرِساَلَةَ التي يود قادة الجماعات المعارضة اِصْصالها ينبغي ان تكون ذات أهمية للجماعات الاجتماعية المعنية لكي تَتَّخِذَها اِساساً للفعل، وعموماً، لا يَتَمَرَّدُ السِكاَنُ ضِدَّ حُكُومَةٍ تحظى بالشرعية ، سواء أكانت هَذِهِ الشرعية مستمدة من التقاليد والتراث أم تحصلت بفعل النِجاَحِ في تحقيق المِصْصالحِ المِجْتَمَعيَةِ في مِيادين التَّنْمِيَةِ الاقتصادية والدِّفاعِ عَنِ الاراضي الاقليمية مثلاً. وتتمثل الحالات التي قد يَسْتَجِيبُ فيها افراد الشعب لدعوات التمرد في، على سبيل المثال لا الحصر، فَقْدانُ الحُكُومَةِ وسياساتها للشرعية والمِصْصداقية ، ربما بسبب طَريقَةٍ وِصُولِها للسلطة، أو تِجاَهِلِها للقادة الدينيين أو فشْلِها في تَفْصِيلِ المِشاَرَكَةِ السياسية، واستِشْراءِ المحسوبية الاقتصادية وانتِشاَرِ الشُّعُورِ باليأس والاحباط.

لَمْ تَكْتَفِ حُكُومَةُ البعث بالقيام بذلك، بل اتَّخَذَتْ جُمْلَةً مِنَ الاجراءات والسياسات التي اجبرت الناس على خرق التعاليم الاسلامية والا المخاطرة بوضعهم ضمن خانة المعادين للنظام. ولتِجاَهِلِها القيم الاسلامية التي شكَّلت جوهر التضامن المِجْتَمَعيِ وِاساسَ النظام الاجتماعي في العراق، أسس صدام حسين حتى قبل انتقاله الى موقع الرجل الاول في البلاد في ١٩٧٩، نظام عبادة الفرد الواحد عبر اغراقه البلاد بالالف الصور والجداريات الشخصية له التي تنم عن شعور طاغٍ بالعظمة والخيلاء على نحوٍ منافي للقيم الاسلامية. وان عدم وجود صورة لصدام حسين في منزل أو مكتب شخص ما قد يعرضه لشبهة الالتزام الديني أو المعارضة السياسية للنظام.

ان سياسة التعظيم الذاتي التي مارسها صدام حسين كانت فعالة في رفعه فوق مستوى البعثيين الآخرين، محاولاً في الوقت نفسه ربطهم به بوصفه الشخص الوحيد القادر والضروري للحفاظ على الحكومة وعلى مواقعهم وامتيازاتهم.

ولطالما تشدق البعثيون بطموحاتهم وآمالهم العروبية، ولكن ليس ثمة في تاريخ حزب البعث العراقي ما يدل على حرصه على تنفيذ شعاره المثالي "الوحدة والحرية والاشتراكية"، او حتى تأثير هذه الاهداف المثالية في عملية صناعة القرار داخل الحزب، فالمنشورات الصادرة عن الحزب لم تبين ابداً آليات تحقيق الوحدة العربية التي ينادي بها^(٣٩)، كما شهدت مساحة التعبير والحرية تقلصاً كبيراً في اثناء حكم البعث، وعوضاً عن التحول الى نظام السوق الاشتراكي، شهد القطاع الاقتصادي تقلبات عدة منذ تسلم الحزب مقاليد الحكم وانتهى الامر بهذا القطاع الى تجسيد رأسمالية الدولة وسعيها الى مغازلة المستثمرين الاجانب. في السبعينيات، اعاد البغداديون صياغة شعار الحزب ليكون "لا وحدة ولا حرية ولا اشتراكية".

حاول الحزب كذلك الترويج لمظاهر الكفاءة والنزاهة ومحاربة الفساد في أجهزته الحكومية والادارية؛ بيد أنه ثمة اختلاف جوهري بين النظام الكفوء والنزيه والمتطور تكنولوجياً والحديث اقتصادياً الذي تزعم الحكومة نجاحها في اقامته والاسلوب الفعلي الذي تتبعه وتعمل به بعض من ادارات الدولة وتنظيماتها^(٤٠). صحيح ان حكومة البعث، كسابقاتها من الحكومات العراقية، قد حققت بعض النجاحات الاقتصادية اساساً بفضل الموارد النفطية، إلا أنها لم تدوم، فقد ضاعت هذه النجاحات في خضم الديون الضخمة والدمار الهائل الذي لحق ببنية البلاد وقدراتها جراء الحرب العراقية - الايرانية والخسائر

الاضافية الهائلة في الارواح والممتلكات التي تكبدتها البلاد بعد غزو العراق للكويت.

وبانعدام فرص التنظيم السياسي القانوني ومخاطر الانخراط في النشاط السياسي غير القانوني خاصة بعد المساعدة التدريبية والتقنية التي تلقتها الاجهزة الامنية الحكومية من الاتحاد السوفيتي، لم يعد بمقدور الحركة الاسلامية توقع نجاحها في تنفيذ مشاريعها عبر اعتماد الاستراتيجيات الاصلاحية أو تنظيم التظاهرات السياسية الاحتجاجية. إلا أن نجاح الثورة الايرانية في اقامة الحكومة الاسلامية وتجنيد المزيد من الافراد في صفوفها دفع قادة الحركة الاسلامية الى التفكير جدياً بمراجعة تكتيكاتهم وتغييرها لتتوافق والحاجات والفرص الجديدة. وفي حقيقة الامر، لقد ساعد نجاح الثورة الاسلامية في تشجيع قيادة الحركة الاسلامية على اجراء مراجعة شاملة ومتأنية لفاعلية الحركة وتأثيرها، وقد أثبتت الثورة الاسلامية في ايران قدرة جماهير الشعب المسالمين اساساً على الاطاحة بالحكومات القمعية المالكة لعنصري التكنولوجيا العسكرية المتطورة ودعم القوى العظمى.

بيد ان حادثتي القاء القبض على آية الله الصدر في حزيران ١٩٧٩ والتقاعد القسري للرئيس البكر في تموز ١٩٧٩ قضتا نهائياً على ادعاءات الحكومة باحترامها للاسلام. وعلى الرغم من تحريم قتال المسلم لأخيه المسلم في القرآن والتزام المسلمين عموماً بتعاليم الاسلام ونواهيها، توصل أفراد الحركة الاسلامية الى مشروعية استخدام العنف ضد حكومة البعث بالنظر للطبيعة الكافرة للنظام ومغالاته في استخدام العنف ضد خصومه المسالمين . وهكذا، وافق آية الله الصدر على الانتقال الى الدعوة الثورية.

وبهذا الصدد، قال ماكس فيبر في القرن التاسع عشر "ان الجماعات باشكالها كافة، من الاسر الصغيرة الى الاحزاب السياسية تلجأ للعنف الجسدي عندما يتعرض وجودها للتهديد، هذا ان كانت قادرة على ذلك". ويحتمل ان حصول الحركة الاسلامية على الدعم اللوجستي اللازم من الحكومة الاسلامية الجديدة في ايران قد ساعدها في الرد على عنف الحكومة بعنف مماثل. كما ان اعتماد الحكومة العراقية المكثف على المساعدة العسكرية والمالية الخارجية في حربها ضد ايران ساعد في بلورة فكرة الاعتماد على الخارج لدى الحركة الاسلامية. زيادة على ذلك ان فقدان الحكومة العراقية السلطة الاخلاقية عبر قرارها شن الحرب على دولة مسلمة قد شكل دعماً للفكرة الاسلامية القائلة ان الانظمة العادلة والمستقلة تستلزم اقامة حكومات اسلامية.

الهوامش

١. مك ادم، ، العملية السياسية وتبلور حركة التمرد السوداء.
٢. فاطمة الميرنسي، ما وراء الحجاب، ص ١٤.
٣. دراسة نشرها ايهاب حسن في ١٩٨١، مقتبس في بركات، "العائلة العربية"، ص ٣٧.
٤. تعريف الموقع الاجتماعي مأخوذ من ماكس فيبر "الاقتصاد والمجتمع" المجلد الاول، ص ٣٠٥.
٥. تامادونفار، المجتمع الاسلامي، ص ٦٦.
٦. بطاطو، "المجتمع الاسلامي"، ص ٣٨٠.
٧. رسام، "السلطة في شمال العراق"، ص ١٦٢.
٨. في اثناء الحرب العراقية - الايرانية، لوحظ اقبال العديد من قيادي الخط الاول في حزب البعث على الالتزام بالشعائر الدينية مثل حضور الصلاة في الجوامع. كما خصص الراديو والتلفزيون العراقيين المزيد من الوقت لبث البرامج الدينية. وما زالت مسألة مدى أقتناع افراد الشعب العراقي بـ "اهتداء" قيادات الحزب محل نقاش وجدل.
٩. هلمز، العراق، الصفحات ٩٠-٩١.
١٠. الصحوة الاسلامية، اذار - نيسان ١٩٨١، ص ٧. التكراتة هم السكان المحليون لمدينة تكريت العربية السنيّة الواقعة في شمال وسط العراق، وهي موطن صدام حسين وقريبه، احمد حسن البكر.
١١. التيار الجديد، ١٠ كانون الاول، ١٩٨٤، ص ١.

١٢. يحتمل قدوم رجلي الدين هذين الى مدينة الثورة من مكان آخر، ولكن من غير المرجح انتقال أي من الاشخاص المتعلمين الآخرين من منطقة سكنه العائلية الى مدينة الثورة.

١٣. يُرجح دخول الطلبة البعثيين الى الكليات المرموقة والتخرج منها بوساطة التأثير السياسي. وتُعدّ المُعاملة الحسنة التي كان الاساتذة مضطرين الى سلوكها مع الطلبة البعثيين أحد اسباب الشعور بالاستياء في اوساط الكوادر الجامعية خلال فترة اقامتي في بغداد في مطلع سبعينيات القرن العشرين.

١٤. انظر سعد الدين ابراهيم، "الحركات الاسلامية العسكرية في مصر"، الصفحات ٤٢٣-٤٥٣.

١٥. مدل ايسٲ انٲرنشال، ٢٨ ايلول، ١٩٩٠، ص ٢٨.

١٦. في سبعينيات القرن العشرين، دخلت حكومة البعث في تحالف مع الاكراد والحزب الشيوعي العراقي، ولكنها لم تسمح لهما بممارسة اية سلطة حقيقية . وفي الثمانينيات وبعد حملة دعائية صاخبة، أسست الحكومة البرلمان الذي تلخصت وظيفته في المصادقة على القوانين التي يقترحها مجلس قيادة الثورة. وجدير بالملاحظة ان موافقة البرلمان لم تكن ضرورية في حالة "القرارات" و "المراسيم" التي يتخذها هذا المجلس.

١٧. وحدة الاستخبارات الاقتصادية، العراق، ص ١ وما يليها. وعلى الرغم من صدور هذا التقرير في ١٩٨٠، فإن النتائج التي توصل اليها مازالت نافذة، اذ لم يشهد الاقتصاد العراقي أي تنويع في مصادره،

بأستثناء الزيادة في تصنيع الاسلحة في اثناء الحرب العراقية - الايرانية في ثمانينيات القرن العشرين.

١٨. في شتاء العام ١٩٧٢، قمت بزيارة لاحدى المدارس الحكومية في احدى المناطق الريفية. وكان المدرس والمشرف البعثي يرتديان المعاطف الشتوية في الغرف غير المدفأة في حين كان الطلاب، وجميعهم من الصبية، يرتعدون من البرد، إذ لم يكونوا يرتدون المعاطف ولا الجوارب ولا حتى الاحذية.

١٩. لم يتجاوز عدد الاعضاء "الناشطين" في حزب البعث، أي الاعضاء الذين يمتلكون حق التصويت ضمن الحزب وبمقدروهم شغل مواقع المسؤولية الخمسة آلاف في ١٩٦٨ وفقاً لتقديرات الحزب ذاته. قارن ذلك مع مار، تاريخ العراق، ص ٢١٣. في ثمانينيات القرن العشرين، وبعد مرور عقد من تولي حزب البعث مقاليد الحكم، لم يشهد العدد الاجمالي لأعضاء الحزب في عموم العراق تغيراً، إذ ما زال عددهم خمسة وعشرين ألفاً فقط، أي ما يساوي ٢% من عدد السكان، وذلك وفقاً لهلمز، العراق، ص ٨٧. وعلى الشخص الذي ينتمي الى حزب البعث قضاء فترة اختبار لا تقل عن خمس سنوات يؤدي اثناءها مجموعة من المهام غير المستساغة قبل ان يصبح عضواً حزبياً كاملاً، ولذلك، لم يكن عدد الاشخاص الذين يمكنهم ان يكونوا ناشطين سياسياً من الناحية القانونية كبيراً جداً.

٢٠. تستند ارقام المداخل التي يحصل عليها الموظفون في القطاعات الصناعية الكبيرة الى التقرير الاحصائي السنوي الصادر عن الحكومة العراقية عام ١٩٧٨. انظر بطاطو، الثورات المصرية والسورية

والعراقية، ص ١٧. أما معدلات الناتج الوطني الاجمالي لكل فرد في هذه الفترة فتستند الى تقارير وزارة الخارجية الامريكية حول ممارسات حقوق الانسان الصادرة عام ١٩٨٥، ص ١٢٥٤.

٢١. في بعض الاحيان، كان العراقيون المدنيون يُعدون النشاطات السياسية للحزب الشيوعي العراقي وبعض الاحزاب الكردية قانونية.

٢٢. في ١٩٧١، بلغ الراتب الحكومي للمدرس الحاصل على شهادة الماجستير خمسين ديناراً شهرياً في بداية تعيينه، أي ما يساوي (١٤٠) دولاراً في ذلك الوقت، في حين كانت قيمة ايجار منزل مؤلف من غرفتي نوم في بغداد تساوي هذا الراتب تقريباً بما ان الشقق لم تكن خياراً مطروحاً لأنها، عملياً، غير موجودة في العراق. جدير بالملاحظة عدم حصول غالبية المدرسين على شهادة الماجستير، وعليه، فإنهم يبدأون حياتهم المهنية باقل من خمسين ديناراً.

٢٣. دفلن، "السياسة العسكرية في العراق"، ص ١٣٢.

٢٤. الخليل، جمهورية الخوف، ص ١٢.

٢٥. نيويورك تايمز، ٩ حزيران، ١٩٨٦، ص ٢٢أ.

٢٦. في ١٥ تشرين الثاني، ١٩٨٩، نشرت جريدة العمل الاسلامي أسماء عشرين شخصاً مقرونة بتواريخ واماكن ووسائل قتلهم من قبل الحكومة. وتراوحت الوسائل المتبعة من قطع الرأس الى الحرمان من الطعام والماء. وقد اعتمدت الجريدة في مصادر معلوماتها على عوائل الضحايا وزملاء القتلى من المسجونين السابقين والعاملين في الجهاز الامني الذين هربوا من العراق.

٢٧. المصدر الخاص بأعداد الشيعة المتعلمين هو جريدة التيار الجديد، ١٠ كانون الاول، ١٩٨٤، ص ٣. اما المصدر الخاص باعداد المنفيين فهو جريدة كيهان الدولية، ٢ كانون الثاني، ١٩٨٨، ص ١٠. يبدو واضحاً ان جميع هذه الاعداد هي تقديرات، فلا احد يعلم على وجه الدقة عدد العراقيين الذين اختاروا العيش في المنفى أو الذين نفوا قسراً. والى جانب الشيعة والكرد، قرر عدد من العرب السنة مغادرة العراق احياناً بسبب فقدانهم لوظائفهم الحكومية بعدما رفضوا الانضمام لحزب البعث. وعلى شاكلة المتعلمين الشيعة، اختار السنة العرب، على نحو عام، التوجه الى الغرب او الى الدول العربية النفطية.

٢٨. "التسلسل الزمني"، مدل أيست جيرنل ٣، ٤٤ (١٩٩٠): ص ٤٨.

٢٩. اكسلغارد، هل ثمة عراق جديد؟ ص ٢٥.

٣٠. الايكونومست، ٢٤ اذار، ١٩٨٤، الصفحات ٣١-٣٢.

٣١. اكسلغارد، هل ثمة عراق جديد؟ ص ٧٤.

٣٢. امتنع الاتحاد السوفيتي عن ارسال شحنات الاسلحة بعد دخول العراق الاراضي الايرانية في ايلول ١٩٨٠.

٣٣. روس، "آراء الاتحاد السوفيتي في حرب الخليج"، ص ٤٤١.

٣٤. للاطلاع على المزيد بشأن مساعدة الولايات المتحدة للحكومة العراقية، أنظر كوردسمان، "تأثير الولايات المتحدة ومبيعات السلاح الاخرى في الحرب العراقية - الايرانية"، ص ٢٩، كدي، "المعضلات الايرانية: من هو اللاعقلاني؟" الصفحات ٢٩-٥٤؛ وروبرت نيومان في اكسلغارد، العراق في مرحلة انتقالية، ص ١٠.

٣٥. العمل الاسلامي، ٢٩ كانون الثاني، ١٩٨٩، ص ١. ساهم عدم أرجاع جثث الضباط المقتولين الى عوائلهم في تعقيد مسألة تعداد القتلى. وقد استندت "العمل الاسلامي" في تقديراتها البالغة (٩٠٠) مقتول الى عدد الذين صادرت الحكومة ممتلكاتهم والى المعلومات التي ادلى بها المخبرون الحكوميون. وبهذا الصدد ذكرت منظمة العفو الدولية مقتل (٣٦٠) ضابطاً في تشرين الثاني وكانون الاول عام ١٩٨٨. واوردت التيار الجديد على لسان الدبلوماسيين البريطانيين ما مفاده أن الحكومة العراقية كانت تقتل أي شخص يشتبه في تشكيله خطراً على النخبة السياسية الحاكمة. قارن مع التيار الجديد، كانون الثاني، ١٩٨٩، ص ١.
٣٦. اتصالات شخصية مع احدى الزوجات التي جربت، دونما نجاح، التقدم بالتماس للعفو عن زوجها.
٣٧. مدل أيسن انترناشنال، ٢ شباط، ١٩٩٠، ص ١٤.
٣٨. فيبر، الاقتصاد والمجتمع، المجلد الاول، ص ٣٧.
٣٩. فاروق، سلاغيت وسلاغيت "البعث في العراق"، ص ١٠٢.
٤٠. وحدة الاستخبارات الاقتصادية، العراق، ص ٧٧.

-٧-

الايديولوجية السياسية

تتمثل الفكرة الجوهرية في الحركة الاسلامية في تفسيرها الروحي للحياة؛ فوفقاً لآية الله الصدر: "ان الهدف الذي حدده الاسلام لبني البشر في حياتهم هو ارضاء الله عزّ وجلّ والعمل بتعاليمه^(١). ويسعى الاصوليون الاسلاميون، سنّة وشيعة على حدٍ سواء، الى إقامة دولة القانون، دولة مستندة الى التعاليم الالهية المبينة في الشريعة الاسلامية التي يجب ان يخضع لها الحاكم والمحكوم على حدٍ سواء.

وكغيرهم من الموحدين، يؤمن المسلمون ان الله قد ارسل سلسلة من الرسل والانبياء لتوجيه البشر في سلوكياتهم وافعالهم بعضهم نحو بعض، بمعنى تبيان علاقاتهم المادية والروحية بعضهم ببعض الآخر. ويؤمن المسلمون ان انبياء العهد القديم ومن جاء من بعدهم من الانبياء كيسوع المسيح (عليه السلام) والنبي محمد (صلى الله عليه وسلم) قد كُفوا بابلاغ البشر بالرسائل والشرائع السماوية. ويعتقد المسلمون انه في حالة عدم قيام الانبياء بذلك، فلن يكون بمقدور البشر معرفة التعاليم والشرائع السماوية وبالتالي لن يكون بمقدورهم تلبيتها؛ وهذا وضع يُعد انتهاكاً لعدالة الله عزّ وجلّ، ولذلك فهو مستحيل.

والحكومة المثالية في نظر المسلمين هي الحكومة التي تعمل وفق التعاليم والشرائع السماوية التي يبلغها الله (عزّ وجلّ) للناس على ألسنة انبيائه. وفي ظل غياب حكومات مثالية كهذه ، أرتأى علماء الدين سنّة وشيعة، تاريخياً، قبول الحكومات المسلمة القائمة ، وحتى في حالة استبداد الحاكم وفجوره، فإن خطر انشقاق الامة وأضعافها عن طريق الثورة على الحاكم يُعد شراً

أخطر من بقاء الحكومة الظالمة. وفي حالة خضوع الشعب الى حكومة ليست مسلمة اطلاقاً، قد يضطر المسلمون الى السعي لأقامة حكومة مثالية، وهذا بالضبط ما يفعله الاسلاميون الذين يؤكدون الحاجة الى التوحيد بمعانيه المتعددة. دينياً، يعني التوحيد وحدانية الله وكذلك الخضوع لاوامره ونواهيه وقد كتب الاصوليون من امثال مولانا المودودي كثيراً عن التوحيد من حيث كونه استمجااً للمجتمع البشري بوحدانية الكون، وهو بقوله هذا يعمل على اخضاع الافعال البشرية لارادة الله وجعل الحياة ذاتها متركزة حول الله^(٢). وتبعاً لذلك، شكلت مناهضة العلمانية واقامة الحكومة الاسلامية احدى الوسائل المناسبة لمساعدة المسلمين على تحقيق مبدأ التوحيد المعني بجعل الحياة البشرية متركزة حول الله. وبكلمات آية الله الصدر فإن "أي فهم روحي للحياة وأي معنى اخلاقي لها لا يؤدي الى اقامة نظام حياتي متكامل يأخذ بالحسبان جميع اجزاء المجتمع لا يمكنه القيام بشيء عدا تلطيف الاجواء والتخفيف من حجم الكوارث"^(٣).

تتعدد نماذج الدولة الاسلامية وتتنوع بتعدد آليات فهم الاسلام وتنوعها. وهناك تفسيرات عدة للتعاليم السماوية وكذلك "وفرة من المقاربات المتنوعة للسلطة السياسية ضمن التصورات السنيّة والشيعية، وكذلك فيما بينهما"^(٤) إلا أن الاساس الذي استندت اليه الحكومة الاسلامية هو النظام القضائي المستند اساساً الى الشريعة والى القوانين الاخرى الضرورية والمنسجمة مع التعاليم الاسلامية. وتبين الشريعة ذاتها اسلوب الحياة التي ينبغي على الافراد اتباعه، ويشتمل اسلوب الحياة هذا على تعليمات تفصيلية في ما يخص الصحة الشخصية وقواعد السلوك والاخلاقيات الى جانب القوانين ذات الصلة بالحكومة ووظائفها. والدولة الاسلامية ، بلا شك، تُضفي على

معايير السلوك الإسلامية القوة القانونية اللازمة من خلال إلزامها المسلمين باتباع أسلوب الحياة الإسلامية. وفي الدولة الإسلامية، يتم تطبيق الحدود (العقوبات المنصوص عليها في الشريعة الإسلامية) على المسلمين الذين ينبغي أن يلتزموا بجميع التعاليم الإسلامية الأخرى المنصوص عليها في القرآن والأحاديث النبوية الشريفة. وتعد دراسة أصول الدين والتفقه بأحكامه من أهم شروط ممارسة القضاء.

الأيديولوجية السياسية الشيعية التقليدية: يؤمن الشيعة أنه بعد وفاة النبي محمد (صلى الله عليه وسلم)، تولى سلسلة من الأئمة من آل البيت مهام توجيه البشر وقيادتهم بمساعدة من الوحي الإلهي الذي توارثوه عبر سلالة الإمام علي (عليه السلام). وكان مقدراً للأئمة ممارسة السلطة السياسية لولا حرمانهم من ذلك ظلاً وعدواناً. ولم يتول الإمام المعصوم عملياً مهام السلطتين الدينية والسياسية إلا خلال ولاية الخليفة الرابع، الإمام علي (عليه السلام) (٦٥٦-٦٦١) وهذا ما ينبغي أن تكون عليه الأمور، من وجهة نظر الشيعة، في جميع الأزمان والعصور. وفي العقود الأولى من ظهور الإسلام، بحث الشيعة وأحياناً ثاروا ضد النظام القائم دفاعاً عن قضية سليل النبي الذي سينصب نفسه خليفة للمسلمين، أي الحاكم الديني والسياسي لهم. وفي القرن الثامن الميلادي وبتوجيه من الإمام السادس، جعفر الصادق (عليه السلام) (توفي ٧٦٥)، تخلى الشيعة بعامّة عن التمرد والثورة وتبنّت غالبية الشيعة (الأثني عشرية)، حسب ما تقتضيه الظروف، موقفاً مسالماً مهادناً حيال الحكومة السنيّة القائمة إيثاراً للسلامة وتجنباً لاثارة سخطها.

ويعتقد بانتهاء الإمامية (سلسلة الأئمة المعصومين) في ٨٧٣ عندما توفي الإمام الحادي عشر دون أن يترك ابن يخلفه بوصفه الإمام الثاني عشر،

وأدى ذلك الى ظهور اربع عشرة فرقة شيعية في الاقل، سعت كل واحدة منها إلى وضع حل لمشكلة الامام الغائب. وقد اختار الشيعة الاثنى عشرية في نهاية الامر تبني خيار الاعتقاد بولادة الامام الثاني عشر في مدينة سامراء المقدسة حوالي العام ٨٧٠ للميلاد، وكانت والدته اسمها نرجس. وبسبب من احتمالات اغتياله على يد السلطات الحاكمة، ذهب الصبي في غيبة، لا يظهر اثناءها إلا لوكلاء مؤمنين مختارين. وفي الغيبة، فان الامام الثاني عشر حي لا يموت في هذا العالم ولكن لا يمكن لاحد مشاهدته، ولشيوع الاعتقاد بعودته في آخر الزمان لانقاذ العالم واقامة العدل في الارض، عُرف الامام الثاني عشر باسماء عدة منها الامام الغائب والامام المنتظر والامام المهدي^(٥).

وفي اثناء الغيبة الصغرى التي استمرت من ٨٧٣ إلى ٩٤١، واصل الامام الغائب قيادة الشيعة عبر الاتصال بوكلائه. في السنوات الاولى من الغيبة، تقدم عدد من الوكلاء الذين اعلنوا صلتهم بالامام الغائب لقيادة الطائفة الشيعية ولجمع الخمس بالنيابة عنه^(٦). وانتهت مرحلة الاتصال المباشر بالامام مع بدأ مرحلة الغيبة الكبرى، عندما أبلغ علي السمرري (توفي ٩٤٠/٩٤١) وكيل الامام في بغداد، اتباعه انه الوكيل الاخير المُعين للامام .

ومع بداية الغيبة الكبرى، أنتقلت السلطة الدينية وقيادة الطائفة الشيعية الى علماء الدين الذين يتولون تفسير الشرائع الدينية وقوانين الاحوال المدنية. زيادة على ذلك، وبوصفهم فقهاء مسلمين، عمل علماء الدين على تنفيذ الوظائف الاجتماعية والدينية المؤجلة للامام للغائب مثل جمع الخمس. بيد انهم لم يطالبوا بالسلطات السياسية الموكلة للأمام. وتبعاً لذلك، اعتاد

العلماء التخلي عن السلطة السياسية الى الحكام السُنّة، وحافظوا على المسافة الفاصلة بين الطائفة الشيعية والسياسة، وعملوا على التقليل من شأن الميدان السياسي الى درجة تجاهله لا الى درجة الثورة عليه. وجدير بالملاحظة، عدم توصل العلماء الى اتفاق بشأن طبيعة السلطة السياسية التي يمكن الحصول عليها في ظل غيبة الامام. وتمحور الامل بإقامة الحكومة العادلة حول عودة الامام العادل على الرغم من تعمق الوعي لدى المسلمين بضرورة توليهم مهمة اقامة مجتمع يكون آمناً بدرجة تكفي لظهور الامام الثاني عشر.

ولقرون طويلة، عمل العلماء على تحديد القوانين المستمدة من القرآن والاحاديث والعرف العام بالاستناد الى مبدئي الاجماع والعقل، ويُعد الاخير توسعاً ضرورياً بالنظر لتشريع القرآن عدد قليل من القوانين. وفي القرن السابع عشر، اعلنت الفرقة الاخبارية رفضها مبدئي الاجماع والعقل بوصفهما مصدرين من مصادر السلطة، واعترافهما بالقرآن والاحاديث النبوية فقط مع تأكيدها قدرة المؤمنين على تفسير هذه الاحاديث^(٧). وفي القرن الثامن عشر (١٧٠٥-١٧٩١) أسس أغا محمد باقر بهبهاني مدرسة اصول الفقه، والاصول تعني "المبادئ الاساسية". وقد أعلن الاصوليون اعترافهم بمصادر السلطة الاربعة؛ وهي الاجماع والعقل والقرآن والاحاديث النبوية، وبينوا قدرة المجتهدين على تحديد القوانين الدينية وتفسيرها عبر إعمال العقل. وعلى المؤمنين من جانبهم تقليد المجتهدين الاحياء بما ان المجتهدين هم الوحيدون الملمون بتفاصيل التعاليم والقوانين والشعائر الدينية إلى حدٍ يطمئن معه المسلم إلى تقليدهم دون المجازفة بارتكاب الاخطاء.

وشهد القرن الثامن عشر انتصار المدرسة الاصولية على الاخبارية، وقد ساعد هذا الشيعة على تعديل مواقفهم على وفق الظروف والاحتياجات المتغيرة، ومن خلال تأكيد مبدأ الاجتهاد وأهميته، تبنى الاصوليون مبدأ العقل بوصفه مصدراً للفقہ الاسلامي، وفتحوا للأفراد فرصة المشاركة الفاعلة في تشكيل ملامح المجتمع الانساني، وتأسيساً على الاجتهاد الذي اضفى عليه اتفاق العلماء الشرعية اللازمة، تم انشاء نظام فقهي شامل، وعمل المجتهدون بعامة، والمراجع العظام بخاصة، بوصفهم المفسرين لتعاليم الله وشرائعه والممثلين للسلطات الدينية في الارض. وفي الامور الدينية، عدّ علماء الدين أنفسهم من المعصومين^(٨). وبموجب مبدأ التقليد الاصولي، يلتزم كل شيعي بتقليد أحد المجتهدين، مما يعني أخضاع افراد الطائفة الشيعية لسلطة رجال الدين. ويتمتع المقلدون بأهمية خاصة بما ان مكانة المجتهد ومرتبته الدينية يحددها عدد مقلديه . والمجتهد الذي يحوز على العدد الاكبر من المقلدين يُسمى المرجع ويُخاطب بوصفه آية الله. ورجال الدين، مثل غيرهم من الشيعة، يقلدون مرجعاً ما، اما رجال الدين في المدن الصغيرة فيحكم عليهم نظراؤهم وفق درجة اخلاصهم وتقيدهم باحكام المرجع الذي يقلدونه.

وفي اواسط القرن التاسع عشر، تحدث مرجع التقليد، مرتضى الانصاري، (١٨٠٠-١٨٦٤) عن "تقليد الفقيه العالم بوصفه واجباً مطلقاً"^(٩)، مقدماً بذلك مفهوم القيادة المركزية في مجتمع رجال الدين الشيعة . وليس للشيعة بنية هرمية دينية متمأسسة، بيد ان المراجع يشغلون قمة الترتيب الهرمي غير الرسمي ولا يفوقهم مكانة احياناً إلا مرجع التقليد المطلق، المقصود به المرجع الاعلمي الذي يُقر له المراجع الآخرون بالمكانة وسعة

التفقه في الدين. وليس ثمة طريقة محددة أو منصوص عليها لتحديد من هو المرجع المطلق أو الاعلمي، اذا كان ثمة مرجع كهذا أصلاً، ولذا، شهد تاريخ الشيعة تنافساً حاداً بين المراجع على هذا اللقب مع ملاحظة بقاء بعض المراجع في قيادة الطائفة لفترات طويلة (انظر جدول ٧-١). بهذا الصدد، ذكر عباس امانت، على نحو مقتنع، أن بروز السلطة الوحيدة والمطلقة يحدث فقط عندما يجبر عامة الناس، عبر دفعهم اموال الخمس إلى مرجع محدد وتقليدهم إياه، المراجع الآخر على الازعان لسلطة المقلد الاعلى الذي اختاروه^(١٠).

ويتولى المرجع مهام تحديد المسموح به في الدين، وفي حالة وجود مرجع التقليد المطلق، فإن تشريعاته وتصريحاته الدينية يجب ان تحظى بالاجماع ولا يجب ان يعارضها او ينفيها علماء الدين الآخرون. وقد اختلفت آراء العلماء فيما يتصل بالفعل، إذ فسر بعض مراجع الدين مسؤولياتهم على نحو ضيق أقصوا معه "الفعل"، في حين مال آخرون الى التوسع في هذا التفسير ليشمل "الفعل" والى الفئة الاولى، ينتمي آية الله كاظم اليزدي وآية الله بروجردي. ويمكن تلخيص موقف هؤلاء بكلمات آية الله ارباب اصفهاني، أحد أنصار المنهج السلمي، إذ قال "ان واجبنا هو النصح والارشاد لا القتال"^(١١). أما الموقف الثاني المؤيد للفعل فتبناه آية الله محمد تقي شيرازي، الشخصية البارزة في ثورة العشرين ضد الاحتلال البريطاني والامام روح الله الخميني، وكلاهما فسرا مسؤولياتهما الدينية لتشمل الفعل والقيام بما هو ممكن لاحقاق الحق واقامة ما يعتقدونه صحيح شرعياً. وفي حالة وجود مرجع التقليد الاعلى، فإن آراءه ومواقفه تؤثر بالضرورة في المواقف التي يتخذها العلماء في زمانه، ويبدو واضحاً ميل الباحثين

الإسلاميين إلى عد نصح الحكومات وإرشادها إحدى مسؤولياتهم وواجباتهم، ولكن هل يحوز عامة الناس على هذا الحق وهل تشتمل مسؤولياتهم على هذا الفعل؟ ثمة آيتان قرآنيتان تتصان على وجوب التشاور مع الناس. أحياناً تُفسر هاتان الآيتان بطريقة يُراد منها إفهام عامة الناس بوجوب مشاركتهم في حكم البلاد. وأحدى هاتين الآيتين تعد الذين "استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم" (سورة الشورى، آية ٣٨) بجنان الخلد ومغفرة من الله عز وجل. وهذه الآية ما هي إلا آية واحدة من آيات عدة تبين خصائص المؤمنين الصالحين، وبالتالي، فهي ليست، بالضرورة صالحة لجهة إمكانية تطبيقها على الحكومات. أما الآية الأخرى فتخص التوجيه الذي أبلغه الله عز وجل لنبيه محمد (صلى الله عليه وسلم)، وهذا التوجيه يتصل، على نحو أكثر وضوحاً، بالعلاقة بين الحاكم والمحكوم. والآية تحث النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) على استشارة الآخرين مع الاحتفاظ بحق اتخاذ القرار النهائي لنفسه: "قبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك، فأعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر، فإذا عزممت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين". (سورة آل عمران، الآية ١٥٩). وتاريخياً، جرى تفسير الآيات القرآنية ذات الصلة بالتشاور لتعني أن على الحكومة التشاور مع المواطنين من علية القوم لا مع عامة الناس؛ والحكومات بعد ذلك غير ملزمة بتنفيذ المشورة التي يقدمها هؤلاء، إلا أن الحكومات في البلدان المسلمة اعتادت التخلي عن الالتزام بهذا المبدأ، وعادة ما عملت على خرقه.

وفي تطبيق الشريعة، ثمة اتفاق عام في أوساط السُّنة والشيعية على مبدأ الاجتهاد الجماعي، أي التوصل إلى أجماع (اتفاق عام) حول فحوى الشريعة

ومقاصدها بوساطة مجموعة او مجلس مؤلف من رجال الدين رفيعي المستوى^(١٢) مع استمرار مجتهدى الشيعة في البت في الاحكام الفردية. ونظراً لتشكيل الشيعة أقلية في العالم الاسلامي وعدم وجود نص صريح يلزم بالتشاور في القرآن ، مال علماء الشيعة الاثني عشرية إلى رفض الاعتراف بالرأي القائل أن رأي الاغلبية هو بالضرورة رأي صحيح أو صائب^(١٣). وضمن الطائفة الشيعية، اضطلع رجال الدين رفيعو المستوى والعوائل الدينية المرموقة بدور مهم في تحديد القيادة الدينية، إذ يختار الشيعة الملتزمون رجال الدين الذين يقلدونهم ويدفعون لهم الخمس (أو الضرائب الدينية). وهذا يعني اعتماد القادة الدينيين الشيعة في تحديد مواقعهم على الدعم الطوعي لافراد الطائفة بعامة، ودعم رجال الدين الآخرين والملتزمين دينياً من ذوي الاملاك والواسعي الثراء بخاصة^(١٤). وفي حالة تنظيم مثل حزب الدعوة، يختار اعضاؤه المرشد الديني الذي يتولى مهمة قيادة المجموعة. وهذه العملية تضمن ، مبدئياً في الاقل ، تجاوب رجال الدين مع الرأي الشائع بين اتباعهم وكذلك اتباعهم المحتملين، مع ملاحظة انه ليس ثمة وسيلة "للتشكيك" في كفاءة القائد الديني متى ما شغل موقعه القيادي.

وتاريخياً، منحت الشريعة الرجال حقوقاً أفضل من النساء في قانون الاحوال المدنية. وعلى نحو مماثل للمجتمع العربي ما قبل الاسلام، يعني الزواج في المجتمع الاسلامي نقل الوصاية على النساء من رجل إلى آخر، وعادةً ما يعني ذلك، عملياً الانتقال من كنف الوالد الى كنف زوج المستقبل. ويحق للرجل، حسب الشريعة الاسلامية، الزواج بغير المسلمات في حين لا تتمتع النساء بهذا الحق، كما يحق للرجل الزواج باكثر من امرأة واحدة^(١٥)

في حين لا يحق للمرأة الزواج بأكثر من رجل واحد. فضلاً عن ذلك، يحق للرجل تطليق زوجته دون أخذ موافقتها أو تبرير قراره أو مراجعة المجتمع له، في حين لا يمكن للمرأة تطليق زوجها من دون موافقته إلا في حالات نادرة يكون فيها للقاضي القول الفصل. وتُمنح حضانة الاطفال فوق سن معين آلياً للأب.

وفي عهد النبي محمد (صلى الله عليه وسلم)، لم يشهد المجتمع فصل الرجال عن النساء، ولم يكن ارتداء الحجاب، الممثل لأحد رموز الفصل الجنسي، شائعاً لدى النساء. وجرى بعد ذلك تفسير الآية ٣١ من سورة النور على أنها تعني الزام النساء بارتداء الحجاب (تغطية جميع اجزاء الجسم عدا اليدين وجزء من الوجه او كله). "قل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدین زینتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدین زینتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو ابنائهن أو ابناء بعولتهن..". "بالقدر نفسه، يوصي القرآن الرجال ان يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم"، وبينما شددت المجتمعات الاسلامية، تقليدياً، على ضرورة حفظ النساء لعفتهن، فأنها منحت الرجال مدىً أوسع من الحريات والخيارات في العلاقات الشخصية. ويُعد التوفيق أحد أهم المظاهر المميزة للتفكير الشيعي المعاصر في ما يخص رؤيته وعلاقته بالمسلمين السُنّة. وفي مطلع خمسينيات القرن العشرين، دافع آية الله محمد حسين كاشف الغطاء (١٨٧٦-١٩٥٤)، المرجع الاعلى للعديد من العراقيين الشيعة، بشدة عن الجهود المبذولة لتحقيق المصالحة والتضامن مع المسلمين السُنّة^(١٦)، الأهم من ذلك رأيّه ان الاعتقاد بالامامية، وهو محور الخلاف الديني بين السُنّة والشيعة، لا يُعد

الزامياً. فضلاً عن آية الله كاشف الغطاء، تعاون مرجع التقليد الاعلى، آية الله بروجردي (١٨٧٥-١٩٦١) مع شيخ الازهر في القاهرة، محمود شلتوت في الفترة ذاتها لتعزيز فرص التقارب بين المذهب الشيعي والمذاهب السنية الاربعة^(١٧).

التفسيرات التي ساقها الإمام الصدر: تمثلت استجابة آية الله الصدر لمشكلة العلماء العراقيين الخاصة بكيفية اقامة الحكومة الشرعية في ظل الغياب المتواصل للإمام الغائب وانهيار النظام الملكي في العراق، في العمل بجد لتأسيس مجتمع اسلامي، وبالتالي تجنيد الحكومة في خدمة التعاليم السماوية التي تلزم المؤمنين "نصرة الحق ودحض الباطل". ويعتقد آية الله الصدر أن البشر صالحون بالفطرة ولكنهم ضعفاء، ولذا، أراد الصدر من المجتمع حماية المسلمين وتحسينهم من مكامن الضعف فيهم، وبالتالي تعزيز قدرتهم على الامتثال لتعاليم الله ونواهيه. وتوقع آية الله الصدر من النظام الاجتماعي قدرته على مساعدة الناس على التمسك بالتعاليم الدينية وتشجيعهم على الالتزام بإداء الشعائر الدينية عبر تخصيص الوقت لأداء الصلاة خلال فترات العمل الرسمية وتعديل جداول العمل خلال شهر رمضان وتسهيل التزامهم بمجمل التعاليم الدينية. وتساوقاً مع ذلك، ينبغي ارشاد المخالفين وتوجيه النصح لهم، وان لزم الامر، معاقبتهم وحثهم على الالتزام بالتعاليم الدينية إلى جانب السعي لتعزيز التقوى والالتزام بالاعمال الصالحة بكل الوسائل الممكنة. وبوصفه المرجع الاعلى لغالبية الشيعة، شدد آية الله الصدر على دور العلماء ومسؤوليتهم عن قيادة المسلمين في نضالهم لاقامة حكومة اسلامية. وبهذا الصدد، قال آية الله الصدر:

بما ان الامامية هي استمرار للنبوّة، فعلى نحو مماثل لذلك، وبعدما آلت الامامة، بعد الغيبة الكبرى، إلى المرجعية (السلطة الدينية لرجال الدين)، واصل علماء الدين الشيعة، بمساعدة المسلمين الملتزمين والمضطهدين، مساعيهم لاقامة حكومة مؤلفة من الانبياء والائمة، التي تشكل بنظرهم الحكومة الوحيدة الصحيحة والعادلة التي ناضل من اجلها الشرفاء والصالحين ومحبي الانسانية على اختلاف اعمارهم وتوجهاتهم^(١٨).

وبعد وفاة النبي محمد (صلى الله عليه وسلم)، حلت الامامة محل النبوّة. وبدورها حلت المرجعية محل الامامية بعد الغيبة الكبرى للامام المهدي، وتبعاً لذلك، حل الائمة من آل البيت محل النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) في عملية صناعة القرار، وبعد الغيبة الكبرى لآخر الائمة المعصومين، ورث المراجع مسؤولية اتخاذ القرارات بالنيابة عن المسلمين. وعلى الرغم من الاستمرار بالعمل بتوجيه الله عزّ وجلّ إلى نبيه محمد الذي ينص على وجوب التشاور مع الناس، استمرت ظاهرة عدم تحديد آليات تنفيذ هذا التوجيه وطبيعته. وعلى الرغم من شيوع الاعتقاد في الماضي بكفاية التشاور مع الاشخاص البارزين والمتنفذين، رأى آية الله الصدر ان "الظروف المتغيرة" والمراقبة الشرعية في الحكومة الاسلامية تجعل تشكيل "مجلس يتألف اعضاءه من الممثلين الحقيقيين للشعب"^(١٩)، امراً ضرورياً وممكناً. في توطئته لاقتصادنا، بيّن الصدر ان الانسان هو خليفة الله في الارض؛ وان هذا المفهوم يعني ضمناً تخويل الانسان السلطة والمسؤولية^(٢٠). وفي ١٩٧٩، حدّد الصدر مبادئ اربعة في الجمهورية الاسلامية هي:

١. الحكم المطلق لله وحده.

٢. تُولف التعاليم الإسلامية أساس التشريع وبمقدور السلطة التشريعية سن القوانين التي لا تتعارض مع الإسلام.

٣. يفوض الناس، بوصفهم خلفاء الله في الأرض، بالسلطات التشريعية والتنفيذية.

٤. يمثل الفقيه الذي يحوز السلطة الدينية الإسلام، ويتولى مسؤولية منح الشرعية اللازمة للقرارات والقوانين التشريعية والتنفيذية من خلال المصادقة عليها^(٢١).

بيد أن الصدر لم يفوض علماء الدين مسؤولية حكم البلاد، بل أنه يعتقد بقدرة المجتمع الإسلامي على حكم نفسه على وفق معايير الشريعة الإسلامية وقوانينها. وتبعاً لذلك، تتحدد سلطات الدولة على وفق القانون الإسلامي الذي يتولى الفقهاء ورجال الدين مهمة تفسيره، وهذا ما كان عليه الحال في المجتمعات الإسلامية. علاوة على ذلك، يرى آية الله الصدر أن الناس ليسوا بحاجة إلى تعليم ديني متكامل ليتمكنوا من فهم آيات الله وتفسيرها طالما كان الفقهاء المسلمون في موقع يؤهلهم الإشراف على تطبيق التعاليم الإسلامية ومنع انحراف التفسيرات الشعبية عن المسار الصحيح. وبين آية الله الصدر على نحو واضح مفردات السلطة السياسية (انظر شكل ٧-١) وحدد فروعاً ثلاثة في الحكومة مع تأكيده ضرورة انتخاب الشعب للسلطتين التشريعية والتنفيذية. بيد أنه لم يبين الآلية التي يتم وفقها اختيار الفقهاء ولا طبيعة العلاقة بين السلطتين التشريعية والتنفيذية. وحسبما يعتقد الصدر، فإن المبادئ القانونية للحكم متضمنة في القرآن والاحاديث النبوية، بيد أنه ترك مهمة تحديد تفاصيل تنفيذها للقادة السياسيين.

ويُعد آية الله الصدر المرجع الشيعي الاول الذي تبنى مبدأ الشورى في اختيار اعضاء السلطة التنفيذية في الحكومة الاسلامية^(٢٢). رغم ذلك، فإن رؤيته للحكومة الاسلامية لا تتضمن حكم الاغلبية، فالدولة التي يوكل لفقائها مهمة الاشراف على تنفيذ القوانين السماوية دون تمتع الشعب بالحق في تغيير هذه القوانين ، لا تُعد دولة ديموقراطية في جوهرها. لهذا، اعلن آية الله الصدر رفضه حكم الاغلبية لجهة استلزامه اخضاع البشر لسلطة البشر^(٢٣)، ومن وجهة النظر الشيعية العامة، لله وحده فقط الحق في تنظيم الحياة البشرية.

ان الاستراتيجية التي أتبعها الصدر لأقامة الحكومة الاسلامية تستلزم رفض مبدأ المسالمة والعزوف عن النشاط السياسي الذي أوصى به الإمام السادس، جعفر الصادق (عليه السلام). تساوقاً مع ذلك، ألقى الصدر باللائمة على الشيعة لعدم انخراطهم في النشاط السياسي عاداً هذا الموقف مسؤولاً عن نشوء المجتمع بهذه الطريقة غير المقبولة. وقد أدى عزوف العلماء عن النشاط السياسي الى تطبيقهم الاجتهاد على القوانين المؤثرة في حياة الافراد حصراً، متجاهلين القوانين الاخرى ذات الصلة الاكيدة ببناء المجتمع. لذا، وفي تعليقه لاسباب القصور الواضح في القوانين المجتمعية، ألقى الصدر باللائمة على دولة المجتمع المسلم ذات الطبيعة الملتبسة^(٢٤). واقترح لعلاج هذا الوضع الالتزام بالنقاط الآتية:

١. تعميق الوعي الاسلامي لدى افراد الشعب بحيث تتعزز لديهم الرغبة بإقامة حكومة اسلامية والاشتراك في النضال في سبيل تحقيق ذلك.
٢. إعادة تفسير بعض القوانين الاسلامية والقضاء على التفسيرات غير المناسبة الموروثة من الماضي، وبالتالي زيادة جاذبية الاسلام

بوصفه ايدولوجية معاصرة، والوسيلة لتحقيق الهدف الثاني هم المجتهدون الذين سيعملون عبر قدرتهم على تفسير القوانين والتعاليم الاسلامية، على مراجعة الظروف السياقية والاجتماعية للنصوص المختلفة بدلاً من الاكتفاء بالركون الى التراث فحسب^(٢٥). اما الوسيلة الامثل لتحقيق الهدف الاول، أي اقامة الحكومة الاسلامية، فهم الشعب:

ان الشرط الاساس لنجاح أية عملية غايتها خلق ثقافة جديدة او الشروع في حملة نضال طويلة الامد ضد الجهل والتخلف هو تعبئة الجماهير واقناعهم بالتحرك لأن تحركهم هو الدليل على تقدمهم وتطور ارادتهم وتحرير قدراتهم الداخلية. اذا لم يتم تطوير جموع الجماهير، ليس هناك شيء بمقدوره تغيير الوضع القائم^(٢٦).

وبتجسيدها لعالمية الاسلام، تمثل الحركة الاسلامية حركة أممية في مقابل القومية في الايدولوجية. فالاسلام وليس القومية، سواء أكانت كردية ام عربية، هو بؤرة ولاء المواطن في الدولة الاسلامية. وفي ما يتعلق بالقومية، يؤكد الاسلاميون ان القومية العربية هي النظير المعاصر للقبالية العربية التي تصدى لها الاسلام واستبدلها بمبدأ الاخوة الاسلامية. ويُدين القرآن بشدة القبالية ومشاعر التفوق لدى المجموعات البشرية التي لا تستند الى اساس التقوى. وبهذا الصدد، اقتبس آية الله مرتضى مطهري (توفي ١٩٧٩) الذي يحظى بمكانة كبيرة في اوساط الاسلاميين العراقيين ما قاله العلامة الجليل الطباطبائي "ان الاسلام قضى على دور التمايزات القبالية والقومية، وهو ينكر عليها اضطلاعها بأي دور فاعل في تشييد المجتمع الاسلامي"^(٢٧).

المبادئ الاقتصادية: يؤكد آية الله الصدر احتواء الاسلام جميع المبادئ الضرورية لتنظيم الحياة الاقتصادية بما أنه يمثل نظاماً شاملاً يُعين البشر في شتى ميادين الحياة. وفي ما يتعلق بالقوانين المنصوص عليها في القرآن والقوانين الاخرى المستنبطة، يتوقع الصدر قدرة المجتمع المسلم على بلورة نظام اقتصادي في حال تحقق حلم المسلمين بالحكومة الذاتية وكانوا في موقع يؤهلهم اتخاذ قراراتهم الاقتصادية الخاصة.

في كتابه (اقتصادنا)، حدد الصدر المبادئ الاساسية العامة للاقتصاد الاسلامي ، وهي:

١. ملكية متعددة، بمعنى ملكية عامة وخاصة.
٢. حرية اقتصادية خاضعة ومقيدة بالقانون الالهي في ميادين الانتاج والاستهلاك.
٣. العدالة الاجتماعية المستندة الى مبادئ المسؤولية المتبادلة والتوازن^(٢٨).

في فلسفتنا (١٩٥٩)، حدد الصدر مهمتين ينبغي على الدول الاسلامية اداؤها أهمها تثقيف عامة الشعب بالمبادئ الاسلامية وهدايتهم اليها اذا ما انحرفوا^(٢٩). وفي رسالته عن الحركة الاسلامية التي كتبها عندما تحقق حلم اقامة الحكومة الاسلامية في ايران ، في ١٩٧٨، حدد الصدر ثلاث وظائف على الحكومة الاسلامية الاضطلاع بها هي نشر العلوم الاسلامية وتطبيق القانون الاسلامي وضمان العدالة الاجتماعية^(٣٠). والوظيفة الاخيرة حاضرة على الدوام في العقيدة الاسلامية، إلا أن الصدر، بالقائه مسؤولية تحقيقها على عاتق الحكومة في وقت تعاظم تأثيره في تفعيل مفهوم الحكومة الاسلامية قد أكد أهمية هذه الوظيفة وامكانية تحقيقها.

وهناك احكام في القرآن تخص الزكاة والخمس^(٣١)، وهي الالتزامات المالية الشبيهة بالضريبة التي يُكَلَّف المسلمون بالالتزام بها، وهناك قوانين اخرى تخص الوراثة، وجميع هذه القوانين تسعى لتحقيق مبدأ العدالة الاجتماعية ضمن العوائل وبالتالي ضمن المجتمع الاكبر. وعلى نحو عام، التزم الشيعة، تاريخياً، بدفع اموال الخمس الى علماء الدين الذين يتولون التصرف بها وتوزيعها. بيد ان المصدر كلف الحكومة الاسلامية مسؤولية توفير وسائل العيش الكريم لكل من لا يستطيع المساهمة في الانتاج. وهذا يعني تولي الحكومة مهمة جمع اموال الخمس . ورغم ذلك، أخفقت الحكومة الاسلامية في ايران عندما حاولت جعل علماء الدين يسلمون جزءاً من اموال الخمس لها لتمويل الميزانية الوطنية^(٣٢). وبغية جمع اموال الخمس على نحو ناجح، قد تضطر الحكومة الى تخمين قيمة الضريبة المفروضة على افراد الشعب مباشرة، وهذا اجراء قد لا يرحب به اولئك الذين لم يعتادوا دفع الضريبة او الذين اعتادوا دفع الخمس الى مراجعهم الدينية مباشرة.

وفي المبادئ العامة للنظام المصرفي في المجتمع الاسلامي، سعى آية الله المصدر الى التخفيف من الشكوك والمخاوف الشعبية بشأن إمكانية بناء اقتصاد حديث منسجم مع المبادئ الاسلامية. وقد رفض المصدر الفكرة القائلة ان على الاقتصاد الاسلامي تفسير المسائل العلمية مثل علاقة الاسعار بالطلب ووسائل التنمية الاقتصادية مؤكداً ان المطلب الشرعي الوحيد المفروض على عاتق الاسلام في مجال الاقتصاد هو قدرته على تنظيم حياة اقتصادية تستند الى مفهوم العدالة الاسلامية تتمثل العدالة في التوزيع في

ضمان مستوى معين من المعيشة لجميع افراد المجتمع واثاحة الفرصة لهم لمزيد من الكسب^(٣٣).

ويؤخذ بتحريم الفائدة على توظيف الاموال، بيد ان للمالك الحق في فرض الفائدة على استخدام ممتلكاته غير النقدية. وان استملاك الاراضي دون استغلالها امر غير مشروع. ومن هذا المبدأ نستدل على تحريم الاحتكار واكتناز الاموال. وكان الهدف من الاجراءين الاخيرين تشجيع المسلمين في المجتمعات الاسلامية على اقراض الاموال بلا فائدة . وفي النظام المصرفي الاسلامي، بمقدور الاغنياء السماح لمجتمعاتهم بتوظيف رؤوس اموالهم بطريقتين:

١. أيداع الاموال في المصارف الحكومية لاستثمارها دون أخذ فائدة، ويضمن لصاحب رأس المال استرداد امواله بقيمتها الحقيقية دونما انخفاض بسبب التضخم، وسيعفى صاحب رأس المال من دفع الزكاة على المال المقرض بهذه الطريقة.

٢. باستعماله المصارف لاستثمار رؤوس امواله في المشاريع الاقتصادية، ويحصل مالك رأس المال على الارباح ويتحمل الخسائر على وفق نتائج المشروع الاقتصادي ورأس المال المقرض بهذه الطريقة يُعفى من الزكاة^(٣٤).

ويُعد التحديث الاقتصادي أحد أهم الاهداف التي نادى الصدر بها في تمهيده لاقتصادنا: يقول الله في محكم كتابه الكريم: "واعدوا لهم ما استطعتم من قوة" وأحد انواع القوى التي تحدث عنها القرآن هي القوة الاقتصادية المقاسة بمقاييس الانتاج؛ ولهذه القوة أهمية بالغة في الحفاظ على وحدة الأمة الاسلامية وسيادتها^(٣٥).

وفي فلسفتنا ، أكد الصدر على أهمية المعارف العلمية وعلى ضرورة تحصيلها، "في واقع الامر، ان تحصيل العلوم الدينية والمعرفة الدينية بالعالم لا يعني ترك دراسة المسببات الطبيعية أو التمرد ضد الحقائق العلمية الصحيحة. بل بالاحرى، انه المبدأ القائل ان الله هو المُسبب ما وراء [الطبيعة]"^(٣٦). وقد تقبل الشباب من ذوي التعليم غير الديني الذين انخرطوا في الحركة الاسلامية، التحديث ورحبوا به، فاقبلوا على دراسة الطب والهندسة والاقتصاد والادارة في مسعى منهم لتحصيل العلوم الحديثة الضرورية للمجتمع الاسلامي الذي يسعون الى بنائه. وحاول الاسلاميون في العراق المتأثرين بافكار الصدر استدمج العلوم الدينية بالعلوم التكنولوجية الحديثة وتوظيف ذلك في إعادة بناء المجتمع.

وفي مؤلفاته الاقتصادية، أنتقد الصدر بشدة الرأسمالية والشيوعية، مقترحاً بديلاً عنهما طريقاً وسطاً يحمي الملكية الخاصة مدعوماً باجراءات للتخفيف من حدتها عن طريق فرض قيود تضمن عدم معاناة أي فرد من افراد المجتمع من الحرمان. وفضلاً عن ذلك، اقترح الصدر تخصيص خمس موارد النفط العراقي للضمان الاجتماعي والاسكان وتأمين التعليم المجاني والخدمات الصحية للجميع^(٣٧). ودولياً، يرى الصدر في الانظمة المادية انظمة متعديّة على البلدان المسالمة ومستغلة لثرواتها^(٣٨). كما رفض الفكرة الماركسية القائلة أن النظام الاجتماعي يتحدد وفق نمط الانتاج؛ بيد أنه أعترف بتمتع هذا النظام بأهمية مادية كبيرة بما ان توزيع الثروات الطبيعية يعتمد اعتماداً كبيراً على هذا النظام الاجتماعي، ولكونه يؤمن ان النظام الاجتماعي هو نتاج الخيارات البشرية، أكد الصدر على قدرة البشر على تغيير هذا النظام^(٣٩). وفي ما يتعلق بموارد العراق النفطية، أكد الصدر

رفض الاسلام للملكية الخاصة المطلقة بما ان الموارد الطبيعية ليست نتاج عمل الافراد . وفي العراق، وبالنظر لاستحواذ الدولة وسيطرتها على قطاع الصناعة النفطية، فليس ثمة حاجة الى تغيير الوضع القائم في هذا المجال.

المبادئ الاجتماعية: وفق الرؤية العالمية لآية الله الصدر، يتمتع كل من المجتمع والافراد بوجود موضوعي وهما متساويان في الأهمية^(٤٠). وبسبب كون البشر كائنات اجتماعية في حاجة غريزية دائمة لغيرهم من بني البشر، فأنهم اعتادوا العيش في جماعات. وان افراد المجتمع مسؤولون لا عن افعالهم فحسب، وإنما عن افعال مجتمعاتهم وسلوكياتها، كما تبين الآية القرآنية "كل أمة تدعى الى كتابها"(سورة الجاثية، آية ٢٨)، وهي آية تدعم تفسير الصدر لحق الشعب ومسؤوليته عن المشاركة في حكم البلاد.

وثمة جانب آخر مهم في فكر آية الله الصدر يتعلق بشمول النساء بعملية التنمية، إذ اكد الصدر على أهمية تعليم النساء ومنحهنّ العدالة الاجتماعية، وحرص على تعليم النساء وتحسين ظروفهنّ المعيشية، رافضاً تصديق صحة بعض الممارسات الاجتماعية المتعلقة بالنساء. والمسؤوليات التي اوكلها لاخته، العالمة بنت الهدى، دليل قاطع على الطبيعة غير التقليدية والمتجددة في وجهات نظره الخاصة بالمرأة. وقد عاشت بنت الهدى في منزل ترأسه امرأة لا رجل، كما جرت العادة في المجتمعات الاسلامية. وقد اعتادت العوائل المرموقة في العراق ارسال بناتها الى مدارس بنت الهدى الدينية ليتقنين العلم على يد معلمات فاضلات امثال زوجة الشيخ محمد مهدي الآصفي وأختها^(٤١). وبهذا الصدد، تحدث الشيخ محمد مهدي الآصفي في الذكرى الثالثة عشر لتأسيس حزب الدعوة عن "تنمية الوعي الاسلامي لدى النساء للمرة الاولى" في العراق بوصفه أحد أهم منجزات الحزب^(٤٢).

وغير المسلمين في الدولة الإسلامية احرار لأداء شعائهم وطقوسهم الدينية وكذا المشاركة في النشاطات السياسية، وقد ضمن الدين الاسلامي لهم هذين الحقين، ولكنهم ملزمون بدفع الجزية، وهي الضريبة التي تحل محل الزكاة والخدمة العسكرية المفروضة على المسلمين. وفي مقابل ذلك، يتمتع غير المسلمين بالحماية والخدمات التي يحظى بها المسلمون^(٤٣). وزيادة على ذلك يتوقع من غير المسلمين مراعاة الحساسيات الاجتماعية الشائعة في المجتمعات الإسلامية.

ويعتقد آية الله الصدر ان الخطأ الذي ارتكبه الانظمة الاجتماعية الغربية يتمثل في تقديمها لمصلحة الافراد على المصالح الاخرى. ولذا، انتقد الصدر بشدة ظاهرة شعور الافراد بالمسؤولية عن أنفسهم فقط في المجتمعات الغربية، مؤكداً، بخصوص ذلك، احتمالات تعارض المصلحة الفردية مع مصلحة المجتمع. وفي السياق ذاته، بيّن الصدر معنى الحرية في الاسلام من حيث انها تعني تحرر الافراد من العبودية لآلهة العواطف والقيم المادية الزائفة^(٤٤)، ومن استبداد البشر وطغيانهم، لأنه، وكما قال الله عز وجل في محكم آياته، "ولا يتخذ بعضكم بعضاً ارباباً من دون الله" (سورة آل عمران، آية ٦٤).

وأخذ الناشطون الاسلاميون العراقيون المتأثرون بآية الله الصدر على عائقهم مهمة إعادة بناء المجتمع، على نحو يخالف الموقف الشيعي التقليدي القاضي بانتظار عودة المهدي عليه السلام لتنفيذ هذه المهمة. وتتولى السلطات الدينية مهمة اتخاذ القرارات الخاصة بتحديد ما هو حديث ومرغوب به في مقابل الاجنبي المفسد. ونظراً لجاذبية افكاره الداعية لحل مشكلات المجتمع المسلم، ووقاره وتزدهد ومكانة عائلته الدينية المرموقة،

فقد جمع الصدر شخصيته مواصفات القيادة الحقّة لشيعّة الاسلام، وما زال فهمه للاسلام وتفسيره لاحكامه يحظيان باهتمام واسع النطاق حتى اليوم.

الامام الخميني وإقامة النظام الاسلامي: لم يكن الصدر وإنما الامام الخميني الذي أسس فعلياً الحكومة الاسلامية. وعلى الرغم من نواحي الاختلاف العديدة في افكارهما وتوجهاتهما، لم يتخذ أي منهما موقفاً متشددًا. وفي (كشف الاسرار) المنشور عام ١٩٤٣، ابدى الخميني تأييده لوجهة النظر الشيعية التقليدية الداعية الى دعم علماء الدين للحكومات حتى لو كانت سيئة. الى جانب ذلك، أعلن الخميني تمسكه بمبدأ آخر معروف ينص على ضرورة ان تحكم الحكومات في الدول الاسلامية وفقاً لاحكام الدين الاسلامي وتعاليمه التي يتولى علماء الدين تفسيرها: "لا نقول ان الحكومة يجب ان تكون بيد الفقيه، وإنما نقول ان الحكومة يجب ان تحكم وتدار على وفق احكام الشريعة ومبادئها التي شرعها الله في كتابه لأن رخاء البلاد وشعبها يستلزمان ذلك. وهذا الامر غير ممكن إلا باشراف القادة الدينيين ومراقبتهم^(٤٥)".

وبعد حملات الهجوم والاعتقال التي شنتها الحكومة العراقية ضد الشيعة في ١٩٦٩، استبدت بالعلماء مشاعر اليأس من إمكانية اقناع الحكومات القائمة بالعمل على وفق حدود الشريعة الاسلامية واحكامها. وفي مطلع ١٩٧٠، وفي سلسلة من المحاضرات في النجف، قدم الخميني مفهومه السياسي الراديكالي للحكومة الدينية داعياً علماء الدين الى ممارسة السلطة السياسية للإمام الغائب. ولدعم موقفه هذا، استشهد الخميني "بالمبدأ المعروف" أن للفقيه سلطة على الحاكم، وأورد جملة من الاحاديث النبوية التي تتحدث عن العلماء بوصفهم ورثة الانبياء^(٤٦). وتحدث الخميني في

محاضراته عام ١٩٧٠ عن ولاية الفقيه^(٤٧) التي توسع سلطات رجال الدين وتنقلها من النطاق الديني الى السياسي. وفي ذلك الوقت، لم يتحدث الخميني عن وجوب ترأس عالم الدين الاعلى الذي يُعين خليفته للحكومة الاسلامية؛ وبيّن ان عالم الدين الذي يتم اختياره فقيهاً اعلى عليه التفوق على جميع اقرانه من علماء الدين في سعة اطلاعه على التعاليم والاحكام والنصوص الاسلامية^(٤٨). بيد انه أكد ان الفقهاء "لا يملكون سلطة مطلقة، بمعنى حيازتهم السلطة على جميع فقهاء زمانهم وكذلك القدرة على تعيين الفقهاء الآخرين أو تحييتهم"^(٤٩). وهكذا، وبينما يقر الخميني بالسلطة الدينية المحدودة التي يحوزها المرجع الاعلى على المراجع الآخر، فانه بيّن، في ذات الفترة تقريباً، في (كتاب البيع)، ان الفقيه الذي يعمل زعيماً سياسياً يحوز الافضلية السياسية على جميع الفقهاء الآخرين الذين عليهم طاعته والالتزام باحكامه السياسية^(٥٠).

وعلى نحو مماثل للصدر، يؤمن الخميني ان المسلمين ملزمون باقامة الحكومة الاسلامية، بيد أنه يقوم بذلك بنبرة متشددة وتوكيدية^(٥١). فضلاً عن ذلك، شدّد الخميني على ضرورة تخلي القادة الدينيين عن مبدأ التقية (اخفاء المعتقدات) والانخراط في النشاط السياسي المستند الى العقيدة الدينية: "إيما أمرٍ يدعي ان اقامة الحكومة الاسلامية غير ضروري، فانه ينكر ضمناً وجوب تنفيذ التعاليم الالهية، وعالمية هذه التعاليم وشموليتها، وكذلك جدوى هذه التعاليم"^(٥٢)؛ "وعندما عيّن النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) خليفة له، لم يكن الهدف تفسير بنود العقيدة وقوانينها، وإنما تطبيق القانون الالهي وتنفيذ تعاليم الله واحكامه"^(٥٣).

وجدير بالملاحظة خلو الكتابات السياسية المبكرة للخميني من الابتكارات الليبرالية. وفي ستينيات القرن العشرين، عارض الخميني قانون الانتخابات الذي شرعه الشاه والقاضي بالسماح للنساء بالتصويت؛ وفي رؤيته للحكومة الإسلامية التي تحدث عنها في السبعينيات، أعلن الخميني أن إنشاء المجلس التشريعي غير ضروري^(٥٤). فضلاً عن ذلك، رفض الخميني مبدئياً الحاجة إلى موافقة أفراد المجتمع في عملية اختيار الفقيه، بيد أنه وافق، بضغط من رجال الدين الاصلاحيين والرأي العام الإيراني، على التشاور مع الشعب. ويسود الاعتقاد أن ضغوطاً مماثلة قادته في آذار ١٩٧٩ إلى الاقرار بحقيقة أن "الإسلام يمنح النساء حرية الاختيار في الأمور جميعها تماماً كما يمنح الرجال"^(٥٥). وللنساء والرجال على حد سواء الحق في اختيار المرشحين التشريعيين الذين يصادق عليهم رجال الدين في الجمهورية الإسلامية في إيران. كما سُمح لأحدى النساء بعضوية لجنة الخبراء المكلفة بكتابة دستور الجمهورية الإيرانية^(٥٦). وحضور امرأة واحدة في مجموعة مؤلفة من سبعين رجلاً دليل على تضائل أهمية الحديث المنسوب إلى الإمام السادس، جعفر الصادق (عليه السلام) الذي يصف شغل النساء للمناصب في الهيئات على قدم المساواة مع الرجال أنه "انحدار أخلاقي"^(٥٧).

وكغيره من رجال الدين الشيعة البارزين في القرن العشرين، سعى الخميني إلى التوافق مع المسلمين السنة. ففي خطبة الحج الأولى التي القاها في ١٩٧٠، شدد الخميني على وحدة المسلمين وحثهم على رفض الكتابات والأفراد الساعين إلى بذر بذور الشقاق بين السنة والشيعة^(٥٨).

وبعد قيام الثورة الإسلامية في إيران، أعتمد الخميني التعليم المنتظم للمذاهب السنية الأربعة في مناهج الحوزات الدينية في قم "لتعزيز الوعي

بين المسلمين الشيعة بمضامين الاحاديث السُنّية والاستعانة، متى ما بدا ذلك مناسباً وضرورياً، بهذه المضامين في حل بعض المشكلات الخاصة في ايران^(٥٩)، وفي ١٩٨٠، تحدث الخميني عن امكانية صلاة المسلمين الشيعة خلف أمام سُنّي ؛ ونصح مقلديه باداء الصلاة خمس مرات منفصلة كما يفعل السُنّة عوضاً عن الصلاة ثلاث مرات في اليوم حسبما يقتضي التقليد الشيعي^(٦٠). وفي السياق ذاته، كتب الخميني، "ليس ثمة فرق في الاسلام بين الاغنياء والفقراء، والسود والبيض والسُنّة والشيعة"^(٦١).

وإلى جانب الخميني، سعى عدد آخر من رجال الدين الايرانيين إلى التوافق مع السُنّة، فبعد سؤاله إمامة المصلين في المؤتمر الاسلامي في كولومبو، سيرلانكا في ١٩٨٣، ختم آية الله زانجاني، رجل الدين الشيعي الاكبر سناً، الصلاة على الطريقة السُنّية. وبعد ذلك بأسابيع قليلة، وفي عبادان الشيعية، أذن مؤذن في مجموعة من الزائرين السُنّة، كما في ايام النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) وليس بالاسلوب الشيعي التقليدي.

وتتمحور نواحي الاختلاف الرئيسة بين آيتي الله الصدر والخميني حول درجة سيطرة رجال الدين على الحكومة، فبينما يوكل الصدر لرجال الدين مهمة الحكم على شرعية القوانين التي يشرعها ممثلو الشعب، فرض الخميني نظاماً صارماً يحوز فيه رجل دين واحد، هو الفقيه، على القول الفصل في اختيار من يحكم وكذلك في القوانين التي تسنها الحكومة. وفي جمهورية ايران الاسلامية، أخضع مفهوم الشورى لولاية الفقيه. كما يخضع المرشحون للهيئة التشريعية وكذا القرارات التي تتخذها السلطان التنفيذية والقضائية لسلطة الفيتو التي يحوزها الفقيه. ويعين الفقيه مجلس مؤلف من رجال الدين الذين يستمدون سلطاتهم منه، وهذا المجلس يساعد الفقيه على

تحديد مقبولية القرارات التي تتخذها الحكومة ومدى ملائمة المرشحين للمناصب الحكومية. ويبين الشكل (٧-٢) هرمية السلطة السياسية كما حددها الامام الخميني. وبوصفه ممثلاً لله عزَّ وجلَّ، يشرف الفقيه على ادارة الحكومة وله الحق في ابطال تشريعاتها وافعالها. وأصبح الخميني الفقيه الاعلى الاول وسط ترحيب شيعي عام وترافق ذلك مع تأسيسه لمبدأ اختيار الفقيه الاعلى لخليفته على نحوٍ مماثل، لاختيار الائمة الاثنى عشر لخلفائهم.

وشدّد الخميني كذلك على أهمية مواصلة "السجل البحثي الحر" للتوصل الى مسارات فعل محددة؛ إلا أن كلمة باحث تستثني غالبية الافراد من غير شريحة رجال الدين. كما ان خصوم الحكومة الاسلامية لا يعدون مؤهلين للمشاركة في هذا السجل حتى لو كانوا من رجال الدين^(٦٢). لاحظ، في هذا السياق، الاقامة الجبرية التي فرضت على آية الله شريعتي مداري في سنوات حياته الاخيرة. وعندما تفاقت الخلافات بين آيتي الله منتظري والخميني، دعا الاول الى فتح ابواب وسائل الاعلام امام المعارضة، وبهذا الخصوص قال: "ينبغي ان يكون مجتمعنا مجتمعاً مفتحاً يتمكن جميع افراده من التعبير عن آرائهم في وسائل الاعلام كالراديو والتلفزيون ووسائل الاتصالات الجماهيرية الاخرى"^(٦٣). وبعد ذلك بوقت قصير ، اضطر مداري إلى الاستقالة من منصبه بوصفه خليفة الامام الخميني . وفضلاً عن ذلك، لم يُسمح للعلمانيين الذين أُنتخبوا في الهيئة التشريعية في ١٩٨٠ بشغل مقاعدهم. وهذا يبين القيود الشديدة المفروضة على "السجل البحثي".

وبعد اقامة الحكومة الاسلامية في ايران، تخطى الخميني والقادة الآخرون عن العديد من مواقفهم السابقة في بعض المجالات ؛ ففي كانون الثاني ١٩٨٨، أعلن الخميني أنه بوصفه الفقيه الاعلى، له الحق في مخالفة أو

ارجاء تنفيذ القوانين الاسلامية، وهو أمر يبدو متعارضاً مع مبررات إقامة الحكومة الاسلامية، أي تنفيذ تعاليم الاسلام وشرائعه، وشهد العام ١٩٨٩ حدثاً آخر عندما جرى تعديل المتطلبات الدستورية في مجال تحديد مؤهلات الفقيه. ففي ١٩٧٠، اكد الخميني ضرورة أن يبرز الفقيه جميع المراجع الآخرين في سعة اطلاعه على القوانين والتشريعات الاسلامية، وعندما أصبح مستعداً لاختيار الفقيه الذي سيخلفه، لم يحوز واحد من المراجع الاحياء، وفقاً للخميني، على المؤهلات السياسية اللازمة لشغل المنصب (في واقع الامر، لم يكن أيّ من هؤلاء المراجع من المؤيدين لمفهوم ولاية الفقيه). وبعد مراجعة المجلس للدستور، قلّصت المؤهلات التي ينبغي ان يحوزها الفقيه بحيث يمكن لأي مجتهد ان يشغل المنصب^(٦٤). وقد ساعد هذا التعديل الحكومة على مواصلة "خط الامام الخميني".

وفي ميدان السياسة الاقتصادية، سمحت الحكومة بدرجة معينة من التعددية. وقد اقترح المرشحون التشريعيون الايرانيون الذين يوافق عليهم مجلس الاوصياء والمشرعون المنتخبون وجهات نظر متباينة سيما في ما يتصل بالعدالة الاجتماعية الريفية. وبما ان مطلب العدالة الاجتماعية الاسلامي يستلزم تطوير الواقع الاقتصادي لسكان الارياف، وضع قانون اصلاح الزراعي في الاجندة السياسية. ودعم العديد من رجال الدين فكرة السماح للفلاحين باستملاك الاراضي التي يزرعونها؛ بيد ان هذا العلاج يتعارض والقانون الاسلامي الذي ينص على حماية الملكية الخاصة. وبغية اتخاذ الاجراءات اللازمة لتحسين الظروف المعيشية في المناطق الريفية، لجأ رجال الدين الحاكمون في ايران، على الرغم من الانقسات ضمن المراتب الدينية، إلى مبدأ الضرورة (التأجيل المؤقت لتنفيذ احكام الشريعة

في حالة وجود ضرورة لذلك)، مما سمح للحكومة بنقل ملكية بعض الاراضي من مالكيها الى المزارعين^(٦٥).

وفي قطاعي الصناعة والتجارة، اعتمدت الحكومة سياسة منح المشاريع الصغيرة قروضاً بلا فائدة على الرغم من استيلائها على المصارف الخاصة التي تقرض المال بفائدة في ١٩٧٩. وفي ما يتصل بالاقتصاد الدولي، صُنِف الاكتفاء الذاتي بوصفه الهدف الأهم للأمة، إذ تعتقد الحكومة اعتقاداً جازماً ان التبعية الاقتصادية تؤدي بالبلاد إلى التبعية السياسية والاجتماعية وبالتالي دفع المجتمع التابع الى موقع المشاهد لا الفاعل، ولهذا عُدَّ نجاح البلدان الاسلامية في كسر قيود التبعية الاقتصادية من الاولويات الأساسية^(٦٦). وفي بداية تأسيس الجمهورية الاسلامية، حرم الدستور الاستثمار الاجنبي في ايران، ولكن بعد فترة قصيرة من اندلاع الحرب العراقية - الايرانية، شهد هذا الموقف تغيراً، إذ قال الرئيس خامنئي ان بمقدور البرلمان الايراني السماح بالاستثمارات الخارجية^(٦٧). وهكذا، يبدو ان الحاجة والضرورة فاقتا في أهميتهما الايديولوجية ولم تختلف القيود المفروضة على النساء في ايران في ظل الجمهورية الايرانية عن الممارسات التقليدية السابقة. وفي بادىء الامر، جعلت الحكومة ارتداء النساء للشادور (حجاب كالخيمة يغطي جسم المرأة بأكمله عدا الوجه واليدين والقدمين) إلزامياً في الدوائر الحكومية والاماكن العامة، الامر الذي دفع النساء في طهران للتظاهر لمدة خمسة ايام في اذار ١٩٧٩ احتجاجاً على القيود المفروضة على ملابس النساء وحقوقهن^(٦٨). وقد أدى ذلك الى اعادة تعريف الحجاب من قبل الحكومة ليعني إرتداء غطاء الرأس والملابس

الفضفاضة والجوارب غير الشفافة، على نحو يماثل رؤية الاسلاميين السُنّة لما يجب ان تكون عليه ملابس النساء.

وفي قطاع التعليم أعادت الحكومة الايرانية العمل بنظام الفصل بين الأنثا والذكور في المدارس ومنعت النساء من دراسة المواد التي "تُعد غير ذات جدوى لهنّ أو للمجتمع"^(٦٩). كما فقدت جميع القاضيات وظائفهنّ ومُنعنّ من العمل في المجالين العدلي والقضائي. ورغم ذلك، أمتازت الفرص الاقتصادية والاجتماعية المتاحة للنساء في ايران بكونها اكبر مما في المجتمعات الاسلامية التقليدية، ولكنها ، بالطبع، اقل مما في الحقبة العلمانية السابقة في عهد الشاه. وعندما أعتمدت الحكومة الايرانية سياسة التقشف الاقتصادي، وضعت مكائن الغسيل والمكانس الكهربائية وجميع الادوات التي تقلل من الجهد العضلي التي تستعملها النساء في خانة "المواد غير الضرورية". في حين لم تتضمن قائمة المنع ادوات الحلاقة الكهربائية والسيارات واجهزة التلفزيون التي يستخدمها الرجال^(٧٠). وفي ما يتصل بتصدير الثورة الاسلامية، دعم الخميني مبدأ هداية بني البشر للإسلام، ولكنه بيّن على نحو جلي ان تصدير هذه الفكرة بالقوة لا يُعد "تصديراً"، بل الافضل القيام به عبر جعل الجمهورية الاسلامية في ايران مثالا يحتذى به في جميع انحاء العالم^(٧١).

ويبدو واضحاً القصور الكبير في سجل ايران الخاص باحترام حقوق الإنسان . وفي واقع الامر ، ليس من السهل بمكان معرفة حجم الانتهاكات في حقوق الإنسان التي رافقت الظروف العصبية التي مرت بها الثورة الاسلامية أو فترة الحرب العراقية - الايرانية، كما يستحيل تحديد طبيعة الدور الذي اضطلع به نظام الحكومة الاسلامية في التشجيع على ذلك.

وشهدت ايران في ذلك الوقت شيوع حوادث تنفيذ احكام الاعدام على جرائم تعاطي المخدرات مثلاً، وكانت "مخالفة الله" من بين التهم التي وجهتها الحكومة لبعض الافراد الذين لا يحق لهم المطالبة بالبراءة على الرغم من السماح لهم بتوكيل محامٍ للدفاع عنهم^(٧٢). وليس من الواضح الطبيعة الدقيقة لهذه الاتهامات، بيد ان الإمام الخميني كتب بهذا الخصوص: "ان الله قد أمرنا بإطاعة نبيه محمد (صلى الله عليه وسلم) وأولي الامر، فأن إطاعتهم هي بمثابة اطاعة الله"^(٧٣). وبتوسيع هذا المبدأ منطقياً، فأن مساءلة القرارات التي يتخذها "أولي الامر" والتشكيك بها هي بمثابة مساءلة الله عزَّ وجلَّ . ولا شك ان فكرة استئثار أي فرد أو مجموعة بمعرفة الله ستؤدي إلى التسلط والاستبداد خاصة اذا حاز هذا الشخص أو المجموعة سلطة سياسية عليا.

وعلى الرغم من ان الخميني، حسبما أكد العديد من المراقبين ، لم يكن متسلطاً ولا دكتاتوراً، فإنه في موقعه بوصفه السلطة الحكومية الاعلى قد مارس، في بعض الاحيان، سلطات ذات طبيعة دكتاتورية^(٧٤). وقد تتسم احكام المنشقين الايرانيين وغيرهم من المعارضين للنظام بكونها أشد قسوة، بالاختصاص في ضوء الرسالة التي وجهها الإمام الخميني في السابع من كانون الثاني، ١٩٨٨، إلى خامنئي والتي قال فيها ان للفقهاء الاعلى سلطة ارجاء العمل بالتعاليم الاسلامية.

تناقضات داخلية: على شاكلة الايديولوجيات الاخرى، تعاني ايديولوجية الحركة الاسلامية عدة تناقضات، فالسلطات عليها التعامل مع مشكلة المسلمين المخالفين الذين لا يميلون ، "طواعية"، الى الخضوع لأية شريعة منصوص عليها؛ واجبار هؤلاء على الخضوع، وان ظاهرياً، لتعاليم الشريعة سيخلق مشكلة من حيث ان الاسلام ينادي بالخضوع لارادة الله لا

اجبار الافراد على التوافق مع التفسيرات البشرية لارادته وتعاليمه. ويقول الله عزَّ وجلَّ في محكم آياته: "لا اكره في الدين" (سورة البقرة، آية ٢٥٦). وحسبما يرى آية الله الصدر، "فالدين ايديولوجية واسلوب تفكير، وعليه، وتبعاً لطبيعته هذه، لا يمكن فرضه بالقوة" (٧٥). ولا يستحسن الصدر الفرض القسري للدين. وعلى الضد من ذلك، فقد توقع ان تترك الثورة الاسلامية في ايران "أثراً إيجابياً في العالم أجمع" (٧٦). وهو توقع خالفته ردود الافعال الدولية حيال الثورة الاسلامية. وبعد مراجعته الدقيقة للمعوقات التي تعترض سبيل المسلمين الذين يعيشون في ظل أنظمة مخالفة لتعاليم كتاب الله، أكد الصدر أنه في حال "تسلمت الحكومة الاسلامية مقاليد السلطة. سيستعيد الإنسان وحدته الحقيقية وانسجامه الداخلي المتكامل" (٧٧).

ان إيمان الصدر ان الافراد سيكونون راضين وشديدي القناعة بالحكومة الاسلامية يبدو مثالياً تماماً كتوقعه ذات الصلة بردود الافعال الدولية حيال الثورة الاسلامية. وبالنظر لوجود العديد من المسلمين المتوانين عن اداء الشعائر الاسلامية، كالصلاة الالزامية، وبالتالي الاخفاق في التوافق مع تعاليم الشريعة الاسلامية، فلا يمكن تجاهل احتمالات مقاومة الافراد للشريعة المفروضة قسراً بالاخص إذ ما فُسرت بوساطة فقهاء ومشرعين أقل تسامحاً من الصدر وأقل حماساً للمشاريع الاصلاحية. وفي مواجهة موقف كهذا، قد تتخذ الحكومة الاسلامية موقفاً متشدداً في ما يخص الاصرار على تحديد التعاليم الاسلامية وتطبيقها أو قد تلجأ إلى اتاحة مساحة اكبر من الحريات في ما يخص الالتزام بالواجبات الدينية.

وبداهةً، يسلتزم تطبيق الخيار الاول اتخاذ اجراءات تعسفية في حين تزداد احتمالات ان يواجه الخيار الثاني معارضة قوية من المتشددین الذين

يريدون من الحكومة النهوض بمسؤولياتها في الحفاظ على الاخلاق والقيم الاسلامية^(٧٨).

وحاول الصدر دمج فكرتي الحكومة الاسلامية بإعادة بناء المجتمع عبر الاجتهاد، ونصح بترك العمل بالاحاديث المتوارثة غير المناسبة مع الاستمرار بمحاولات تحديث المجتمع الاسلامي. ولحرصه على استفادة المجتمع من الانجازات العلمية والتربوية، قدم الصدر برامجاً اصلاحية وتقدمية في جوهرها. بيد أنه من المشكوك فيه نجاح الحكومة التي اقترحها في الحفاظ على مسارها التقدمي؛ فالقوانين الالهية ثابتة لا تتغير، والدين، تاريخياً، كان أداة ايديولوجية مهمة للسيطرة السياسية، ومتى ما تمت عملية إعادة بناء المجتمع وترك العمل بالاحاديث التي لا تواكب روح العصر، يمكن للحكومة الاسلامية ان تكون شديدة المحافظة مع بروز ظاهرة مقاومة التغيير بوصفها محاولة لتغيير التعاليم الدينية.

ويسعى الاسلاميون إلى تعزيز مبدأ الاستقامة والصلاح في مجتمعاتهم، بيد ان الحاق الضرر بالإسلام بوصفه ديناً قد يكون نتيجة غير مقصودة لاقامة الحكومة الاسلامية. وقد استطاع الدين الاسلامي، من القرن السابع حتى القرن العشرين، ومن المغرب إلى اندونيسيا، التكيف بمرونة عالية مع الظروف القائمة. وفي دولة القانون الاسلامية، هناك تفسير واحد للإسلام. وستتولى سلطات الدولة تطبيق هذا التفسير على أرض الواقع مستعينة في ذلك بسلطات الحكومة الحديثة. وعملياً، يعني هذا غياب المرونة في التعامل مع تطبيق التعاليم الاسلامية. والأهم من ذلك ان اخفاق الحكومة أو فشلها سيُنسب للإسلام، وهناك ما يكفي من القرائن الدالة على تضائل حدة التشدد الديني في الجمهورية الاسلامية في ايران نتيجة لتفاقم مشاعر الاستياء من

الحكومة. وجدير بالملاحظة تباين الالتزام بإداء الشعائر الدينية قوة أو ضعفاً بالتوازي مع الدعم الشعبي للنظام الاسلامي^(٧٩).

وفي ظل ولاية الفقيه، قد يُفضي اتحاد مفسر القانون ومطبقه في شخص فقيه واحد إلى التشدد وإلى اخفاق العدالة. والحكومة المُقامة على هذه الأسس تتجاوب مع الفقيه لا مع الظروف والمصالح والاحتياجات المتغيرة للشعب. وحتى مشروع مراجعة الاحاديث وإعادة تقويمها الذي استهله الصدر قد لا يكتب له النجاح بما ان إعادة بناء المجتمع تعتمد اعتماداً رئيساً على الفقيه. وعلى الرغم من مراجعة الخميني للايديولوجية السياسية الشيعية وإعادته تفسيرها ودعمه خطة إعادة توزيع الثروات الاقتصادية، فإنه تمسك بالممارسات التقليدية في العلاقات الاجتماعية، بالاختصاص في مجال تولي النساء المسؤولية. وبالطبع، فكل فقيه جديد رؤيته الخاصة في هذه المسائل. ان نظام الحكومة الاسلامية المستند إلى ولاية الفقيه تعوزه صمامات الأمان لحمايته من استغلال السلطة أو افتقار الفقيه للكفاءة؛ وهذان الامران ينطويان على اشكالية كبيرة نظراً لميل البشر، تاريخياً، إلى استغلال السلطة لتحقيق مآربهم التي قد تتعارض مع مصالح الشرائع الاجتماعية أو القوى الفاعلة الاخرى في المجتمع. وان القول بمثالية أية حكومة يديرها البشر ما هو إلا وهم خادع.

وثمة تناقض رئيس آخر بين النخبوية السياسية لولاية الفقيه والالتزام بالحكومة الاسلامية بمبدأ العدالة الاجتماعية. ونظرياً، فإن الحكومة الاسلامية، كما تجسدت في ايران، غير مسؤولة عن جميع من في الأرض والتاريخ يُدل، على نحو قاطع، ان احترام مصالح المجموعات الاجتماعية

في المشاركة بموارد المجتمع يستند الى قدرة هذه المجموعات على امتلاك الوسائل اللازمة لفرض هذا الاحترام.

ونظراً لاحتكار النخبة الدينية للسلطة السياسية في الحكومة الاسلامية وغياب التعاريف المحددة للعدالة الاجتماعية، فان لدى المحرومين ما يكفي من الاسباب للتشكيك في احتمالات تحقيق العدالة الاجتماعية.

ان وجود هذه التناقضات لا يلغي احتمالات تطبيق الايديولوجية أو استحالة العمل بالبرامج الاسلامية. بيد انها تبين المعوقات والمصاعب التي قد تعترض سبيل العراقيين الذين يحاولون اقامة حكومة ذاتية على وفق الاطار الاسلامي.

الهوامش

١. الصدر، فلسفتنا، ص ٢٧.
٢. المودودي، الحركة الإسلامية، ص ٣٠.
٣. الصدر، فلسفتنا، ص ٣١.
٤. تامادونفار، المجتمع الاسلامي، ص ٢٩.
٥. للاطلاع على التفاصيل الخاصة بالغيبة الصغرى، انظر ساجدنا، المهذوية الإسلامية، الصفحات ٣٩-٥٦.
٦. الخمس هو المبلغ السنوي الذي يدفعه الفرد لقاء الزيادة في ثروته ودخله الاجمالي للمستحقين الذين حددهم القرآن في سورة الانفال، الآية ٤١.
٧. حالياً، تتواجد الفرقة الاخبارية في العراق في منطقة صغيرة تمتد عبر الجزء الجنوبي من البلاد، من سوق الشيوخ في الناصرية الى الحدود الايرانية، وتشمل جزءاً من مدينة البصرة، قارن مع مومين، الاسلام الشيعي، ص ٢٢٥.
٨. اخاوي، الدين والسياسة، ص ٧.
٩. كول، "دور العلماء"، ص ٤٤.
١٠. قارن مع امانت، "القيادة الدينية"، ص ١٢٤.
١١. مقتبس في ملوارد، "التحديث في الاسلام الشيعي"، ص ١١٥.
١٢. تامادونفار، المجتمع الاسلامي، الصفحات ٩٠ و ١٠٧.
١٣. عنايت، الفكر السياسي الاسلامي المعاصر، ص ١٩. تاريخياً، عاشت العديد من الطوائف الشيعية في ظل حكومات اتسمت بالديمقراطية

مقارنة" بالحكومات الاخرى في زمانهم؛ بيد ان الشيعة الاثني عشرية يعتقدون ان تنفيذ التعاليم القرآنية الخاصة بالشورى يتم عبر تشاور الحكومة مع علماء الدين .

١٤. سمعت عن هذا الامر من احد العراقيين الشيعة البارزين الذي ذكر لشخص آخر، "ما الذي كان سيحل بأية الله محسن الحكيم لو لم يكن معه رجال مثل أبيك وأبي؟".

١٥. كما هو معروف، يضع القرآن شروطاً صعبة على من يرغب بالزواج باكثر من امرأة واحدة، منها معاملة جميع زوجاته على نحو متساوٍ، وهو أمر مستحيل عملياً، كما أنه شرط يصعب تحديده قانونياً. والنقطة التي أود تبينها انه بينما يسمح التراث الاسلامي بتعدد الزوجات، فإنه يحرم تعدد الأزواج.

١٦. اخاوي، الدين والسياسة، ص ٢٢٣. آل في كاشف الغطاء تعود إلى "العائلة" ويُعد الشيخ جعفر النجفي (١٧٤٣-١٨١٢) الذي ألف كتاب (كاشف الغطاء) اول من حاز هذا اللقب الذي توارثه ابناؤه، وجلّهم من علماء الدين البارزين. وشغل أحد احفاد النجفي، المدعو حسن كاشف الغطاء (توفي ١٨٤٦) منصب زعيم العراقيين الشيعة في زمانه. قارن مع مومين، الاسلام الشيعي، ص ٣١٥.

١٧. الجار، جذور الثورات الاسلامية، ص ٤٢.

١٨. الصدر، النظام السياسي الاسلامي، ص ٧٢.

١٩. المصدر السابق، ص ٨٢. لم يبين الصدر، في مناقشته للنظام السياسي الاسلامي، طبيعة الظروف المتغيرة، ويُرجح ان المقصود بها هو ارتفاع معدلات التعليم وتطور الاتصالات في المجتمعات الحديثة، وهي

تغيرات جعلت من السهل على المواطنين المشاركة في الحكم وزيادة توقعاتهم بقدرتهم على القيام بذلك.

٢٠. الصدر، الاسلام والمدارس الاقتصادية ، ص ٢٩. آية الله الصدر ليس الوحيد بين رجال الدين الشيعة الذي نادى بتفويض الشعب السلطتين التشريعية والتنفيذية؛ فقد نشر رجل الدين الإيراني، اسد الله ممقاني كتاباً في ١٩٥٦ بين فيه انه في ظل غيبة الامام الثاني عشر ، فان وظائف الحكومة تُوكل الى "المؤمنين العادليين" وليس الى علماء الدين، قارن مع ارجوماند "الثورة الايديولوجية"، ص ١٨٣.

٢١. الصدر، "النظام السياسي الاسلامي"، الصفحات ٧٥-٨٠.

٢٢. الصحوة الاسلامية، اذار ونيسان، ١٩٨١، ص ٥.

٢٣. الصدر، الانسان المعاصر والمشكلة الاجتماعية، الصفحات ١٦٥-١٧٢.

٢٤. الصدر، النظام السياسي الاسلامي، الصفحات ٤٥-٤٨.

٢٥. المصدر نفسه، الصفحات ٥١-٥٣.

٢٦. المصدر نفسه، الصفحات ٢٥-٢٦.

٢٧. مطهري، المجتمع والتاريخ، ص ٣٤.

٢٨. الصدر، اقتصادنا، الصفحات ١١٧-١٢٣.

٢٩. الصدر، فلسفتنا، ص ٣٢.

٣٠. أرخت المقالة المعنونة "الجمهورية الاسلامية" الصفحات ٧٠-٨٤، في

صدر، النظام السياسي الاسلامي، في السادس من ربيع الاول ١٣٩٩ هجرية (اوائل شباط ١٩٧٩)، أي بعد انتصار الثورة الاسلامية في

- ايران مباشرة. وكتب آية الله الصدر المقالة للأجابة عن سؤال وجهه اليه عدد من رجال الدين اللبنانيين حول أسس الجمهورية الاسلامية.
٣١. جدير بالملاحظة تحديد جريدة التيار الجديد لقيمة الخمس المذكور في القرآن بـ ٢٠% وهذه النسبة تمثل الحد الاعلى من الضريبة التي بمقدور الحكومة الاسلامية الشرعية جمعها من الافراد. قارن مع التيار الجديد، ١٠ أيلول ١٩٨٤، ص ٣١.
٣٢. أفشار، "الحكم الديني في ايران"، ص ٢٣٥.
٣٣. الصدر، الاسلام والمدارس الاقتصادية، الصفحات ١٢٨-١٢٩.
٣٤. الصدر، النظام المصرفي في المجتمع الاسلامي، الصفحات ١٧-١٩.
٣٥. الصدر، الاسلام والمدارس الاقتصادية، ص ٢٨.
٣٦. الصدر، فلسفتنا، ص ١٥١.
٣٧. محمد باقر الصدر، مقتبس في بطاطو، "التنظيمات الشيعية في العراق"، ص ١٨٢.
٣٨. الصدر، الاسلام والمدارس الاقتصادية، الصفحات ٥٩-٦٠.
٣٩. المصدر نفسه، ص ٣٤.
٤٠. الصدر، النظام السياسي الاسلامي، ص ٤٥.
٤١. الخاطب ابن النجف، الحركات، الصفحات ٥٠-٥٤.
٤٢. الجهاد، ٢٤ تشرين الثاني، ١٩٨٦، ص ٤.
٤٣. مطهري، الجهاد، ص ٦٥. كان آية الله مطهري احد تلامذة آية الله الصدر. وفي مطلع ستينيات القرن العشرين، نظم آية الله مطهري حلقة مؤلفة من مجموعة من علماء الدين الايرانيين المتتورين بغية اصلاح الفكر والتنظيم الشيعيين. قارن أخاوي، "العهد البهلوي"، ص ٢٢٥.

وعلى الرغم من اقتران اسمه بالتفسير الليبرالي للمبادئ السياسية الإسلامية وخلافاته المتكررة مع آية الله الخميني بشأن جملة من القضايا السياسية، عُنِيَ آية الله مطهري رئيساً للمجلس الثوري الذي أسسه آية الله الخميني بعد عودته إلى إيران في ١٩٧٩. وعند سؤالي حجة الاسلام مهدي الحكيم حول خصائص المجتمع الذي تسعى الحركة الإسلامية في العراق إلى إقامته، زودني بكتب عدة من تأليف آية الله مطهري.

٤٤. الصدر، الاسلام والمدارس الاقتصادية، الصفحات ٩١-٩٧.

٤٥. الخميني، الاسلام والثورة، ص ١٧٠.

٤٦. المصدر نفسه، الصفحات ٩٩-١٠٠. شهد العام ذاته، ١٩٧٠، مطالبة

أثنين من رجال الدين الايرانيين البارزين وهما حسن فريد غولبيغاني والشيخ علي طهراني بتولي علماء الدين، جماعياً، حكم البلاد محل الامام الغائب. وجدير بالملاحظة مطالبتهما باقامة الحكومة الدينية. قارن ارجومانند، "الثورة الايديولوجية في الحركة الشيعية"، الصفحات ١٩٠-١٩١.

٤٧. تعني ولاية الفقيه تخويل الفقيه قيادة الأمة في ظل غياب الامام المهدي (عليه السلام).

٤٨. الخميني، الاسلام والثورة، الصفحات ٥٩-٦٠.

٤٩. المصدر نفسه، ص ٦٤.

٥٠. عنايت، "آية الله الخميني" الصفحات ٣٤١-٣٤٢.

٥١. هناك فرق جوهري في الأسلوب ونبرة الكتابة بين كتابات آية الله الصدر وكتابات الخميني. فبينما يمتاز أسلوب الأول بالهدوء والتلطف، يُلاحظ على الثاني التشدد والعذوانية.

٥٢. الخميني، الإسلام والثورة، ص ٤٣.

٥٣. المصدر نفسه، ص ٤٠.

٥٤. المصدر نفسه، الصفحات ٥٥-٥٦.

٥٥. المصدر نفسه، ص ٢٦٤.

٥٦. ازاري، "الحركة النسوية في إيران"، ص ٢٠٠. على الرغم من أن الهدف الرئيس من إنشاء مجلس الخبراء هو كتابة مسودة الدستور الذي يُعرض على الشعب للمصادقة عليه، بيّن ازاري أن الدستور كان قد كُتب سلفاً وعلى نحوٍ سري، وأنه لم يكن لمجلس الخبراء ولا للشعب دور في كتابته.

٥٧. الحديث مذكور في مومين، "الإسلام الشيعي"، ص ١٦٧.

٥٨. كيهان الدولية، ٧ تشرين الثاني، ١٩٨٧، ص ٣.

٥٩. الجار، جذور الثورة الإسلامية، ص ٥٩.

٦٠. انظر صديقي، الحركة الإسلامية، ١٩٨٢-١٩٨٣، الصفحات ٣٠٥-

٣٠٦ في ما يتصل بتوافقات الشيعة مع الممارسات السنّة. كالم

صديقي، محرر سلسلة شؤون الحركة الإسلامية، هو أحد المسلمين السنّة الذي أرخ للحركة الإسلامية في العالم.

٦١. مقتبس في تامادونفار، المجتمع الإسلامي، ص ٥٣.

٦٢. رمضان، "الافتتاحية" الصفحات ١٦٦-١٦٧.

٦٣. كيهان الدولية، ١٨ شباط، ١٩٨٩، ص ٨.

٦٤. حجة الاسلام عباس علي زانجاني في مقابلة منشورة في كرسنت انترناشنال (الهلال الدولي)، ١-١٥ تموز، ١٩٨٩، ص ٥. المرجع الحي الآخر هو آية الله الخوئي في العراق الى جانب آية الله غولبغاني ومرعش نجفي. لم يُبد أي أحد من رجال الدين هؤلاء أي ميل أو مساندة لتفسيرات الخميني السياسية.

٦٥. قارن، بخاش، "الارض والقانون والعدالة الاجتماعية"، الصفحات ١٨٦-٢٠١.

٦٦. أشار عباس ميراخور، وهو خبير مسلم معاصر في الاقتصاد الاسلامي، إلى آية الله الصدر في معرض حديثه عن أهمية الاكتفاء الذاتي الاقتصادي. قارن ميراخور، "التبعية الاقتصادية بوصفها انكاراً للإسلام" الصفحات ١٥٨-١٥٩.

٦٧. حائري، "فتح الابواب" ص ١٢.

٦٨. شاهاغالديان، المؤسسة الدينية، ص ٩٤.

٦٩. كيهان الدولية، ٦ شباط، ١٩٨٨، ص ٩.

٧٠. افشار، "الحكم الديني في ايران"، ص ٢٣٩. قد يعود السبب في التحيز

الواضح في القائمة الى عدم وجود نساء في المجموعة التي وضعتها.

٧١. رمضاني، "السياسة الخارجية الايرانية"، ص ٥٥.

٧٢. اخاوي، "ايران: اقامة الدولة الاسلامية"، ص ٤١.

٧٣. الخميني، الاسلام والثورة، ص ٩١.

٧٤. قارن مع كوتام، "الخميني، المستقبل والخيارات الامريكية".

٧٥. الصدر، النظام السياسي الاسلامي، ص ١١٢.

٧٦. المصدر نفسه، ص ٧٣.

٧٧. المصدر نفسه، ص ٣٠.

٧٨. يبدو واضحاً أن هذه المشكلة ليست فريدة في الحكومة الإسلامية، إذ تعرضت حتى الحكومات الديمقراطية العلمانية للضغط من قبل الأشخاص الذين يعتقدون أن على الحكومة منع الممارسات غير الأخلاقية وفقاً لتصوراتهم الخاصة عنها.

٧٩. هغلاند، "صورتان للحسين"، ص ٢٠٥.

- ٨ -

ما الذي ستقبله الحركة الإسلامية العراقية؟

بلغة الايديولوجية والممارسة السياسية الشيعية، يُعد التخلي عن موقف المسالمة والمهادنة الشيعي التقليدي لصالح الانخراط في النشاط السياسي من ابرز الجوانب وأهمها في المبادرة الاسلامية . وفي سبيل ذلك، عمل المراجع الدينيون الشيعة على إعادة تفسير الوظائف والالتزامات الدينية باتجاه توكيد أهمية النشاط السياسي وتعزيزه، وهذا الموقف الجديد شجع اتباعهم من رجال الدين على تعبئة افراد المجتمع الشيعي سياسياً؛ وهذه التعبئة لشريحة اجتماعية واسعة ومتضررة تقليدياً قد ساهمت في زعزعة التوزيع القائم للامتيازات السياسية في العراق ولبنان وقد تهدد توزيع السلطة في البحرين ودول الخليج العربي الاخرى.

وتشتمل الايديولوجية التي تشكل مصدر الهام للحركة الاسلامية على حزمة شاملة ومعقولة من المعتقدات والافكار على شرط الاقرار بالمبدأ الاساسي القائل ان الله عزّ وجلّ قد ارسل النبي بقوانين وشرائع سماوية لهداية بني البشر وتوجيههم، ومن بين هذه القوانين تلك المعنية بتنظيم الحياة الاجتماعية على الارض. وتأسيساً على هذا المبدأ الاساسي، فإن القيام بما هو ضروري لاقامة حكومة تنفذ القوانين الدينية هو مطلب عقلاني؛ والشرط الوحيد لذلك هو الايمان الواعي بقيمة الاستجابة للارادة الالهية وأهميتها. ان النظرية السياسية للحركة الاسلامية تتحدد بهذه المبادئ الجوهرية ؛ وليس هناك حاجة الى الخوض في تفاصيل وتفسيرات معقدة.

جدير بالملاحظة ان الحكومة الاسلامية التي اقترحها الصدر تتيح لافراد الشعب مقداراً اكبر من الحكم الذاتي مما يسمح به نظام ولاية الفقيه الذي اقترحه الخميني. وفي ضوء التفسيرات والاشكال المتباينة للحكومة الاسلامية المقترح اقامتها، يبدو ضرورياً التساؤل عن شكل وطبيعة الحكومة الاسلامية التي يود الاسلاميون في العراق اقامتها. والجواب عن هذا التساؤل هو ان جميع الاسلاميين باستثناء قيادة المجلس الاعلى ترغب بالنأي بانفسها عن ايران ويتيح حزب الدعوة، من جانبه، لاعضائه فرصة الاختيار بين دعم نظام ولاية الفقيه او رفضه، وهو موقف تبنته قيادة الحزب بعد انتقالها للقامة في ايران. وعلى الرغم من استياء الخميني، استمر اعضاء حزب الدعوة البارزين، وعلى رأسهم مرتضى العسكري، في موقفهم الرافض لولاية الفقيه^(١). وفي ما يخص منظمة العمل الاسلامي، فقد اعلنت مساندتها للخط المعتدل والتزامها بقاعدة التمثيل الحقيقي ضمن حدود التعاليم الاسلامية.

وقد اعلنت قيادة المجلس الاعلى قبولها نظام ولاية الفقيه، ويُعد قبولها هذا شرطاً اساساً لمصادقة الامام الخميني ولوجودها كمنظمة. ويتوقع المؤيدون لولاية الفقيه في العراق اقامة حكومة عراقية مماثلة في بنائها وطبيعتها لتلك الموجودة في الجمهورية الاسلامية في ايران. وسيكون لهذه الحكومة مجلسان : تنفيذي ودستوري، وسيحكم البلدين فقيه واحد يمثل الاسلام، وتخضع القرارات والممارسات الحكومية لمراجعته واشرافه . ومن بين المؤيدين العراقيين لولاية الفقيه، ثمة من يفضل تشكيل هيئة تشريعية عراقية خاصة يمكنها النهوض بدور اكبر ولها صلاحيات اوسع من الهيئة التشريعية في الجمهورية الاسلامية في ايران^(٢).

وفي حقيقة الامر ، لا أحد يعرف على وجه الدقة هل كان الصدر ليدعم عملية تبلور الحكومة الايرانية؛ بيد ان احترامه الشديد للمراتب الدينية يدفع الى الاعتقاد باحتمالات ميله إلى تجنب المعارضة. وتساوفاً مع هذا الاعتقاد، أعلن العديد من مقلدي الصدر ترحيبهم برؤية الامام الخميني للحكومة الاسلامية وعبروا عن ذلك عن طريق تطوعهم في المجهود الحربي الايراني. وجدير بالملاحظة تفضيل المئات من أسرى الحرب العراقيين اللجوء الى ايران في نهاية الحرب العراقية - الايرانية^(٣).

وفي كلتا الرؤيتين للحكومة الاسلامية، يُخضع الحاكمون أنفسهم لحكم قانون اعلى يتولى تفسيره عدد من الفقهاء المتبحرين في العلوم الدينية. ويسود الاعتقاد ان لا واحدة من هاتين الرؤيتين ستمثل حكم الاغلبية نظراً لعجز البشر عن تغيير القوانين الاساسية. وبالطبع، يمكن للتفسيرات الدينية التجاوب مع المصالح والمتغيرات المجتمعية سيما في الحكومة التي اقترحها آية الله الصدر التي تتيح للمواطنين مقداراً أكبر من المشاركة في الحكم. وبصرف النظر عما يفضلها الاسلاميون، فإن حركات المعارضة السياسية تعمل في عالم الممكن . ويبدو منطقياً القول ان ما هو ممكن في العراق، قد لا يكون ممكناً في ايران. وفي واقع الامر، لم تكن الطبيعة الشخصية أو الصدفة التي قادت الامام الخميني إلى تبني نظام الحكم الديني والصدر إلى تبني نظام انتخابي يتحدد فيه دور العلماء باداء الوظائف الفقهية فحسب. وبخلاف الصدر الذي سعى الى حل مشكلة الحكومات غير الشرعية في بلد منقسم دينياً، كان الخميني، عندما اقترح نظام ولاية الفقيه، زعيماً للمعارضة السياسية في بلد غالبية سكانه من الشيعة. والملفت للانتباه

في هذا السياق، ترحيب الاسلاميين العراقيين بولاية الفقيه بعد وفاة آية الله الصدر ونفيهم الى ايران.

وتُعد البراغمية أحد أهم خصائص علماء الدين الشيعة، فبينما أظهر هؤلاء العلماء استعدادهم للموت في سبيل حكومة تحوز الحد الأدنى من متطلبات المشروعية الاسلامية، فإنهم لم يكونوا لينجحوا في البقاء كأقلية عربية ضمن الطائفة الشيعية، وكأقلية شيعية ضمن العالم العربي الاكبر في حال تبنيهم مواقف متشددة، ونظراً لتشكيل الشيعة ٥٦% تقريباً من السكان والسنة ٤٠%؛ فإن الاخوة الاسلامية تُعدّ ضرورة سياسية في حال اراد الاسلاميون في العراق التصدي للدعوات العلمانية واقامة حكومة تستند الى القانون الاسلامي وهذه الحقيقة لوحدها لعبت دوراً محورياً في مسار الحركة الاسلامية في العراق. ففي رسالته الاخيرة الى الشعب العراقي، برأ آية الله الصدر السنة من مسؤولية الاعمال التي تقوم بها الحكومة البعثية: "ان الحكم الفعلي في العراق ليس حكماً سنّياً على الرغم من ادعاء الطغمة الحاكمة الانتماء إلى المذهب السنّي. ان الحكم السنّي لا يعني حكم شخصي ينحدر من أبوين سنيين... ان الحكام الطغاة في العراق اليوم... ينتهكون الاسلام ويسيثون إلى علي وعمر معاً في كل يوم وفي كل خطوة يقومون بها"^(٤).

وفي غالبية البلدان الاسلامية، لا يمثل التوافق بين السنة والشيعة مسألة سياسية مقلقة. بيد ان الامر يختلف في العراق، فليس ثمة إمكانية كبيرة لاستدماج البلاد استناداً الى الاسلام ما لم تعمل الطائفتان السنّية والشيعية على تنسيق برامجها وجهودهما. وبناءً على ذلك، فان تأسيس نظام ولاية الفقيه في ايران أو حتى ولاية فقيه شيعي في العراق سيكون صعباً ان لم يكن مستحيلاً في بلد مختلط دينياً. وقد تبدو مقترحات آية الله الصدر التي

تحاول اضافة المشروعية على الحكومة وتنتقل بالبلاد الى نظام الحكم الذاتي مناسبة لاحتياجات العراق. ويسود الاعتقاد ان السُّنة الذين شاركوا في الحركة الاسلامية العراقية ميالون إلى الاعتقاد بإمكانية اقامة نظام يقبله الطرفان ، السُّني والشيوعي، وقد تصرفت الحكومة البعثية كما لو ان التعاون السُّني - الشيوعي يشكل مصدر تهديد فعلي للحكومة. ومما يثير الانتباه حقاً أن اول رجل دين قتلته الحكومة البعثية هو الشيخ البدري، وهو احد الاسلاميين السُّنة الذي تعاون مع الاصلاحيين الشيعة. ومنذ ذلك الوقت، أنضم العديد من رجال الدين السُّنة الى زملائهم الشيعة، في قوافل الذين اعدمتهم حكومة البعث بسبب نشاطاتهم السياسية الاسلامية.

ويسعى الاسلاميون العراقيون الى ايجاد "شراكة بين الشيعة والسُّنة وحقيقة احتياجهم الى هذه الشراكة لا تجعل التحالف بين افراد هاتين الطائفتين أمراً حتمياً، بيد أنه ثمة مجال كبير للتعاون فيما بينهما. وفي الفصلين الثاني والثالث من الكتاب، تحدثنا عن التحالفات السياسية التي عُقدت بين رجال الدين العراقيين السُّنة والشيعة في ١٩١٩ و ١٩٦٠. وتُعد عضوية المجموعات السُّنية في المجلس الاعلى مثلاً جيداً على ميل الاسلاميين الشيعة الى اجتذاب المؤمنين الآخرين. وتاريخياً، شاعت اخبار التعاون بين المنشقين السُّنة والشيعة في تنفيذ العديد من العمليات العسكرية ضد الحكومة العراقية كتفجير محطات التلفزة ومقرات القوة الجوية التي تسيطر عليها الحكومة في بغداد في ربيع ١٩٨٣. وفي ١٩٨٥، وردت انباء عن اتصالات بين حزب الدعوة وبعض رجال الدين السُّنة في الموصل^(٥). وجدير بالملاحظة حديث قصي فهمي، قائد منظمة الاخوان المسلمين في العراق، وهو سُّني حتماً، عن الثورة الايرانية بوصفها ثورة مسلمة، لا

شيعية ، ودعوته المسلمين في العراق الى مقاومة محاولات تقسيمهم على أسس طائفية^(٦). فضلاً عن رجال الدين السنة العرب، تعاون رجال الدين الاكراد السنة، الاعضاء في حركة العلماء ، فرع كردستان العراق، مع ايران الشيعية في حربها ضد الحكومة العراقية ودعوا الى وحدة الصف بين المسلمين^(٧). ويبدو واضحاً استجابة بعض السنة العراقيين، وان حدث ذلك بدرجات متفاوتة، للجهود الشيعية الساعية الى تعزيز الاخوة الاسلامية.

وعلى فرض شيوع روح التعاون بين المسلمين العراقيين الملتزمين، هل بمقدور الاسلاميين احراز النجاح في انتخابات حرة؟ فلطالما كرر الاسلاميون مطالبتهم باجراء انتخابات حرة^(٨) ولطالما اكدوا أنهم سيفوزون بها. وبالطبع ، لا يعني تأكيدهم هذا حتمية فوزهم في الانتخابات، وفي الوقت نفسه، ليس هناك دليل مقنع على احتمالات فشلهم في ذلك. وان الافتراض، وهذا ما فعله بعض المنظرين، ان المعارضة الاسلامية لنظام صدام كان يمكن لها ان تنتصر خلال الحرب العراقية - الايرانية لو كانت حصلت على الدعم الداخلي اللازم يعني اغفال حقيقة قوة الاجهزة القمعية الحكومية، وسيطرة الحكومة المطلقة على القطاع الاقتصادي والتمسك بالوحدة الوطنية في اثناء الحرب، وان اخفاق الشعب في التمرد قد لا يعني دعمه للحكومة وإنما وسيلة عقلانية للحفاظ على الذات.

وبداهة، تواجه الحركة الاسلامية في العراق مجموعة من المعوقات، وأحدى هذه المعوقات التي تعترض سبيل التحالف السني - الشيعي متأصلة في الاصولية ذاتها ؛ فالاصوليون ، بطبيعتهم، يخشون البدع والخروج عن الاجماع وهم عادة ما يكونون مترددين دينياً؛ ولذا قد يميل بعض الاصوليين السنة الى عدم المخاطرة عن طريق التحالف مع الشيعة. وفي الماضي،

تمكن بعض المسلمين العراقيين من مقاومة هذا النوع من التردد؛ وقد ساهمت طبيعة الحكومة الإسلامية التي اقترحها الصدر والتي تتيح مقدار أكبر من المشاركة في اجتذاب المؤيدين من كلا الطائفتين. فضلاً عن ذلك، يُمكن للطائفتين الشيعية والسنية، كل على حدة، تشكيل مجلسها الخاص المؤلف من رجال الدين رفيعي المستوى للبت في القوانين او بمقدور رجال الدين سنة وشيعة، الجلوس معاً في مجلس أعلى واحد، وعلى نحو يماثل ما موجود في لبنان حيث المجلس الشيعي الاعلى ومفتي الديار السني (السلطة الدينية الاعلى).

وتُعد القومية احدى المعوقات الاخرى التي اعترضت سبيل الحركة الإسلامية، فلا العلمانيين العرب ولا الاكراد مستعدين للقبول بحكومة مماثلة لولاية الفقيه. وبينما بمقدور الاسلاميين العراقيين الافادة من النفور العام من القومية العربية، مازالت الاخيرة تحتفظ بتأثيرها العميق في القيادة الكردية. وإلى جانب ذلك، قد تشكل المشاعر المناهضة للعرب، التي ساعدت الفطائع التي ارتكبها صدام بحق الاكراد على تنميتها بين صفوفهم، عائقاً آخر امام أي تعاون مستقبلي بين السكان العرب والاكراد . وقد يُصيب الاسلاميون وقد يخطئون في اعتقادهم بإمكانية تغلبهم على عائق القومية أو تصورهم ميل حتى المسلمين غير الملتزمين الى قبول رؤية آية الله الصدر للمؤسسات التمثيلية التي يتحدد عملها بالقانون الاسلامي.

ويُعد الاجانب العائق الاكثر لفتاً للانتباه في ادبيات الحركة الإسلامية المكتظة بدعوات المطالبة بالحكم الذاتي الذي يقصد به الاسلاميون القضاء على "الوكلاء" والتأثيرات السياسية الاجنبية في العراق. وعملياً، اعتاد الاسلاميون النظر الى المرحلة السياسية الدولية الحالية من منظور شمال -

جنوب حيث يسود الاعتقاد بسيطرة اما الغرب أو الاتحاد السوفيتي على دول العالم الثالث عبر الوسائل الاقتصادية والسياسية والفكرية^(٩). ويميل العراقيون الى الاعتقاد، في ضوء تجاربهم السابقة، الى النظر الى الغرب بوصفه مُحرك دمی له القدرة على تحريك حكومات العالم الثالث وفقاً لتوجهاته وللتدليل على رأيهم هذا، يستشهد العراقيون بما حدث في الجارة ايران حيث أُطيح بحكومة منتخبة في ١٩٥٣ بمساعدة الولايات المتحدة وبريطانيا ، فضلاً عن تجاربهم مع السيطرة التي كانت تمارسها بريطانيا من خلف الستار بين عامي ١٩٣٢-١٩٥٨. وزيادة على ذلك ، أُستبدت حكومة البعث في بقائها في السلطة خلال الحرب العراقية - الايرانية على نحو رئيس على المساعدات الخارجية. وحتى اندلاع حرب الخليج الثانية التي شنها التحالف الغربي على العراق في ١٩٩١، كان الاسلاميون يعتقدون ان صدام حسين يدين بالفضل في بقاءه في السلطة للولايات المتحدة^(١٠). وقبل وقت قصير من اندلاع الحرب العراقية - الايرانية في ١٩٨٠؛ تحدث الخميني عن صدام بوصفه "خادم امريكا المتواضع"^(١١) وعبر محمد باقر الحكيم عن وجهة نظر مماثلة، ففي مقابلة معه في ١٩٨٢، قال الحكيم ان الصراع القائم هو صراع بين الاسلام والامبريالية التي يُعد صدام ممثلاً لها. وفقاً لهذا التحليل، ساند الغرب والاتحاد السوفيتي صدام حسين في حربه ضد ايران لأنهم يعتقدون ان تشكيل حكومة اسلامية مستقلة في طهران تشكل تهديداً لسيطرة الدول العظمى على دول العالم الثالث.

من الواضح وجود بعض الاخطاء في هذا التحليل السياسي، إذ لم يتمكن الغرب ولا الاتحاد السوفيتي من تحريك الحكومات الزبونة لديهم، والتحكم بها على نحوٍ مماثل لتحكم محرك الدمى بخيوط دميته. واذا عمل صدام في

يوم ما بوصفه "الخادم المتواضع لأمريكا" يبدو واضحاً انه قد فقد ، بحلول عام ١٩٩٠، كلاً من تواضعه وخضوعه.

وعلى الرغم من احتمال اخفاق الاسلاميين في تقييم الوضع على نحو دقيق، ليس ثمة شك في صدق اعتقادهم ان العراقيين لا يتحكمون بمقدرات بلادهم وان النزوات الدكتاتورية ومصالح القوى العظمى تؤثران في سياسات الحكومة العراقية على نحو اكبر من الرأي العام المحلي. ويعتقد الناشطون الاسلاميون ان نضالهم يتخذ طابعاً دفاعياً من حيث تمثيله جهداً لانقاذ العراق والاسلام من الاستغلال الاجنبي ومن المزيد من التدهور.

المصالح التي تجتذب الحكومة الاسلامية: تتألف المجموعات المتوقعة استفادتها من الحكومة الاسلامية من الطبقة الدينية الشيعية، وكذلك، الطبقة الدينية السنية. وفي ايران، ساهمت الحكومة الاسلامية في تحويل طبقة رجال الدين من مجموعة اجتماعية متضررة الى مجموعة قوية سياسياً. وفي ظل ولاية الفقيه، خص علماء الدين أنفسهم، وعلى نحو جماعي، بالامتيازات السياسية للامام الغائب. وعلى الرغم من كونه امراً جديداً في سياق التراث الاسلامي، فإن الحيازة الدينية للسلطة السياسية ساهمت في حل مشكلة كيفية اقامة نظام اجتماعي اسلامي، وباسلوب يسهم على نحو آني في معالجة محرومية رجال الدين. وحتى في النظام الذي اقترحه آية الله الصدر، يلاحظ تمتع علماء الدين بمكانة مرموقة وبسلطات حقيقية.

وعلى نحو عام، فللمسلمين العراقيين الملتزمين مصلحة في استدماج العراق بوصفه مجتمعاً من المؤمنين غير العرقيين وغير الطائفيين. وهؤلاء المؤمنون سيحظون باحترام كبير في الجمهورية الاسلامية المزمع اقامتها نظراً لورعهم وتدينهم . ولن يتم اقصاؤهم من السلطتين السياسية

والاقتصادية لأنهم ليسوا بعثيين ولا عرباً ولا سُنّة. عندئذ ، سيكون من السهل اداء الشعائر والتعاليم الدينية ، وان القدوة الاخلاقية والمعرفة بالاسلام سيُثمنان اجتماعياً. ويتوقع المسلمون الذين يعتقدون ان الله اوصى باقامة الحكومة الاسلامية، الحصول على التقدير الديني لمشاركتهم في دعم هذه الحكومة.

ويُرجح احتفاظ الذكور في الجمهورية الاسلامية بمواقعهم وامتيازاتهم مقارنةً بالاناث، والميل الى قمع السجلات الخاصة بقضايا المرأة كما حدث في الجمهورية الاسلامية في ايران. فضلاً عن ذلك، تتحدد سلطة مساعلة مصداقية الاحاديث التي تنكر حق تقرير المصير على النساء بعلماء الدين رفيعي المستوى حصراً، وقد ساهم اعدام آية الله الصدر وأخته بنت الهدى في تغييب أشد الاصوات تأثيراً ومساندة لحق المرأة في تحمل المسؤولية. ان المثال الذي قدمه الصدر وأخته والتزام الشيعة العرب باعادة تفسير الاحاديث التي تساهم في ترسيخ فكرة المكانة المتدنية للمرأة تصب بصالح منح النساء العراقيات المزيد من المسؤولية الذاتية وعلى نحو يخالف ما موجود في ايران. لقد سجلت النساء الشيعيات العربيات ولعقود طويلة حضوراً لافتاً للنظر في الحركة السياسية الاسلامية المعاصرة لا في العراق فحسب، بل في العديد من المناطق الاخرى. وفي لبنان، انتمت رباب الصدر، أخت الامام موسى الصدر الى عضوية المجلس السياسي لحركة أمل وعملت مديرة لمدرسة مهنية كبيرة في جنوب لبنان^(١٢).

ويُرجح ميل العديد من المنفيين الذين يأملون في العودة الى العراق فضلاً عن عراقيي الداخل الذين يرغبون بالانتقام من الاجهزة الامنية البعثية التي قتلت ابناءهم ووضع حد لحروب الحكومة العسكرية، مبدئياً في الاقل،

إلى الترحيب بأي بديل يحل محل الحكومة البعثية حتى وان لم يكونوا معجبين بفكرة اقامة الحكومة الاسلامية. وقد أسس البعث في العراق نظاماً سلطوياً استبداداً قل نظيره في العالم العربي. وكما ذكرت المنظمة العربية لحقوق الانسان في اجتماعها في كانون الثاني، ١٩٨٧، بخصوص ذلك:

"تتسم اوضاع حقوق الانسان في العراق بكونها فريدة من نوعها حيث الانتهاكات الصارخة والمتكررة للحقوق المدنية والسياسية حتى قبل اندلاع الحرب العراقية - الايرانية في ١٩٨٠: ان حقوق المواطنين غير موجودة تقريباً حتى لو كان الشخص عضواً في الحزب الحاكم ... فهذا الشخص غالباً ما يخضع، دونما سبب معقول، للتحقيق، والاحتجاز والاختفاء والمعاملة المجحفة والتعذيب . وفي احيان كثيرة ، تتضمن هذه الانتهاكات الحرمان من الحياة ذاتها دونما سبب ولا اتهام علني ولا محاكمة او جلسة استماع^(١٢).

العوامل المرفوضة بوصفها محددات: يبدو ضرورياً رفض العديد من العوامل التي تُقدم احياناً بوصفها عوامل سببية، واحدى هذه العوامل هي الطائفية، فعلى الرغم من تشكيل الشيعة لغالبية سكانية في العراق وتشكل الحكومة، تاريخياً، من السُّنة الحزبيين المتحالفين مع الاجانب الاتراك في بادىء الامر ومن ثم البريطانيين، ينظر الاسلاميون الشيعة الى نضالهم بوصفه نضالاً اسلامياً ضد نظام سياسي كافر، وليس نضال الشيعة ضد السُّنة . وفي اثناء قراءتي لمئات الكتب والدراسات حول الحركة الاسلامية قبل شروعي بكتابة هذه الدراسة، لم اعثر حتى على كلمة واحدة تحط من قدر الطائفة السنية. على الضد من ذلك، عادة ما جرى الحديث عن ابناء الطائفة السُّنية بوصفهم حلفاء او حلفاء محتملين ضد الحكومة الكافرة. ووفقاً

للحركة الإسلامية، لم يُدان النظام البعثي لكونه سُنيّاً، وإنما للفظائع التي ارتكبتها، وحسبما قال السيد هادي المدرسي، زعيم منظمة العمل الإسلامية: "القضية في العراق بين الشعب والنظام الفاسد، وواجب العراقيين تتلخص في مواصلة النضال حتى تحقيق اهدافهم الدينية"^(١٤). في القرن الثامن، تمّ التخلي عن فكرة قتال الشيعة للسُنّة بهدف تفعيل النسخة الشيعية من الحكومة الإسلامية، وقد استمر رجال الدين الشيعة في موقفهم الرفض لاراقة دماء المسلمين.

ان تقسيم العراقيين الى شيعة واكراد محرومين ومهمشين وعرب سُنة مُفضلين وذوي امتيازات كان سابقاً على تأسيس الحركة الإسلامية؛ وقد ساهم ذلك في تعقيد جهود الحركة لتنظيم العراقيين وتوحيدهم. وبغية الحفاظ على سلطتها وامتيازاتها، سعت الحكومة البعثية الى استغلال التقسيم الطائفي في العراق^(١٥)، فبينما عملت على انتقاء الضباط العسكريين وغيرهم من المثلث العربي السُني في شمال وسط العراق، قامت بطرد الشيعة والاكراد واعداد البعض منهم الى جانب استقدام السُنّة العرب غير العراقيين. وفي ظل انتماء النخب السياسية والاقتصادية على نحو رئيس الى الاقلية السُنية العربية، يتم حماية نظام الهيمنة القائم وادامته عن طريق تحالف المصالح الوثيق بين الحكومة ومجتمع العرب السُنّة على الرغم من استياء العديد منهم من سياسات حزب البعث واختيار البعض منهم الاقامة في المنفى حفاظاً على ارواحهم. ويشكل العراقيون الذين لا ينتمون الى المجموعات غير العربية التي تمثل كبش الفداء ولا الى المجموعة البعثية صاحبة الامتيازات الاغلبية في العراق. وبوصفهم شيعة عرب، فقد حرّموا من تحقيق مصالحهم واهدافهم من خلال الاجراءات التعسفية التي أُتخذت بحق المتظاهرين أو

احتمالات اتهامهم بشبهة "التبعية الايرانية" وبالتالي تعرضهم للطرْد والترحيل. وقد ساهم الاعتماد على التوظيف الحكومي في عدول العراقيين من مختلف المجموعات الدينية والاثنية عن قرار الانضمام الى المعارضة السياسية للنظام البعثي.

وينبغي كذلك رفض الادعاءات القائلة ان ايران هي السبب في تبلور المعارضة الاسلامية في العراق. وفي الواقع، يعود تاريخ نشوء الحركة الاسلامية العراقية الى فترة طويلة قبل اقامة الحكومة الاسلامية في ايران التي قد ترغب بتصدير الثورة. على الرغم من ذلك، يُرجح ان نجاح الثورة الاسلامية في ايران في ١٩٧٩ واحتمال الحصول على المساعدة العسكرية قد شجع الحركة الاسلامية في العراق على تبني استراتيجية المقاومة المسلحة ضد الحكومة في العام ذاته.

وفضلاً عن ذلك، ينبغي استثناء الروح الفردية التي قرنوها تالكوت بارسنز^(١٦) وآخرون بحركات الاحتجاج الاجتماعية عند دراسة الحركة الاسلامية بوصفها حركة اجتماعية. وعلى الرغم من تضائل السيطرة العائلية في العراق، فأنها، كظاهرة، لم تختفِ تماماً، إذ لا يتخيل أحد وجود الافراد مبتوري الجذور في العراق، وحتى الهجرة من الريف الى المدينة تمت في حياة مجموعات عائلية لا افراد^(١٧). وفي المدينة، مال المهاجرون الى الانضمام الى المهاجرين الذين سبقوهم من قراهم او الذين ينتمون الى ذات الاصول القبلية، ليشكل وجودهم في المدن استتساخاً لنمط المجتمع الريفي الشائع. ومع احتفاظ الروابط العائلية بقوتها في العراق، تنقلص احتمالات تنامي الروح الفردية. وفي واقع الامر، كانت عضوية الحركة الاسلامية في العراق تتم اساساً في اوساط المجموعات العائلية.

وعلى هذه الشاكلة، لا تُعدّ الأصولية الإسلامية عاملاً مُسبباً على الرغم من أن الإسلام بوصفه نظام قيمي قد ترك تأثيره الكبير في اختيار الأهداف ومسار الفعل الذي سلكته المجموعات الإسلامية. وفي ضوء قيم العدالة الاجتماعية وأخوية المؤمنين التي ينادي بها الدين الإسلامي، يُعدّ هذا الدين أيديولوجية احتجاج مناسبة ضد الحكم الاستبدادي والمحسوبية الاجتماعية/الاقتصادية، بيد أن الأيديولوجية، وهذا واضح تماماً، قد وجدت قبل فترة طويلة من توظيف رجال الدين لها في تنظيم حركة المعارضة السياسية. إن السبب في الجهد الواعي الذي بذله المسلمون للسيطرة على الحكم في العراق يعود إلى التغييرات المجتمعية والاختافات الحكومية لا إلى الأيديولوجية التي مثلت الوسيلة لتنظيم الحركة الإسلامية والمرشد المعياري لمسيرتها.

مستقبل الحركة الإسلامية في العراق: إن الحركة التي لم تتسلم ابداً مقاليد الحكم لا يتوقع لها النجاح في تطوير برامج سياسية واقتصادية واجتماعية متكاملة. ورغم ذلك، ينبغي على النخب البديلة المحتملة تقديم برامج ذات طبيعة عامة. والرؤى التي تقدمها هذه النخب تُعدّ دليلاً لا على مقاصدها فحسب، وإنما على طبيعة التنظيم الذي يسانده اتباعها. وعلى الرغم من احتمالات تأثير القوى السياسية الفاعلة في الساحة في فترة إقامة نظام سياسي جديد في تشكيل مؤسسات بعينها، فإن وضع مخطط عام لتوجهاتها يُعدّ امراً ممكناً.

وفي الطيف السياسي من اليمين إلى اليسار، وفي ضوء تمثيل اليسار لتشتت السلطة السياسية واليمين لتمرّكزها، بالإمكان القول أنه حتى ولاية الفقيه التي نادى بها الخميني تقع إلى يسار الحكومة الحالية (وقت تأليف الكتاب) في العراق. إن توصيف آية الله الصدر لحكومته الإسلامية المقترحة

توحي بمقدار اكبر من تشتت السلطة السياسية مما عهده العراق حتى هذا الوقت. وفي رؤيته للحكومة الاسلامية، فان المبادئ الاسلامية والموقع المرموق لعلماء الدين في النظام الفقهي المقترح هما العاملان الوحيدان اللذان يعملان بمثابة كوابح على حكم الاغلبية.

وفي ما يخص الايديولوجية الاقتصادية، لا يمكن عد الحركة الاسلامية العراقية يمنية ولا يسارية، فالدفاع عن الملكية الخاصة كانت بمثابة القضية الاولى التي اتحد علماء الدين لرفضها في معارضة واضحة لعبدالكريم قاسم في اواخر خمسينيات القرن العشرين. وفي السنوات التالية، وبينما واصل علماء الدين الاستشهاد بالآيات القرآنية الدالة على حق الافراد بالملكية الخاصة وحيازة الثروة، فإنهم، بموازاة ذلك، شددوا على أهمية العدالة الاجتماعية وعلى ضرورة اداء الحكومات الاسلامية لواجبها الخاص بالحد من الفقر وتلبية احتياجات الشعب.

وفي نظام الحكم الاسلامي، قد يتغير عمل الاقتصاد الى حد ما بالنظر لاحتمالات تحول النظام المصرفي نحو الغاء الفائدة على رأس المال؛ بيد ان النظام المصرفي الذي وضعه آية الله الصدر، يسمح للمصارف العامة بجمع رؤوس الاموال واقراضها. ونظراً لتأميم الحكومة للمصارف التجارية في ١٩٦٤، لن تتطلب التغييرات المصرفية المقترحة أية مصادرة للممتلكات. وهذا يتيح لمالكي الموجودات الاقتصادية العراقيين الاحتفاظ بموجوداتهم مع الاستثناء المحتمل للمالكيين المرتبطين ارتباطاً وثيقاً بحكومة البعث.

ويتسم الموقف تجاه الديون التي حصل عليها نظام البعث في اثناء حربه مع ايران بالحساسية، إذ اعلن المجلس الاعلى في مناسبات عدة، احداها في اجتماعه في كانون الثاني ١٩٨٨، ان الحكومة الاسلامية في العراق غير

ملزمة بتسديد القروض الاجنبية الممنوحة الى النظام البعثي لاغراض عسكرية^(١٨). ورغم ذلك، تعهد القادة الاسلاميون بتحمل المسؤولية عن القروض التي منحت للعراق لاغراض التنمية الاقتصادية.

ولا شك في تقلص مساحة الحريات الاجتماعية في ظل الحكومات الاسلامية، وفي حالة تم النظر الى هذه الحريات في ضوء الطيف من اليمين لليسار، مع تمثيل اليسار للحرية الفردية واليمين للسيطرة المجتمعية، لا شك في ان الحكومة الاسلامية ستكون يمينية جداً على الرغم من احتجاجات بعض الاسلاميين الذين يعتقدون ان آليات الضبط الاجتماعي تمنح الافراد مقداراً اكبر من الحرية^(١٩). وفي ظل الحكومة الاسلامية، تسعى السلطة السياسية لتحقيق غايات معيارية من حيث وقوف الحكومة بسلطاتها وتأثيرها خلف القيم والممارسات الاسلامية. وبمقدور المرء تخيل حجم المشاركة السياسية في النظام وطبيعة التجربة التي خبرها الاسلاميون المتعلمون في الثقافات الاخرى والتي قد تدفعهم الى إعادة تفسير بعض الاحاديث والمقولات المتوارثة ذات الطبيعة القامعة والمعيقة. وعلى الرغم من ذلك، لن يكون بمقدور احد معرفة حدوث ذلك من عدمه على ارض الواقع إلا بعد اقامة الحكومة الاسلامية. وقد شهدت ايران إعادة تفسير بعض المتطلبات والمقولات من مثل الانتقال من ارتداء النساء للشادور إلى نوع من الحجاب أقل تقييداً.

وزيادة على ذلك، تحظى النساء والمسلمون المخالفون، مبدئياً، بخيارات أقل على الرغم من توفير التعاليم القرآنية مستوى من الحماية لكلتا المجموعتين لم تتمتع به أية مجموعة في ظل النظام البعثي. وسيكون ابناء الاقليات الدينية كما في أية دولة يستند نظامها الى الدين، مواطنين من

الدرجة الثانية، على الرغم من تمتعهم بالحماية اللازمة بموجب النصوص القرآنية . ويعتقد أن القوات الامنية البعثية تمثل المجموعة الوحيدة التي ستتجاوز خسارتها الحرية الاجتماعية. فنظراً لقتلهم المؤمنين، ينتمي افراد هذه القوات الى الفئات التي ادانها القرآن صراحة.

وفي حقيقة الامر، فإن التجربة العراقية مع الحكومة الحديثة غير واعدة، "الديمقراطية" في ظل الحكم البريطاني شهدت تزوير الانتخابات في العراق للثانيان بحكومات موالية للبريطانيين الى سدة الحكم. اما "الاشتراكية" في ظل نظام البعث فأفرزت نخبة اقتصادية "طفيلية"^(٢٠) وحكومة استبدادية بامتياز. ويعتقد العراقيون ان كلاً من الشيوعية والديمقراطية قد تعرضت للتشويه نتيجة ممارسات الدول الممثلة لهما، من مثل امدادهما صدام حسين بالاسلحة. ورحب العراقيون سيما اولئك الذين يعيشون او الذين عاشوا في الغرب^(٢١)، بالديمقراطية وساندوها بعد ان خبروها في دول المهجر، ولكن من الصعوبة بمكان تخيل أي سيناريو يتم فيه تطبيق الديمقراطية بالاسلوب الغربي في العراق.

وثمة سؤال مهم يتصل بالحكومة الاسلامية هو : ما الحد الأدنى الذي سيقبله الاسلاميون العراقيون؟ وحسبما ارى، فليس من المرجح قبولهم بأي نظام للحكم لا تخضع فيه القوانين او القوانين المقترحة للاشراف والمراجعة الدينيتين. وقد يتخلى علماء الدين وأتباعهم عن هدفهم المثالي بإقامة حكومة يتولى ادارتها الصالحين والمستقيمين، ولكنهم يشعرون بأنهم ملزمون، دينياً، بالتأكد من ان القوانين الحكومية لا تتعارض مع الاسلام. وانني اميل الى الاعتقاد انه في حالة السماح لهم بتحقيق الحد الأدنى من مطالبهم، فإن احتمالات توافق الاسلاميين العراقيين مع العلمانيين للوصول الى الحد الامثل

من الالتزام بالقانون الاسلامي في النظام الجديد ستتعزيز حتماً. ان القادة الدينيين للحركة الاسلامية العراقية ليسوا رجال حرب؛ وليس هناك ما يدل على سعيهم للحصول على سلطات شخصية، بل ان ميلهم الى الحل السياسي، في حال منحوا الفرصة للقيام بذلك يبدو امراً مؤكداً.

وقد جرت العادة على النظر الى الحركة الاسلامية العراقية بوصفها جزءاً من الحركات العالمية الساعية لتعزيز الاسلام التي شاعت بين الشعوب المسلمة في الاقل منذ نهاية الحرب العالمية الثانية. وقد شكل الاصوليون السنة في مصر مصدر الهام لعلماء الدين الناشطين الذين آمنوا بالحاجة الملحة الى الدفاع عن الاسلام. وقد تمت عملية التحرك نحو الاسلام في العراق من خلال التعبئة السياسية للشيعية الذين يشكلون غالبية سكانية. وقد قدم الشيعة تنازلات للاعتقادات السنية بهدف تعزيز التعاون بين ابناء الطائفتين. ويُعد الالتزام بالاخوة الاسلامية والتعاون مع السنة الملتزمين دينياً من المظاهر الجوهرية في الحركة الشيعية العراقية، وعلى نحو عام، تجتذب الحركة المسلمين الملتزمين والشيعة الاقل التزاماً الذين يطمحون للاستفادة من توزيع اكثر عدالة للسلطة السياسية في البلاد.

ولا يسعى الشيعة الى تقسيم العراق ولن يفعلوا ذلك، وعلى الرغم من تشكيل الشيعة العرب أقلية في العالم العربي، فإنهم يشكلون الاغلبية في العراق حيث بمقدورهم ان يطمحوا بنفوذ وتأثير اكبر لا يمكنهم تحقيقه في أمة عربية موحدة او في "دولة شيعية" موحدة حيث يشكل الايرانيون الاغلبية. وقد ارتكب بعض المراقبين الخارجيين اخطاءً كبيرة في حكمهم على المصالح السياسية لشيعة العراق اساساً لقلة معلوماتهم عنهم. وتبدو فكرة ان العراق بحاجة الى دكتاتور قوي قادر على المحافظة على تماسكه

متناقضة الى حد كبير مع الواقع السياسي للشيعية. وتعد الهيمنة العسكرية السنية العربية على (٨٠%) من العراقيين غير السنة صيغة مناسبة لحلقة متواصلة ومريضة من القمع والمقاومة، والافتراض ان الشيعة سيعودون الى تبني موقف المسالمة والعزوف السابق عن السياسة لا يبدو معقولاً في القرن العشرين، وفي ضوء زيادة السكان المهتمين بالشأن السياسي في العراق، فان الجهود المبذولة لمنع مشاركتهم لن يكتب لها النجاح في المدى الطويل، هذا إن كتب لها النجاح اصلاً.

ولم يقدم الشيعة كل هذه التضحيات لمجرد المشاركة السياسية، فكل مجموعة اجتماعية في الحركة اهدافاً محددة ، لا تتعامل سوى واحدة منها مع العالم الآخر، ويشعر علماء الدين بالتزام اخلاقي عميق نحو اقامة نظام حكم يلبي المتطلبات الاسلامية، ساعين في الوقت نفسه الى تعزيز مكانتهم واوضاعهم. وتتصرف الطبقة الشابة المثقفة (الانتلجنسيا) على نحو يوافق نظام معتقداتهم يحدوهم الطموح للاستفادة اجتماعياً واقتصادياً من نظام تلعب فيه الجدارة والكفاءة دوراً اكبر. وفي ما يتصل بفقراء المدن، يلاحظ ميلهم الى طاعة قياداتهم الدينية التقليدية وسعيهم لادراج مطلب العدالة الاجتماعية في البرامج السياسية في العراق. وكما اقترن الاعتقاد بفساد الحكومة وافتقارها للالتزام الديني ومشاعر السخط الاقتصادي بمشايعة الامام علي (عليه السلام) في العصر الاموي، اقترنت مشاعر الاستياء الاخلاقي والتذمر الاقتصادي بدعم الحكومة الاسلامية في العراق.

الهوامش

١. فرهاد ابراهيم، "الشيعية العراقيون"، ص ١٣.
٢. ٨ آب، ١٩٨٦، مقابلة في لندن مع الدكتور ابو علي، الناطق بأسم حزب الدعوة، والاخ علي، احد اعضاء الحزب.
٣. بلغ العدد الكلي لاسرى الحرب العراقيين الذين مُنحوا حق اللجوء السياسي في ايران في ١٦ كانون الاول، ١٩٨٨، (٤٨٢) أسيراً، وفقاً لما ذكرته جريدة كيهان الدولية، ١٩ كانون الاول، ١٩٨٨، ص ٨.
٤. الصدر، "رسالة القائد" يحظى عمر، الخليفة الثاني في الاسلام بمكانة مرموقة لدى السُنّة، في حين يُعد الامام علي الخليفة الرابع، الاكثر مهابة وتبجيلاً لدى الشيعة. وجرّت العادة، تاريخياً، وهذا ما تبيّنه رسالة آية الله الصدر، على عدّهما رمزين مُجسدين للطائفتين السُنّية والشيعة.
٥. رايلي، "رسالة من اثاغير"، ص ٢٠.
٦. الهلال الدولي، ١-١٥ كانون الثاني، ١٩٨٨، ص ٣.
٧. كيهان الدولية، ٣٠ آيار، ١٩٨٧، ص ٢.
٨. وردت انباء عن أحد هذه المطالب باجراء الانتخابات في مجلة العربية، نيسان ١٩٨٥، ص ٢٦.
٩. ثمة عدة ايضاحات لوجهة النظر هذه منها هاشم "الوضع السياسي العالمي"، وحوليات الدعوة، حزيران ١٩٨٤، ص ٣.
١٠. القى قرار تأميم النفط في ١٩٧٢ بظلالٍ من الشك على وجهة النظر القائلة ان صدام حسين هو رجل المخابرات المركزية الامريكية، إلا أن وجهة النظر هذه تعززت ثانية بعد الهجوم العراقي على ايران في ١٩٨٠ والمساعدات الامريكية اللاحقة لحكومة البعث.

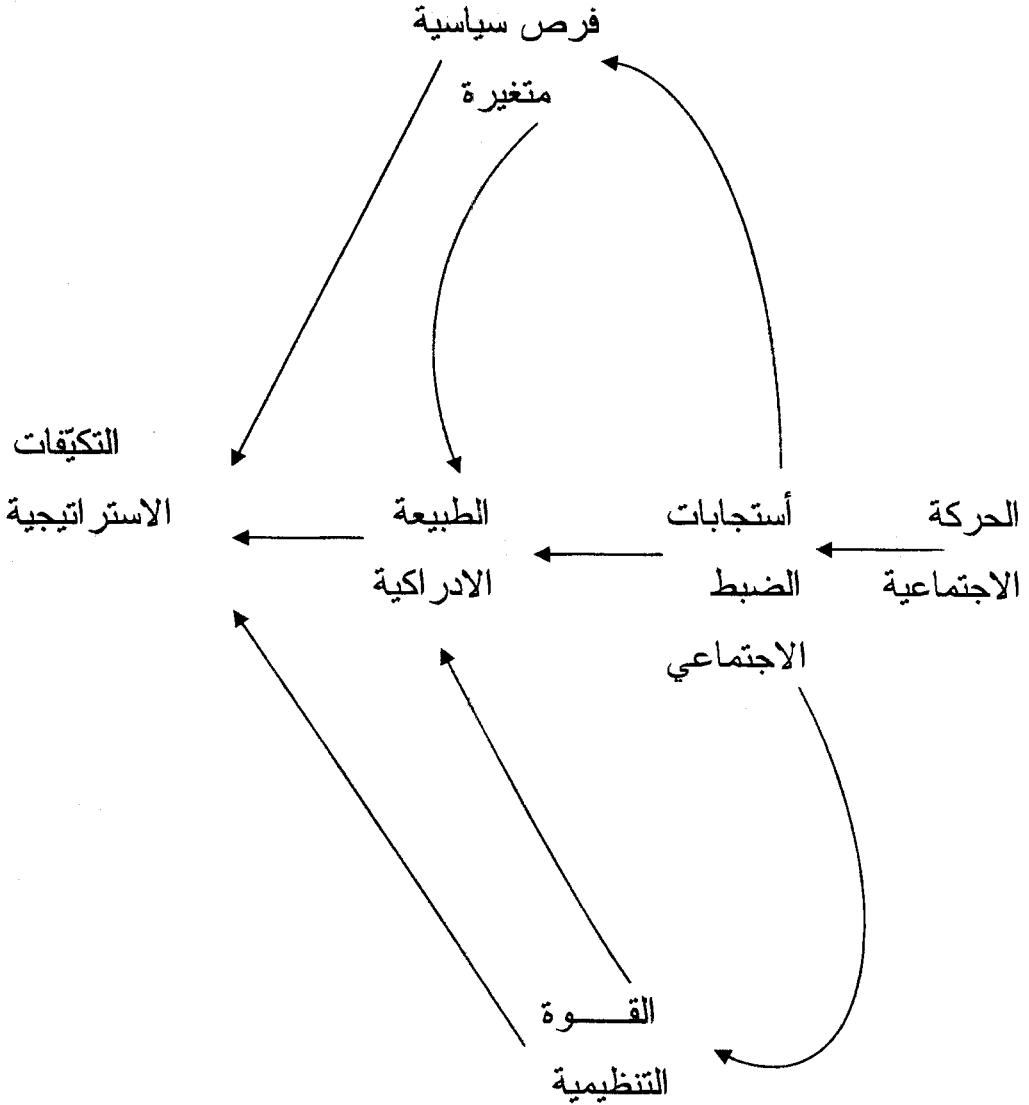
١١. الخميني، الاسلام والثورة، الصفحات ٣٠١-٣٠٢.
١٢. نورتن، امل والشيعية، الصفحتان ٣٩ و ٨٩. رباب الصدر هي أخت فاطمة زوجة آية الله محمد باقر الصدر.
١٣. اروري، "حقوق الانسان في العالم العربي"، ص ١١.
١٤. منظمة العمل الاسلامي، ٢٢ كانون الثاني، ١٩٨٩، ص ٢.
١٥. لا ادعي ان حكومة البعث طائفية في جوهرها؛ وإنما اود الاشارة الى ان التقسيم الطائفي في العراق قد تم استغلاله لحساب الاقلية الحاكمة. ومن المشكوك ان الايديولوجية هي التي دفعت قادة حزب البعث الى التصرف على هذا النحو. وقد بين ماريون فاروق - سلاغيت وبيتر سلاغيت ان العلاقات الشخصية، وليست الايديولوجية هي العامل الحاسم والاساس في الانتماء الى حزب البعث في العراق. وجدير بالملاحظة انه عندما أسس فؤاد الركابي حزب البعث في العراق، كان غالبية اعضائه من اقاربه الشيعية وزملائه في المدرسة. وعندما ترأس علي صالح السعدي الحزب، انحدر مؤيدوه من المجرمين الوضيعين امثاله من منطقة باب الشيخ في بغداد، أما مجموعة احمد حسن البكر/ صدام حسين التي تسلمت السلطة في ١٩٦٨ فاستندت في المقام الاول الى السنة من تكريت "مقتبس في فاروق سلاغيت وبيتر سلاغيت، "العراق منذ ١٩٥٨"، الصفحات ١٠٨-١٠٩.

وقد وصفت جريدة التيار الجديد على نحوٍ ساخر صدام حسين "بالديمقراطي" في اختيار ضحاياه؛ فصدام حسين "من تكريت، ولكنه اعدم عدداً من التكراتة، وهو بعثي، ولكنه [كما حدث في ١٩٨٦] أعدم واحد وثلاثين عضواً من قيادات الحزب؛ وهو سني، ولكنه لم يتردد في

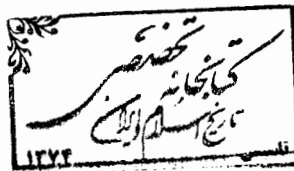
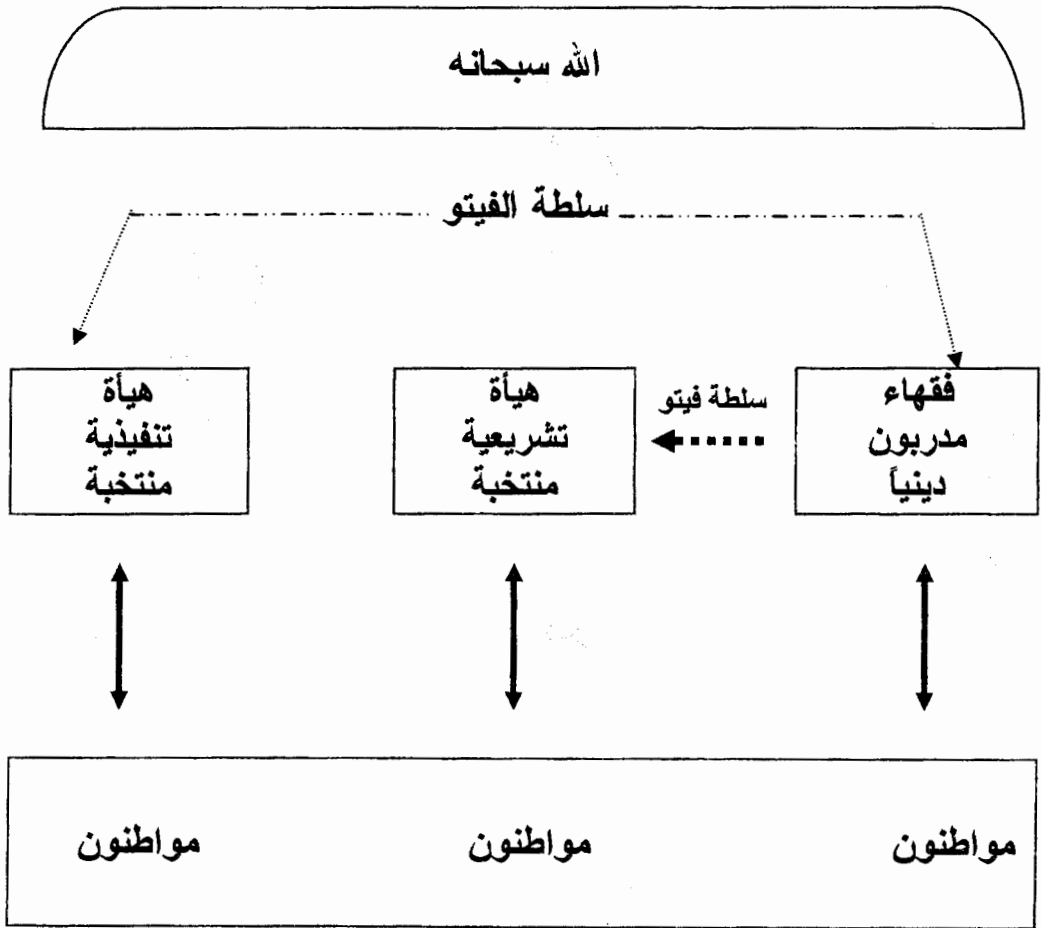
- اعدام علماء الدين السُّنة. . بالطبع الى جانب حملات الاعدام المكثفة
 ضد الشيعة والاكراذ"، التيار الجديد، ٧ نيسان، ١٩٨٦، ص ٦.
١٦. انظر تالكوت بارسنز، مقالات في النظرية الاجتماعية، الصفحات
 ١٢٦-١٤١.
١٧. قارن مع فلبس، "الهجرة من الريف الى المدينة في العراق" ص ٤١٢،
 ولولس، "العراق: انماط سكانية متغيرة"، ص ١١٩.
١٨. كيهان الدولية، ٩ كانون الثاني، ١٩٨٨، ص ١.
١٩. تؤكد بعض الكتابات الاسلامية ان الحجاب يتيح للمرأة حرية اكبر عبر
 الحد من الاثارة الجنسية والهوس بالموضة، انظر، على سبيل المثال،
 (الهلال الدولي)، ١٦-٣١ كانون الاول، ١٩٨٧، ص ١٠.
٢٠. وصفت النخبة الاقتصادية الجديدة بالطفيلية بسبب اعتمادها في وجودها
 وانتعاشها على الدولة وموارد البلاد النفطية.
٢١. في اجتماع دام ليومين عقدته مجموعات المعارضة العراقية في
 واشنطن، في آب، ١٩٩١، اكد الممثلون الحاضرون عن المجموعات
 المنظمة الاثنتي عشرة التي تقع مقارها في امريكا الشمالية واوروبا
 وسوريا تأييدهم المطلق للديمقراطية، على الرغم من رغبة الجماعات
 الكردية بالحصول على ضمانات في ما يخص الحكم الذاتي الكردي.
 ولسنوات عدة. واصل حزب الامة الجديد، الذي يتخذ من لندن مقراً له،
 دفاعه عن الديمقراطية في العراق. وفي أواخر ستينيات القرن
 العشرين، عندما كنت أدرس في العراق، ناضل العديد من الاشخاص
 الذين تلقوا تعليماً غربياً، وبضمنهم بعض الغربيين، من اجل
 الديمقراطية وعندما تعرض بعضهم لحملات التعذيب والقتل والقاء
 جثثهم امام منازلهم، قرر الآخرون العزوف عن النشاط السياسي.

الاشكال و الجداول

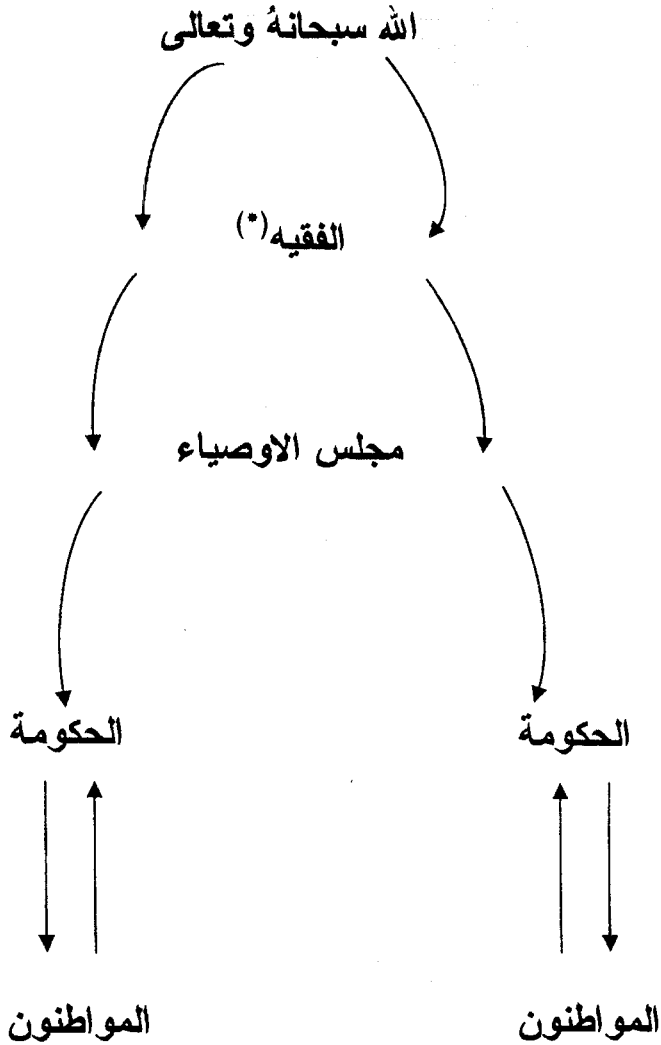
الشكل (٦-٢) إنموذج العملية السياسية لتكيفات الحركة



شكل (٧-١) السلطة السياسية كما صاغها آية الله الصدر



الشكل (٧-٢) مسارات السلطة السياسية المطبقة في ايران



(*) المسلمون غير ملزمين بإطاعة الفقيه في الشؤون غير السياسية

الجدول (٢ - ١)

التكوين الديني والعرقي لسكان العراق في سنة ١٩٤٧

النسبة المئوية	المجموعة الدينية العرقية
٥١,٤	العرب الشيعة
١٩,٧	العرب السنة
١٨,٤	الكرد السنة
١,٢	الايروانيون الشيعة
١,١	التركمان السنة
٠,٩	التركمان الشيعة
٠,٦	الكرد الشيعة

* غير المسلمين

٣,١	المسيحيون
٢,٦	اليهود
٠,٨	اليزيديون والشبك (أ)
٠,٢	الصابئة (ب)
١٠٠,٠	

المصدر: الاحصاء السكاني العراقي لعام ١٩٤٧ (كما وارد في بطاطو، الطبقات الاجتماعية القديمة، ص ٤٠)،

أ. اليزيدون، الذين يُطلق عليهم على نحو خاطيء عبدة الشيطان هم شعب كردي يعتنق مزيجاً من المعتقدات الاسلامية، والمسيحية، والوثنية؛ والشبك هم موالون لطائفة شيعية يتواجدون حصراً في قرى عدة تقع شمال شرقي الموصل.

ب. الصابئة، هم اعضاء طائفة مانوية معروفة بمسالمتها وحاجتها إلى الماء الجاري للقيام بطقوسها.

الجدول (٢ - ٢)

التقديرات المتتالية للتكوين الديني والعرقي العراقي

النسبة المئوية للسكان				المصدر
غير المسلمين	الکرد	السنة (غير الكرد)	الشيعية	
٨	/	٣٦	٥٦	الاحصاء البريطاني لعام ١٩٢٠ آ
٩	١٤	٢٢	٥٥	الاحصاء البريطاني لعام ١٩٣١ ب
٧	١٨	٢١	٥٤	الاحصاء العراقي لعام ١٩٤٧ ج
٤ ز	٢٥ و	١١ (١٥) هـ	٦٠ (٥٦) هـ	١٩٨٣-١٩٨٢

آ - المصدر : وارد في طربوش، دور الجيش في السياسة، ص ١٤.

ب - وارد في سلاغيت، بريطانيا في العراق، ص ٣٠٠.

ج - وارد في بطاطو، الطبقات الاجتماعية القديمة، ص ٤٠.

د - المصادر الرسمية في الخليج، وارد في بيل، "انبعاث الاسلام في الخليج

الفارسي"، ص ١٢٠. ثمة زيادة بمقدار (٤%) الى (٥%) طوال السنوات

الخمس والثلاثين تقريباً تُعد موثوقة اذا ما أخذنا بالحسبان الطابع الريفي

للشيعية مقارنة بالسكان السنة والمسيحيين وميل السكان الريفيين الى

تكوين أسر اكبر مما تفعله المجموعات الحضرية المرفهة. ومن

المعروف ان المهاجرين من الريف الى المدينة قد حافظوا على المعدل

العالي للانجاب بوصفه ميزة للمناطق الريفية حتى في بغداد. وخلال ستينيات القرن العشرين، كان معدل الانجاب اعلى في البلدات المكونة من اكواخ مما هو عليه في مناطق بغداد الحضرية القديمة. لولس، العراق: النماذ السكانية المتغيرة"، ص ٩٧-١٢٩.

هـ — في حالة حساب ما يربو على المليون نسمة من غير المواطنين كالمصريين والفلسطينيين، تتخفض نسبة الشيعة الى (٥٦%) وترتفع نسبة المسلمين السنّة غير الكرد على نحوٍ متماثل.

و — رمضان، ايران الثورية، ص ٤؛ ميدل ايست انترناشيونال، الخامس من كانون الاول، ١٩٨٧، ص ١٧.

ز — انخفضت نسبة السكان غير المسلمين انخفاضاً كبيراً برحيل اليهود العراقيين في ١٩٥٠-١٩٥١، الذي كان عددهم يُقدر بـ (٢,٦%) من السكان وفقاً لاحصاء ١٩٤٧.

الجدول (٣ - ١)

المؤسسات التي أسستها جماعة العلماء

جمعية الصندوق الخيري الإسلامي: أسستها جماعة العلماء في بواكير ستينيات القرن العشرين في بغداد والكاظمية، ويُدَار الصندوق وفقاً لـانظمة صارمة مستمدة من الشريعة آ.

اللجان

- * لاقامة عيادات ومستشفيات صغيرة تقدم العلاج الطبي للمرضى.
- * لاقامة ملجأ للايتام ومعاهد لمكفوفي البصر والمعوقين بدنياً.
- * لاقامة ملجأ للمسنين.
- * لتقديم المساعدة للفقراء.

المدارس الدينية الابتدائية والثانوية

- * مدرسة بغداد الجديدة.
- * روضة الزهراء للاطفال.
- * مركز تعليم البنات الراشدات في بغداد.
- * مدرسة الزهراء في بغداد.
- * مدرسة الامام الصادق للبنات في البصرة.
- * مركز تعليم الرجال الراشدين في البصرة.
- * مركز تعليم البنات الراشدات في البصرة.
- * مدرسة الامام الباقر الثانوية للبنين في الحلة (مدرسة مسائية).

- * مركز تعليم البنات الراشدات في النعمانية.
- * كلية اصول الدين في بغداد^٣ التي أسسها السيد مرتضى العسكري وحجة الاسلام مهدي الحكيم. وفضلاً عن الموضوعات الدينية التقليدية، يجري تدريس موضوعات حديثة كالاقتصاد الاسلامي.

المصدر: الخاطب ابن النجف، تاريخ الحركات الاسلامية المعاصرة، ص ٧٨-٨٢.

- أ. المديرون المحليون: في البصرة — السيد محمد عبدالحكيم، وفي الديوانية — حجة الاسلام محمد باقر الحكيم، وفي النعمانية — آية الله قاسم شبر، وفي الحلة — "أحد المؤمنين".
- ب. تمثل هدف جماعة العلماء في جعل كلية اصول الدين مركزاً لجامعة اسلامية حديثة على غرار الازهر في القاهرة.

الجدول (٤-١)

الإسلاميون ممن ماتوا وهم قيد الاحتجاز الحكومي

للفترة بين كانون الأول ١٩٧٩ ومنتصف شباط ١٩٨٠

ت	المهنة	مكان الأصل
١	محام، خدمة بريدية	الكاظمية
٢	؟	مدينة الثورة
٣	رجل دين	مدينة الثورة
٤	ضابط صف	مدينة الثورة
٥	ميكانيكي سيارات أجرة	بغداد
٦	طالب، الجامعة التكنولوجية	؟
٧	رجل دين وباحث	مدينة الثورة ^أ
٨	طالب، الجامعة التكنولوجية	مدينة الثورة
٩	ضابط صف، قاعدة الحبابية الجوية	مدينة الثورة
١٠	ضابط صف، الكلية العسكرية	الكاظمية ^ب
١١	طالب، الجامعة المستنصرية	الكاظمية
١٢	موظف، وزارة العدل	الكاظمية
١٣	مدرس	البصرة
١٤	عامل	مدينة الثورة
١٥	طالب، المرحلة الثانوية	كوت
١٦	محاسب، قسم التدقيق	كوت - مقيم في بغداد
١٧	تاجر مواد غذائية	النجف
١٨	جندي	؟

١٩	؟ ج	؟
٢٠	مهندس، مكتب البرق	كوت
٢١	طالب، مدرسة متوسطة	خالص
٢٢	خريج كلية الحقوق، قسم التدقيق (قسم الكاظمية)	البصرة
٢٣	مهندس طائرات	خرنابات
٢٤	مدرس مُجاز	كوفة
٢٥	مهندس	؟
٢٦	استاذ (على الارجح كاتب)	مدينة الثورة
٢٧	نقيب عسكري	؟
٢٨	؟	الكاظمية
٢٩	مدرس، كلية الزراعة	مدينة الثورة
٣٠	موظف، وزارة العدل	مدينة الثورة
٣١	ضابط صف	الرفاعي
٣٢	ضابط عسكري	الرفاعي

المصدر: المجاهدون، الاول من نيسان، ١٩٨٠، ص ١١-١٢

(ان اسماء الناشطين مقدمة في المصدر لكنها محذوفة هنا).

أ. الناشطون رقم ٧، ٨، ٩ ينحدرون من عائلة واحدة، وهي عائلة المالكي.

ب. الناشطون رقم ١٠، ١١، ١٢ ينحدرون من عائلة السوداني،

ج. لم تُقدم هنا سوى الاسم، وتاريخ الوفاة، وحقيقة التعذيب.

الجدول (٤-٢)

العراقيون المهجّرون عبر الحدود إلى منطقة باختياران
الايرائية خلال فترة سنتين

التاريخ	عدد المهجرين	الظروف
٢٤ تموز ١٩٨٠	٤,٠٨٨	؟
٣ آذار ١٩٨١	١,٢٤٠	كانت درجة الحرارة سالب ١١ مئوية وقد ماتت في الطريق ثماني بنات ونساء شابات.
٢٩ كانون الثاني ١٩٨٢	٣,٠٥٨	
٣٠ كانون الثاني ١٩٨٢	٢,٨٣٢	مات ثمانية اشخاص في الطريق
٤ آذار ١٩٨٢	٨,٠٨٤	لقي اربعة اشخاص مصارعهم جراء الالغام؛ ومات ثلاثة اشخاص من البرد. وقد احتاج العديد إلى علاج طبي.
٧ آذار ١٩٨٢	٤,٢٧٠	كانت درجة الحرارة ١٠ مئوية سالب. وقد مات طفل وكذا رجل مسن يبلغ الستين.
٩ حزيران ١٩٨٢	١٠٠	كان المهجّرون من اوضع المجرمين.
الاجمالي: ٢٣,٦٧٢		

المصدر: ملفات رسمية صادرة من منطقة باختياران، كما اوردها الدكتور عبدالوهاب
الحكيم في التيار الجديد، تشرين الثاني ١٩٨٨، ص ٢
تولت المؤلفه عملية الترجمة من العربية.

الجدول (٤-٣)

قيادة المجلس الاعلى للثورة الاسلامية في العراق

(المجلس)

حجة الاسلام باقر الحكيم، رئيساً^(١)

حجة الاسلام محمود هاشمي^(١)، رئيس الناطقين باسم المجلس^(ب)

السيد محمد باقر الناصري، مدير العلاقات العامة^(ب)

ابو ثار الحسين، مدير تنفيذي (حتى كانون الثاني ١٩٨٨، حين توفي جراء

تعرضه للسلاح الكيماوي في حاج عمران في تشرين الثاني ١٩٨٧)^(ج)

اعضاء اللجنة المركزية:

الشيخ محمد خالد برزان (كردي)^(د)

الشيخ محمد مهدي الآصفي^(١)

الشيخ ابو زاهر^(د)

الشيخ ابو ميثم الخفاجي، قائد قوات الباسيج^(د)

السيد عبدالعزيز الحكيم^(١)

السيد كاظم الحائري^(١)

الشيخ عباس المهري^(١)

السيد محمد تقي المدرسي^(١)، زعيم منظمة العمل الاسلامي

الهوامش

- (أ) أحد الاعضاء الستة عشر للجنة المركزية كما وارد في الهلال الدولي، ١-١٥ تشرين الثاني، ١٩٨٢ (وارد في كاليم صيدّقي، قضايا في الحركة الإسلامية، ١٩٨٢-١٩٨٣، ص ٩١).
- (ب) الرابطة الإسلامية العراقية في امريكا، النشرة العالمية (منشور إعلامي)، ص ٥-٦.
- (ج) كيهان الدولي، الثلاثون من كانون الثاني، ١٩٨٨، ص ٨.
- (د) كيهان العربي، التاسع من كانون الثاني، ١٩٨٨، ص ٤.

جدول (٥-١)

أعداد الباحثين في الحوزات الدينية في النجف

الفترة	أعداد الباحثين
قبل الاحتلال البريطاني ^أ	١٢ ألف باحثاً ^ب
١٩١٨	٦ آلاف باحثاً ^ت
تشرين الثاني ١٩٥٧	١٩٥٤ باحثاً في أربع وعشرين حوزة دينية ^ح
١٩٧٧	٦٠٠ استاذاً وطالباً ^ج

الهوامش:

أ. احتلت القوات البريطانية مدينة النجف في نهاية العام ١٩١٧.

ب. محسن الامين، مقتبس في عجمي، الامام الغائب، ص ٤٠. تعني مفردة الباحث، على ما يبدو، كل من الاستاذ والطالب. وفي الحوزات الدينية، أمسى قيام الطلبة في المراحل الدراسية المتقدمة بتدريس الطلبة المبتدئين وكذلك الاستمرار في تلقي العلم على يد مجتهد تقليداً اساسياً متبعاً.

ت. بطاطو، "التنظيمات الشيعية في العراق"، ص ١٨٩.

ح. الجمالي، "الحوزات الدينية في النجف"، ص ١٥. أنقسمت اعداد الطلبة إلى ٨٩٦ ايرانياً، و ٦٦٥ من شبه القارة الهندية و ٣٢٦ عراقياً و ٦٧ طالباً عربياً من سوريا ولبنان ودول الخليج العربية.

ج. ارجوماند، العمامة مقابل التاج"، الصفحات ٨٦ و ٢٣٤.

جدول رقم (٥-٢)

الاسلاميون من ذوي التعليم غير الديني

١. ولد ابو دعاء في ١٩٦٠ في مدينة الثورة (الصدر حالياً)، أحد أفقر احياء بغداد،. أنضم إلى حزب الدعوة وجماعة المجاهدين اثناء دراسته في كلية الادارة والاقتصاد. أضطر ابو دعاء ، في نهاية الامر، إلى الهرب إلى ايران، حيث أنضم إلى القوة العسكرية التي شكلها اللاجئين العراقيون هناك. توفي ابو دعاء اثناء قتاله الحكومة العراقية مع وحدته العسكرية (المصدر : الجهاد) حزيران، ١٩٩٧، ص١٦).

٢. كان نور علي (الذي يشير له الصحفي اللبناني فؤاد مطر باسم سمير غلام) طالباً في العشرين من عمره في الجامعة المستنصرية ألقى سمير قنبلة يدوية على نائب رئيس الوزراء العراقي، طارق عزيز، في الاول من نيسان عام ١٩٨٠، وكان عضواً في منظمة العمل الاسلامي وجماعة المجاهدين، وهو الاكبر سناً بين ثمانية ابناء أعدموا جميعاً بعد محاولة الاغتيال (المصدر: النهضة الاسلامية، كانون الثاني، شباط، ١٩٨١، ص٢، منظمة العمل الاسلامي، صوت العراقيين، الصفحات ٤-٥، فؤاد مطر، صدام حسين، ص١٣١).

٣. ولد ابو مصطفى الامجدي في كربلاء في ١٩٥٥ وأنضم إلى حزب الدعوة في ١٩٧٠ عندما كان طالباً في كلية الادارة والاقتصاد في بغداد. وفي العام ١٩٨٢، هرب ابو مصطفى إلى ايران، حيث أنضم إلى وحدة "الشهيد الصدر" العسكرية المؤلفة اساساً من المغتربين العراقيين. وتوفي ابو مصطفى بالقرب من البصرة اثناء اشتراكه في

عملية كربلاء خمسة (الاسم الرمزي لأحدى الهجمات الايرانية في الحرب العراقية - الايرانية)(المصدر: الجهاد، ٢٣ شباط، ١٩٨٧، ص١٦).

٤. ولدت السيدة سلوى البحراني حوالي العام ١٩٣٧ في عائلة دينية شيعية بارزة في بغداد. عمل والدها وزيراً في العهد الملكي. وكان أخوها طبيباً في بغداد، كما تزوجت السيدة سلوى وأختها طبيبتين وقد عملت سلوى (لا تكتسب المرأة اسم عائلة زوجها) مدرسة في جامعة بغداد. ودرست الدين مع عالمة بنت الهدى وأسست حلقتها الدينية الخاصة لنشر الوعي الديني. وفي ١٩٨٠، أخذتها الحكومة العراقية رهينة بغية مساومة ابنها، سعد تاج الدين، المشتبه بانتمائه إلى حزب الدعوة، ودفعه إلى الاستسلام، وعندما أنهت المهلة الممنوحة لسعد دون استسلامه، أطلقت السلطات العراقية سراح السيدة سلوى بعد حقنها بسم الثاليوم، لتوافيها المنية في مستشفى اليرموك في بغداد بعد يومين من اطلاق سراحها، (المصدر: كوبت، "النساء في العراق"، ص١٢٨؛ النهضة الاسلامية، كانون الثاني - شباط ١٩٨١، ص٢؛ اتصالات شخصية).

٥. الدكتور ابو علي هو الاسم المستعار لأحد شباب منطقة الكاظمية. تخرج ابو علي من كلية الطب، جامعة بغداد وهرب من العراق بعد القاء الحكومة القبض عليه ثلاث مرات. وفي عامي ١٩٨٠-١٩٨٢، عمل ابو علي محرراً لمجلة النهضة الاسلامية نصف شهرية الناطقة باسم منظمة مجاهدي العراق الاسلاميين والتي تصدر في واشنطن دي سي. وفي ١٩٨٦، عمل ابو علي طبيباً في لندن وكان المسؤول

عن حزب الدعوة هناك. وقد تعرفت الحكومة العراقية على نشاطاته السياسية بوصفه ممثل حزب الدعوة في لندن بعد إلقاءه خطاباً في الاجتماع الثالث للمجلس الأعلى في كانون الثاني ١٩٨٨. (المصادر: النهضة الإسلامية، ١٩٨٠-١٩٨١، كيهان العربية، ٩ كانون الثاني، ١٩٨٨، ص ٤، مقابلة شخصية، ٧ آب، ١٩٨٦).

٦. ولد نعيم فاضل في البصرة ١٩٥٧ وتخرج من جامعة البصرة مهندساً مدنياً. انضم إلى صفوف حزب الدعوة في مرحلة مبكرة من حياته. وتوفي في السجن في ٣١ آيار، ١٩٨٠ بعد اللقاء الحكومة القبض عليه في ٢٩ تشرين الثاني من العام ١٩٧٩. (المصدر: الجهاد، ٢٥ آيار، ١٩٨٧، ص ١٦).

٧. ولد فائز سعدون الحجامي في مدينة سوق الشيوخ في الناصرية ١٩٤٩. وقد انضم إلى صفوف حزب الدعوة في الصف الرابع الإعدادي. وبعد تخرجه من كلية الشريعة في بغداد، عمل موظفاً في محافظة بغداد. نشط فائز في مجال تثقيف الفلاحين في جنوب العراق، وتعريفهم بأفكار آية الله الصدر ومفاهيمه الإسلامية، وقد اجتمع بهم على نحو منتظم في مضافي القرى ودواوينها. أعدم فائز في ٢٩ كانون الثاني عام ١٩٨٠ بعد اللقاء القبض عليه في ٢٥ شباط، ١٩٧٩، (المصدر: الجهاد، ٢٨ ٢٨ نيسان، ١٩٨٦، ص ١٦).

٨. ولد سيد محمد صالح الحسيني^(١) في النجف في عائلة متدينة فقيرة. نشط الحسيني في جماعة الشباب المسلم التي انضم إليها عندما كان طالباً. ألقت حكومة البعث القبض عليه في نهاية العام ١٩٦٩ حيث تعرض للتعذيب في السجن. وبعد إطلاق سراحه من السجن سافر

إلى لبنان، حيث كرس جهوده لدعم الحركة الإسلامية "دونما اعتبار لعوامل القومية والجغرافية". في ١٩٨١، اغتالهُ وكلاء الحكومة العراقية في بيروت (المصدر: العمل الاسلامي، ٥ آذار، ١٩٨٩، ص ٢، و ١٢ آذار ١٩٨٩، ص ٣).

٩. عمل عبدالامير حامد المنصور مدرساً في البصرة، حيث اطلقت عليه الحكومة العراقية لقب قائد الدعوة. ويُعتقد أنه أدلى بمعلومات عن اجتماع حزب الدعوة بمسؤولين من الحكومة الايرانية في مدينة قم للتخطيط للاطاحة بالنظام البعثي. وبعد اعدامه في ١٥ شباط، ١٩٨٠، سلمت ادارة الامن العام في بغداد رفات عبدالامير إلى عائلته (المصدر: العراق، النزاع العراقي الايراني، ص ١٣، المجاهدون، الاول من نيسان، ١٩٨٠، ص ١١، النهضة الاسلامية، حزيران - تموز، ١٩٨٠، ص ٦).

١٠. ولدَ عبدالامير مشكور في عائلة دينية في مدينة النجف، وأنضم إلى حزب الدعوة في مرحلة الدراسة الثانوية وشكل جماعة لدراسة القرآن. أنضم إلى هذه الجماعة عشرون شاباً عملوا فيما بعد على تبليغ الرسالة الاسلامية ونشرها في جامعات الموصل وبغداد والبصرة. في ١٩٧٠، وفي اثناء محاولة عبدالامير توسيع دائرة نشاطه السياسي لتشمل عامة الناس، ألقت الحكومة القبض عليه. وفي ١٩٧١، دخل عبدالامير كلية العلوم، جامعة بغداد، وأُضطر إلى الخدمة في صفوف الجيش العراقي والمشاركة في الحملة العسكرية ضد الاكراد في عامي ١٩٧٤-١٩٧٥، ولعدم رغبته في قتل أخوانه المسلمين الاكراد، حاول عبدالامير التتصل من إداء مهامه العسكرية

والحد من قدرة طاقم المدفعية الذي بأمرته على أداء المهام الموكلة له. وقد عاقبته السلطات العسكرية على ذلك بتجريدته من رتبته العسكرية وانزاله إلى مرتبة جندي عادي. وفي ١٩٧٩، أُلقي القبض عليه مرة أخرى حيث توفي في السجن (المصادر: صوت الدعوة إلى الجماهير، ٦ آذار ١٩٨٠، ص ٣٠٢؛ منظمة العمل الاسلامي، صوت العراقيين، ص ٣).

١١. سيد مصطفى محمدي هو ابن رجل الدين المعروف سيد عز الدين محمدي الشيرازي (ب). ولد السيد مصطفى في مدينة كربلاء المقدسة وتلقى تعليمه في مدرسة الامام الصادق وأحدى المدارس الدينية في مدينة الهندية. وكان السيد مصطفى عضواً ناشطاً في منظمة العمل الاسلامي. وفي ١٩٨٣، أُلقت السلطات الحكومية القبض عليه عندما كان في الثامنة عشرة من عمره. وبعد عامين من السجن والتعذيب، اطلقت السلطات سراحه ليهرب على أثرها إلى ايران، حيث واصل دراساته الدينية في مدرسة الامام الصادق في مدينة مشهد، وفيها توفي جراء أزمة قلبية في عمر الثالثة والعشرين (المصدر: العمل الاسلامي، ٢٦ نيسان ١٩٨٩، ص ٢).

١٢. ولد ابو عزيز الموسوي في ١٩٦٠ في عائلة فلاحية بسيطة في محافظة الموصل. وقد انضم ابو عزيز إلى صفوف حزب الدعوة في ١٩٧٩ عندما كان طالباً في قسم الري في كلية الهندسة، جامعة الموصل. في حزيران ١٩٧٩، شارك ابو عزيز في انتفاضة رجب (ن) التي نظمت احتجاجاً على اللقاء القبض على آية الله الصدر. وفي اثناء أداء مهامه الجهادية، اعتاد ابو عزيز على حمل السلاح، أُلقي

القبض عليه في ٢٥ آب، ١٩٨٢ وتوفي في السجن في ٢٣ آب، ١٩٨٣، ودفن في النجف^(ج). رفض ابو عزيز رفضاً قاطعاً الادلاء بأية معلومات حول الناشطين الآخرين (المصدر: الجهاد، ١٥ حزيران، ١٩٨٧، ص ١٦).

١٣. ولد عبدالحسين قطان في عائلة من مالكي بساتين النخيل في جنوبي العراق حوالي العام ١٩٤٥. عمل عبدالحسين طبيباً بيطرياً وبعد انضمامه إلى حزب البعث، أوفد إلى بريطانيا لأكمال دراسته، حيث حصل على شهادة الدكتوراه في علم الفسيولوجي. وبعد رجوعه إلى العراق في اثناء الحرب العراقية - الايرانية، عُيّن مدرساً لمادة الفسيولوجي في الكلية العسكرية في بغداد. حيث لوحظ عليه التشدد في تطبيق التعاليم الاسلامية والمواظبة على اداء الشعائر الدينية. وقد أُلقت السلطات القبض عليه في نيسان ١٩٨٨. وأعدم في السجن في ١٥ كانون الثاني، ١٩٨٩ (المصدر: اتصالات شخصية).

١٤. ولد ابو مجتبى التركماني (وكما يتضح من الاسم، فهو ليس عربياً) في مدينة كركوك في ١٩٦٢^(ج). عُرِفَت عائلته بنشاطها السياسي، إذ أنضم اثنان من اخوانه إلى حزب الدعوة، توفي احدهما في السجن في حين مازال الثاني مجهولاً. خدم ابو مجتبى في الجيش العراقي في ١٩٨٢. وهرب إلى ايران حالما واثته الفرصة. وفي ايران، تطوع ابو مجتبى في مجال تعبئة المجاهدين في معسكرات اللاجئين العراقيين. شارك ابو مجتبى في عمليتي كربلاء ٢ وكربلاء ٥ حيث لقي حتفه في الاخيرة (المصدر : الجهاد، ٢٧ نيسان، ١٩٨٧، ص ١٦).

١٥. ولدت أم زينب في النجف في ١٩٥١ وتنتمي إلى عائلة مظفر الدينية المعروفة. درست أم زينب في كلية المعلمين الحكومية إلى جانب تحصيلها الأكاديمي، تتلمدت أم زينب على يد بنت الهدى في مدرستها الدينية ورافقتها لثلاث سنوات متتالية . أصبحت ، بعد ذلك، ظليعة بالعديد من العلوم والمعارف الدينية التي تُدرّس في الحوزة . وقد توفيت أم زينب في مكة اثناء ادائها مراسيم الحج (المصدر: الجهاد، ٣١ آب ١٩٨٧، ص١٦).

أ. في الاحتفال بالذكرى السنوية الثامنة لوفاة السيد الحسيني الذي أُقيم في طهران، ضمت قائمة المتحدثين سيد علي اكبر محتشمي، وزير الداخلية في جمهورية ايران الاسلامية وسيد صدر الدين القبنجي من عائلة القبنجي البغدادية المعروفة، كما حضر مراسيم الاحتفال موفدون من حزب الدعوة والسفيران الفلسطيني والليبي واعضاء المجلس الاعلى ومنظمة العمل الاسلامي والجهة الاسلامية لتحرير الجزائر والشيخ محمد مهدي الخالصي من مدينة الكاظمية إلى جانب وحدة عسكرية كبيرة من منظمة بدر.

ب. منعت الحكومة العراقية استخدام اللقب العائلي في ١٩٧٦، ولذلك، لم يكن بمقدور مصطفى استخدام لقبه العائلي، الشيرازي.

ت. رجب هو الشهر السابع في التقويم الاسلامي. أدت التظاهرات التي نظمها الاسلاميون في حزيران ١٩٧٩ احتجاجاً على القاء القبض على آية الله الصدر إلى اعدام العشرات من الناشطين الاسلاميين (المصدر: حسبما ورد في الجهاد، ٣٠ آذار، ١٩٨٧، ص١٦، منظمة العمل الاسلامي، ٢٩ كانون الثاني، ١٩٨٩، ص١).

ح. ان حقيقة ولادة ابو عزيز في احدى مناطق الموصل الريفية، حيث يندر وجود الشيعة، وكذلك دفنه في النجف الاشراف التي لا يختارها السُّنة عادة لدفن موتاهم لهي أدلة ، رغم كونها غير قاطعة، على انتمائه إلى طائفة الشبك، أما شجاعته التي عُرِفَ بها ورفضه الادلاء بالمعلومات عن الناشطين الآخرين رغم تعرضه للتعذيب فلربما المقصود منها طمأنة المسلمين الآخرين إلى حقيقة كون الشبك من المسلمين المخلصين والجديرين بالثقة . جدير بالملاحظة ان منشورات الحركة الاسلامية لا تتحدث عن الشبك او تعاملهم بوصفهم مجموعة دينية مختلفة.

ج. على الرغم من مجهولية التحصيل الدراسي لأبي مجتبى، فإنه وُضِعَ في خانة الشباب المتعلم ربما، لأنضمام اثنين من أخوانه إلى حزب الدعوة وحقيقة تكليفه بمهمة تعبئة اللاجئين وتجنيدهم. وهذان الأمران يوحيان بانتمائه إلى عائلة متعلمة.

جدول (٥ - ٣)

نبذة شخصية عن الاسلاميين من ذوي التعليم غير الديني

ت	الجنس	مكان الولادة	مهنة الاب	العمر	مهنة الناشط عند التمسك بالحركة الاسلامية
١	ذكر	الثورة	؟	٢٠ تقريباً	طالب
٢	ذكر	؟	؟	٢٠ أو أقل	طالب
٣	ذكر	كربلاء	؟	٢٠	طالب
٤	أنثى	بغداد	مهني	؟	طالبة
٥	ذكر	كاظمية	؟	٢٠ تقريباً	استاذ/طالب
٦	ذكر	البصرة	؟	٢٢ أو أقل	طالب
٧	ذكر	سوق الشيوخ	؟	١٦ تقريباً	طالب
٨	ذكر	النجف	رجل دين	؟	طالب
٩	ذكر	؟	؟	؟	طالب/مدرس
١٠	ذكر	نجف	رجل دين	١٦ أو أقل	طالب
١١	ذكر	كربلاء	رجل دين	١٨ أو أقل	طالب
١٢	ذكر	الريف/موصل	فلاح	١٩	طالب
١٣	ذكر	الربف/جنوب العراق	فلاح	٤٠ تقريباً	استاذ
١٤	ذكر	كركوك	؟	٢٠ تقريباً	جندي
١٥	أنثى	النجف	رجل دين	؟	طالبة

ملاحظة:

الناشطون الواردون في هذا الجدول رتبوا حسب التسلسل ذاته المبين في

جدول (٥-٢).

جدول (٥ - ٤)

الاسلاميون من فقراء المدن

١. ولد حمزة عبدالكاظم في مدينة الحلة في بابل وتولى تربيته والده المسن قاطع الاخشاب. أكمل حمزة دراسته الابتدائية وبعد مساعدته لوالده سنوات طوال، خدم في صفوف الجيش العراقي وبعد انضمامه إلى حزب الدعوة، نشط حمزة في مجال تهريب الاسلحة من شمال العراق إلى الناشطين الاسلاميين في الوسط. وكان ينقل هذه الاسلحة عبر نقاط تفتيش عديدة وصعبة وفي عملية تكتفها العديد من المخاطر والصعاب. ويُعد حمزة أحد ابرز اعضاء خلية الشهيد محمد جواد الجبوري. وقد أُلقيَ عليه القبض في ١٨ شباط، ١٩٨٠ وتوفي في سجن ابو غريب في ١٤ نيسان، ١٩٨٠ (المصدر: الجهاد، ٢١ نيسان ١٩٨٦، ص ١٦).

٢. ولد ابو كرار في الكاظمية في ١٩٦٦ وانهى دراسته المتوسطة في مدرسة أبي ذر الغفاري الدينية وتنقل بين مهن عدة لأعالة عائلته. وفي اثناء معركة الاحواز في الحرب العراقية - الايرانية، أنضم ابو كرار إلى كتيبة الشهيد الصدر وتوفي في ١١ تموز ١٩٨٧ (المصدر: الجهاد، ٧ أيلول، ١٩٨٧، ص ١٦).

٣. ولد سيد ابو بيداء الحسيني في مدينة الهاشمية في النجف عام ١٩٥٨. في عائلة ملتزمة . ترك ابو بيداء مقاعد الدراسة بعد أكماله المرحلة الابتدائية ليكسب قوت يومه. وقد خدم في صفوف الجيش العراقي وأنضم إلى جماعة انصار الدعوة الاسلامية. وفر من الجيش

بعد تكثيف حكومة البعث حملاتها لملاحقة الناشطين الاسلاميين وقمعهم، وبعد نشوب الحرب العراقية - الايرانية، أنضم أبو بيضاء إلى قوة الشهيد الصدر التابعة لحزب الدعوة وقاتل في جنوب العراق وشماله. توفي في اثناء عودته من اداء احدى المهام بعد مواجهة عنيفة بين مجموعته والقوات الحكومية في احدى الطرق العامة المؤدية إلى مدينة دهوك (المصدر: الجهاد: ١٤ كانون الاول، ١٩٨٧، ص ١٦).

٤. ولد إبراهيم الكوفي، كما يتضح من لقبه، في مدينة الكوفة في ١٩٥٣. أنضم إلى منظمة انصار الدعوة الاسلامية عندما كان جندياً في الجيش العراقي. فر إبراهيم من الجيش بعد اندلاع الحرب العراقية - الايرانية وأنضم إلى القوات الاسلامية في ايران، ومن ثم، إلى منظمة بدر.

٥. أما أخو إبراهيم، ابو علي الكوفي، فيصغره بخمس سنوات (ولد ١٩٥٨). عمل ابو علي مساعداً طبيياً^(١). وأنضم إلى منظمة انصار الدعوة. وبعد اندلاع الحرب العراقية - الايرانية، فر ابو علي من العراق وأنضم إلى المجاهدين في ايران. قُتل ابو علي في اثناء اشتراكه في عملية كربلاء خمسة التي نفذتها القوات الايرانية.

٦. شارك أحد اخوانه الاصغر سناً في انتفاضة صفر عام ١٩٧٧ وأودع السجن بسبب ذلك. كما أودع بقية افراد العائلة، باستثناء اثنين لا يُعرف عن مصيرهما شيئاً، (المصدر: الجهاد، ٢٥ كانون الثاني، ١٩٨٨، ص ١٦).

٧. ولد ابو مهند الصالحي في العراق في ١٩٦٢. لم يكمل ابو مهند دراسته الابتدائية وتركها في الصف الرابع - وعمل خياطاً في اثناء مقارعتة النظام البعثي. وعلاوة على ذلك، شارك ابو مهند في تظاهرات عام ١٩٧٨ المناهضة للحكومة في الكاظمية. وفي ١٩٨٠، وعلى أثر تضيق الخناق على اعضاء الحركة الاسلامية وتكثيف حملات الاعتقال، فر أبو مهند مع عائلته إلى ايران، حيث أنضم إلى الحرس الثوري الايراني وتوفي في اثناء مشاركته في عملية كربلاء خمسة (المصدر: الجهاد، ٢٧ نيسان، ١٩٨٧، ص ٦).

٨. ولد ابو مهند اليزدي في مدينة الثورة في ١٩٦٥. وكان في الصف الاول متوسط عندما هاجر وافراد عائلته إلى ايران. وفي مدينة يزد الايرانية، أنضم ابو مهند إلى جماعة انصار الدعوة وكان من طلائع المؤسسين للمركز الثقافي الاسلامي في ١٩٨٠، خدم في الجيش، وإلى جانب اشتراكه في عمليتي كربلاء اثنتين وخمسة، عُيّن ابو مهند مسؤولاً في منطقة الاهوار في جنوب العراق، حيث قضى عشرة أشهر، فضلاً عن شهرين قضاها في اماكن اخرى داخل العراق (المصدر: الجهاد، ٣٠ اذار، ١٩٨٧، ص ٩).

أ. في العراق، يعني عمل الشخص "معاوناً طبياً" حصوله على تعليم اساسي إلى جانب اجتيازه فترة تدريب قصيرة الأمد في أحد المعاهد الطبية.

جدول (٥ - ٥)

نبذة شخصية عن الاسلاميين من فقراء المدن

ت	الجنس	مكان الولادة	مهنة الأب	العمر	مهنة الناشط في الحركة الإسلامية
١	ذكر	الحلة	قاطع اخشاب	؟	جندي
٢	ذكر	للكاظمية	؟	اقل من ٢٠	بائع
٣	ذكر	الهاشمية	؟	؟	جندي
٤	ذكر	الكوفة	؟	؟	جندي
٥	ذكر	الكوفة	؟	؟	معاون طبي
٦	ذكر	الكوفة	.	٢٠ أو أقل	؟
٧	ذكر	؟	؟	١٦ أو أقل	خياط
٨	ذكر	مدينة الثورة	؟	أقل من ٢٠	طالب

ملاحظة:

اسماء الناشطين في هذا الجدول مرتبة حسب تسلسل ورودها في جدول

(٥-٤)

جدول (٦-١)

مكونات التكاليف في الناتج المحلي الاجمالي (بالنسبة المئوية)

ت	الدولة وسنة القياس	مكافآت الموظفين	القائض التشغيلي (الارباح ، إلى اخره)
١	الجزائر، ١٩٧٩	٣٧,٢	٣٤,٧
٢	مصر، ١٩٨٠	٢٨,٨	٦٦,٧
٣	العراق، ١٩٧٥	٢٠,٧	٧٥,٤
٤	الاردن، ١٩٨١	٣٨,٨	٤٥,٩
٥	ليبيا، ١٩٨٠	٢١,٧	٧٢,٥
٦	المغرب، ١٩٨٠	٣٣,١	٥٣,٠
٧	المملكة العربية السعودية، ١٩٧٨	٢٤,٦	٧٥,٧
٨	السودان، ١٩٧٧	٤٤,٣	٣٥,٩
٩	الامارات العربية، ١٩٨١	١٦,٠	٧٨,٣
١٠	اليمن الشمالي، ١٩٨١	٢٨,٢	٥٣,٥

المصدر: العالم العربي، رودني ولسن، ١٩٨٤ بترخيص من ويست فيو برس، بولدر، كولورادو، حُسبت النسب المئوية من بيانات منشورة في النشرة الاحصائية الشهرية التي تصدرها الامم المتحدة ٣٧، ٧ (تموز ١٩٨٣): ٤١-٤٩.

ملاحظة: حُذف من الجدول صافي الضرائب غير المباشرة من الاعانات واستهلاك رأس المال الثابت المذكورة في المصدر ، ولهذا ، لا تساوي النسب المئوية المدونة الرقم ١٠٠.

جدول (٧ - ١)

مرجع التقليد المطلق (السلطات الدينية المطلقة)

ت	اسم المرجع	الفترة (١)	محل الإقامة
١	شيخ مرتضى الانصاري	اواخر خمسينيات القرن التاسع عشر - ١٨٦٤	النجف
٢	قيادة جماعية	١٨٨٢-١٨٦٤	
٣	ميرزا حسن شیرازي	١٨٩٦-١٨٨٢	سامراء
٤	قيادة جماعية	١٩١١-١٨٩٦	
٥	محمد كاظم يزدي	١٩١٩-١٩١١	النجف
٦	محمد تقی الشیرازي	١٩٢٠-١٩١٩	النجف
٧	شيخ فتح الله اصفهاني	١٩٢٠-١٩٢٠	النجف
٨	قيادة جماعية	١٩٤٢-١٩٢٠	
٩	ابو الحسن الاصفهاني	١٩٤٦-١٩٤٢	النجف
١٠	آقا حسن قمي	١٩٤٧-١٩٤٦	كربلاء
١١	آية الله محمد حسين بروجردي	١٩٦١-١٩٤٧	قم
١٢	قيادة جماعية	١٩٧٨-١٩٦١	
١٣	روح الله الخميني (ب)	١٩٨٩-١٩٧٨	طهران

المصادر: مؤلفة من مصادر عدة هي مومن، الإسلام الشيعي، الصفحات ٢٤٧-٢٤٩ و ٣٠٣؛ الحائري، الحركة الشيعية، ص ٦٤؛ وامانت، "تحديد القيادة الدينية"، الصفحات ٩٨-١٣٢.

أ. بصرف النظر عن تواريخ وفاة رجال الدين المتنافسين، ليس ثمة تاريخ محدد يبين تأريخ حصول رجل الدين على لقب مرجع التقليد المطلق.

ب. ساهمت الانتصارات السياسية التي حققها الامام الخميني في ايران في زيادة عدد اتباعه إلى حدٍ فاق معه جميع المراجع الدينية الاخرى. وفي ١٩٨٢، بلغت مكانته ونفوذه حداً تمكن معه من الاطاحة بمنافسه الديني الرئيسي، شريعتي مداري.

BIBLIOGRAPHY

Abdul-Rasool, Falk. "Growth and Structural Change of Output in the Economy of Iraq: 1958-1975." OPEC Review 6 (1982):27-40.

Abrahamian, Ervand. "The Guerrilla Movement in Iran, 1963-1977." In Iran: A Revolution in Turmoil, ed. Haleh Afshar, 149-174. Albany: State University of New York Press, 1985.

Abu Ali, Dr. "An Iraqi Corrects The New York Times." Islamic Revolution, October 1981, 11-13.

Abu Jameel. "I was Saddam's Prisoner." Al-Tayar Al-Jadeed, February 18, 1985, 3.

Abu Malik. The Iraqi Situation- Its Present and Future. Sawt al-'Iraq al-Tha'ir, September 1987, 4, and November 1987, 8.

Al—Adhami, M.M. "The Elections for the Constituent Assembly in Iraq, 1922-1924." In the Integration of Modern Iraq, ed. Abbas Kelidar, 13-31. London: Croom Helm, 1979.

Al-Adib, Salih. "The Fatimi Party. Al-Jihad. February 8, 1988, 7.

..... "Thoughts on the Phenomenon of Social Changes. Al-Jihad. February 15, 1988, 12.

Afshar. Haleh. "The Iranian Theocracy. In Iran: A Revolution in Turmoil, ed. Haleh Afshar, 220-243. Albany: State University of New York Press, 1985.

Ajami, Fuad. The Vanished Imam. Ithaca: Cornell University Press, 1986.

Akhawi, Shahrough. Religion and Politics in Contemporary Iran. Albany: State University of New York Press. 1980.

..... "Iran: Implementation of an Islamic State." In Islam in Asia, ed. John Esposito, 27-52. New York: Oxford University Press, 1987.

Akhawi, Shahrough. "The Pahlavi Era." In Expectation of the Millennium, eds. Seyyed Hossein Nasr, Hamid Dabashi, and Seyyed Vali Reza Nasr, 218-229. Albany: State University of New York Press. 1989.

Algar, Hamid. The Roots of the Islamic Revolution. Markham, Ont.: OpenPress, 1983.

Ali, Abdullah Yousuf, trans. The Meaning of the Glorious Quran. 2 vols. 3rd ed. Cairo: Dar al-Kitab al-Masri, 1938.

Amanat, Abbas. "In Between the Madrasa and the Marketplace: The Designation of Clerical Leadership in Modern Shi'ism." In Authority and Political Culture in Shi'ism, ed. Said Amir Arjomand, 98-132. Albany: State University of New York, 1988.

Amnesty International. The Amnesty International Report 1975-1976. London: Amnesty International, 1976.

Amnesty International. The Amnesty International Report 1980. London: Amnesty International, 1980.

Amnesty International. Iraq. London: Amnesty International, 1981.

Amnesty International. The Amnesty International Report 1983. London: Amnesty International, 1983.

Amnesty International. Iraq: Human Rights Violations Since the Uprising. London: Amnesty International, July 1991.

Arjomand, Said Amir. "Shi'ite Islam and the Revolution in Iran." Government and Opposition 16, 3 (1981): 293-319.

..... "Ideological Revolution in Shi'ism." In Authority and Political Culture in Shi'ism, ed. Said Arjomand, 178-209. Albany: State University of New York Press, 1988.

..... The Turban for the Crown. New York: Oxford University Press, 1988.

....., ed. From Nationalism to Revolutionary Islam. Albany: State University of New York Press, 1984.

Aruri, Naseer. "Disaster Area: Human Rights in the Arab World." Middle East Report 17, 6 (1987): 7-16.

Al-Asafi, Muhammad Mahdi. "The Life of al-Shaikh Muhammad Rida al-Muzaffar." In Muhammad Rida al-Muzaffar, The Faith of Shi'a Islam, 83-86. Cambridge: Muhammadi Trust, 1982.

Askari, Hossein, John T. Cummings, and Michael Glover. Taxation and Tax Policies in the Middle East. London: Butterworth Scientific, 1982.

Axelgard, Fred. A New Iraq? New York: Praeger, 1989.

....., ed. Iraq in Transition. Boulder: Westview Press, 1986.

Azari, Farah. "The Post-revolutionary Women's Movement in Iran." In Women of Iran, ed. Farah Azari, 190-255. London: Ithaca Press, 1983.

Bakhash, Shaul. "The Politics of Land, Law, and Social Justice in Iran." Middle East Journal 43, 2 (1989): 186-201.

Bangash, Zafar. "Ba'thists Continue to Inflict Atrocities on Muslims." In Issues in the Islamic Movement, 1985-1986, eds.

Kalim Siddiqui and Muhammad Ghayasuddin, 61-63. London: Open Press, 1987.

Barakat, Halim. "The Arab Family and the Challenge of Social Transformation. "In Women and the Family in the Middle East" New Voices of Change. Ed. E. Fernea, 27-48. Austin: University of Texas Press, 1985.

Baram, Amatzia. "Mesopotamian Identity in Ba'thi Iraq." Middle Eastern Studies 19, 4 (1983): 426-455.

Barnes, John. "Iraq's No-win, No-lose War." U.S News and World Report, October 12, 1987. 38-39.

Batatu. The Old Social Classes and the Revolutionary Movements of Iraq. Princeton: Princeton University Press, 1978.

....."Iraq's Underground Shi'a Movements: Characteristics, Causes and Prospects." Middle East Journal 35, 4 (1981): 578-594.

..... The Egyptian, Syrian, and Iraqi Revolutions. Washington, D.C.: Center for Contemporary Arab Studies, 1984.

....."Class Analysis and Iraqi Society." In Arab Society, eds: Nicholas Hopkins and Saad Eddin Ibrahim, 379-392. Cairo: American University in Cairo Press, 1985.

....."Shi'a Organizations in Iraq: Al-Da'wah al-Islamiyah and al-Mujahidin." In Shi'ism and Social Protest, eds. Juan R. I. Cole and Nikki Keddie, 179-200. New Haven: Yale University Press, 1986.

Baith part. The 1968 Revolution in Iraq (The Political Report of the 8th Congress of the Arab Ba'th Socialist Party in Iraq, January 1974). Trans. Iraq Ministry of Information. London: Ithaca Press, 1979.

Bell, Florence. The Letters of Gertrude Bell, vol.2. London: Ernest Benn, 1927.

Bengio, Ofra. "Saddam Husayn's Quest for Power and Survival." Asian and African Studies 15 (1981): 323-341.

....."Shi'is and Politics in Ba'thi Iraq." Middle Eastern Studies 21, 1 (1985): 1-14.

Bill, James A. "Resurgent Islam in the Persian Gulf." Foreign Affairs 63, 1 (1984): 108-127.

Burgoyne, Elizabeth. Gertrude Bell. London: Ernest Benn, 1961.

Burns, Norman. "The Dujailah Land Settlement." Middle East Journal 5, 3 (1951): 362-366.

Chirri, M. Jawad. The Shiites Under Attack. Detroit: Islamic Center of America, 1986.

Cleveland, William L. The Making of an Arab Nationalist. Princeton: Princeton University Press, 1971.

Cobeet, Deborah. "Women in Iraq." In Saddam's Iraq, ed. Committee Against Repression and for Democratic Rights in Iraq, 120-137. London: Zed, 1986.

Cole, Juan R. I. "Imami Jurisprudence and the role of the Ulama: Mortaza Ansari on Emulating the Supreme Exemplar." In Religion and Politics in Iran, ed. Nikki R. Keddie, 33-46. New Haven: Yale University Press, 1983.

Cordesman, Anthony H. "Arms to Iran: The Impact of U.S and Other Arms Sales on the Iran-Iraq War." American-Arab Affairs 20 (1987): 13-29.

Cottam, Richard W. "Khomeini, The Future, and U.S. Options." Policy Paper 38. Muscatine, Iowa: Stanley Foundation, 1987.

Dann, Uriel. Iraq Under Kassem. New York: Praeger, 1969.

Devlin, John. "Iraqi Military Policy: From Assertiveness to Defense." In Gulf Security and the Iran-Iraq War, ed. Thomas Naff, 129-156. Washington: National Defense University press, 1985.

Dowson, V. H. W. "Date Cultivation and Date Cultivators of Basra." Journal of the Royal Central Asian Society 26, 2 (1939): 247-260.

Economist Intelligence Unit. Iraq. Special Report No. 88. London: Economist Intelligence Unit, 1980.

Enayat, Hamid. Modern Islamic Political Thought. Austin: University of Texas Press, 1982.

....."Ayatullah Sayyid Ruhullah Musawi Khumayni." In Expectation of the Millennium, eds. Seyyid Hossein Nasr Hamid Dabashi, and Seyyid Vali Reza Nasr, 334-343. Albany: State University of New York Press, 1989.

Esposito, John L. Islam: The Straight Path. New York: Oxford University Press, 1991.

Fandy, Mamoun. "Iraq's Splintered Opposition." Christian Science Monitor, April 29, 1991.

Farouk-Sluglett, Marion and Peter Sluglett. "Iraqi Ba'thism" Nationalism, Socialism and National Socialism." In Saddam's Iraq, 2nd ed., ed. Committee Against Repression for Democratic Rights in Iraq, 89-107. London: Zed, 1989.

.....Iraq Since 1958. London: KPI, 1987.

Farouk-Sluglett, Marion, Peter Sluglett, and Joe Stork. "Not Quite Armageddon: Impact of the War on Iraq." *Middle East Report* 125/126 (1984): 23-30.

Fernea, Elizabeth Warnock. *Guests of the Sheikh*. Garden City, Nj.: Doubleday, Inc., 1965.

Floor, Willem. "The Revolutionary Character of the Iranian Ulama: Wishful Thinking or Reality?" *International Journal of Middle East Studies* 12, 4 (1980): 501-524.

Foster, Henry A. *The Making of Modern Iraq*. New York: Russell and Russell. 1935.

Gaffney, Patrick D. "Authority and the Mosque in Upper Egypt: The Islamic Preacher as Image and Actor." In *Islam and the Political Economy of Meaning*, ed. William R. Roff, 199-225. Berkeley: University of California Press, 1987.

Haeri, Safa. "Opening the Doors." *Middle East International*, September 9, 1988, 11-12.

Hairi, Abdul-Hadi. *Shi'ism and Constitution in Iran*. Leiden: E. J. Brill, 1977.

Haldane, Aylmer. *The Insurrection in Mesopotamia*, 1920. London: William Blackwood and Sons, 1922.

Harris, George L., ed. *Iraq*. New Haven: Hraf Press, 1958.

Hasan, Ghalib. *The Martyr Sadr, Leader of the Islamic Revolution in Iraq*. Tehran: Ministry of Islamic Guidance, 1980.

Hashim, Hussain. *About the World Political Situation*. Trans. Yasin al-Jibouri. Washington, D.C.: Islamic Revival Movement, 1980/1981.

Hayat-e-Hakim. The Life of Aqae Sayyed Mohsin al-Hakeem. Trans. Sayyed Murtaza Hussein. Karachi: Peer Mahomed Ebrahim Trust, 1973.

Hegland, Mary. "Two Images of Hussein: Accommodation and Revolution in an Iranian Village." In Religion and Politics in Iran, ed. Nikki R. Keddie, 218-235. New Haven: Yale University Press, 1983.

Helms, Christine Moss. Iraq. Washington, D.C.: Brookings Institution, 1984.

Hemphill, Paul. "The Formation of the Iraqi Army, 1921-1933." In the Integration of Modern Iraq, ed. Abbas Keldier, 88-110. London: Croom Helm Ltd., 1979.

Hinnebusch, Raymond. "The Islamic Movement in Syria: Sectarian Conflict and Urban Rebellion in an Authoritarian Populist Regime." In Islamic Resurgence in the Arab World, ed. Ali Dessouki, 138-169. New York: Praeger, 1982.

Hizb al-Da'wa al-Islamiya. Crimes of Saddam. Tehran: Islamic Center for Political Studies, 1983.

Hodgson, Marshall. "How Did the Early Shi'as Become Sectarian?" Journal of American oriental Society 75 (1955): 1-13.

Hollister, John. "Shi'ism in the Indian Subcontinent." In Expectation of the Millennium, eds. Seyyed Hossein Nasr, Hamid Dabashi, and Seyyed Vali Reza Nasr, 242-246. Albany: State University of New York Press. 1989.

Hudson, Michael C. "Islam and Political Development." In Islam and Development, ed. John Esposito, 1-24. Syracuse: Syracuse University Press, 1980.

Hussein, Ghalib. Discourse on the Profoundness of the Rajab Intifada of 1979. Al-Ansar, March 12, 1987, 4-5.

Ibrahim, Farhad. "The Iraqi Shi'as and Their Relations with Iran." Paper delivered in Toronto at the 1989 meeting of the Middle East Studies Association.

Ibrahim, Saad Eddin. "The Anatomy of Egypt's Militant Islamic Groups: Methodological Note and Preliminary Findings." International Journal of Middle East Studies 12, 4 (1980): 423-453.

International Bank for Reconstruction and Development. The Economic Development of Iraq. Baltimore: John Hopkins University Press, 1952.

Iraq, Ministry of Foreign Affairs. The Iraqi-Iranian Dispute in Terms of International Law. Baghdad: Freedom Printing House, 1981.

Iraq, Ministry of Planning. Annual Abstract of Statistics 1986. Baghdad: al-Zahra Press, 1968.

"Iraq on Simmer." Impact International 10, 8 (1980): 5-6.

Iraqi Islamic Association in America. Information Pamphlet. Dearborn, Mich.: Iraqi Islamic Association in America, 1987.

.....Seyyid Mahdi al-Hakim. (Arabic) Dearborn, Mich.: Iraqi Islamic Association in America, 1988.

Ireland, Philip. Iraq. New York: Russell and Russell, 1937.

Islamic Movement of Iraq (in Europe). The Freedom Fighters. Windsor, Berkshire, UK: Islamic Movement of Iraq (in Europe), 1980.

Islamic Task Organization. The Voice of Iraqis [sic] to the Free People. N.P., 1980.

Ismael, Tareq. Iran and Iraq. Syracuse: Syracuse University Press, 1982.

Issawi, Charles. The Economic History of the Middle East, 1800-1914. Chicago: University of Chicago Press, 1966.

Jamali, Fadil. "The Theological Colleges of Najaf." Muslim World 50, 3 (1960): 15-22.

Jansen, Godfrey. "Who Started the Gulf War?" Middle East International, May 15, 1987, 15-16.

....."The Slow Return to Normality," Middle East International, December 16, 1988, 12-13.

Jawad, Sami Abd al-Rasul. "Memories of the Glorious Safar Intifada. Sawt al-'Iraq al-Tha'ir, November 4, 1987.

Al-Jomard, Atheel. "Internal Migration in Iraq." In The Integration of Modern Iraq, ed. Abbas Kelidar, 111-122. London: Croom Helm, 1979.

Kaslow, Amy. "Oil Pays Iraq's Way Toward Big-Power Status." Christian Science Monitor, January 10, 1990, 1.

Al-Katib, Ahmad. Experience of the Islamic Revolution in Iraq. Tehran: Publishing House of Islamic Enlightenment, 1981.

Keddie, Nikki R. "Iranian Imbrolios: Whose Irrational?" World Policy Journal 5, 1 (1988): 29-54.

Kelidar, Abbas. "The Shi'i Imami Community and Politics in the Arab East." Middle Eastern Studies 19, 1 (1983): 3-16.

Khadduri, Majid. Independent Iraq. Oxford: Oxford University Press, 1951.

.....The Gulf War. New York: Oxford University Press, 1988.

Khadduri, Walid. Social Background of Modern Iraqi Politics." Ph.D thesis. John Hopkins University, 1970.

Al-Khafaji, Isam. The State and Capitalist Development in Iraq, 1968-1979. Cairo: Publishing House of the Arab Future, 1983.

....."The Parasitic Base of the Ba'thist Regime." In Saddam's Iraq, ed. Committee Against Repression and for Democratic Rights in Iraq, 73-88. London: Zed, 1986.

....."State Incubation of Iraqi Capitalism." Middle East Report 142 (1986): 4-9.

Al-Khalil, Samir. Republic of Fear. Berkeley: University of California Press, 1989.

Al-Khatib Ibn al-Najaf. History of the Contemporary Islamic Movement in Iraq. Beirut: Dar Al-Maqdasi, 1982.

Khomeini, Ruhullah, Islam and Revolution. Trans. Hamid Algar. London: KPI, 1985.

Klieman, Aaron S. Foundations of British Policy in the Arab World: The Cairo Conference of 1921. Baltimore: John Hopkins Press, 1970.

Lawless, R.I. "Iraq: Changing Population Patterns." In Populations of the Middle East and North Africa, eds. J. I. Clarke and W. F. Fisher, 97-129. London: University of London press, 1972.

Litwak, Robert. Security in the Persian Gulf: Sources of Interstate Conflict. Montclair, N.J.: Allanheld, Osmun, 1981.

Longrigg, Stephen. Four Centuries of Modern Iraq. Oxford: Clarendon Press, 1925.

.....Iraq, 1900-1950. Oxford: Oxford University Press, 1953.

Lyell, Thomas. The Ins and Outs of Mesopotamia. London: A. M. Philpot, 1923.

McAdam, Doug. Political Process and the Development of Black Insurgency, 1930-1970. Chicago: University of Chicago Press, 1982.

Mallat, Chibli. "Iraq." In The Politics of Islamic Revivalism, ed. Shireen Hunter, 71-87. Bloomington: Indiana University Press, 1988.

....."Religious Militancy in Contemporary Iraq: Muhammad Baqer al-Sadr and the Sunni-Shi'a Paradigm." Third World Quarterly 10, 2 (1988): 699-729.

Marr, Phebe. The Modern History of Iraq. Boulder: Westview Press, 1985.

Matar, Fuad. Saddam Hussein. London: Third World Center, 1981.

Mawdudi, Maulana Abdul 'Ala'. The Islamic Movement. Karachi: Islamic Foundation, 1984 (1945).

Mernissi, Fatima. Beyond the Veil. Rev. ed. Bloomington: Indiana University Press, 1987.

Miller, Judith and Laurie Mylroie. Saddam Hussein. New York: Times Books, 1990.

Millward, W. C. "Aspects of Modernism in Shi'a Islam." *Studia Islamica* 37 (1873):111-128.

Mirakhor, Abbas. "Economic Dependence a denial of Islam." In *Issues in the Islamic Movement, 1982-1983*, ed. Kalim Siddiqui, 158-159. London: Open Press, 1984.

Mitchell, Richard P. *The Society of Muslim Brothers*. London: Oxford University Press, 1969.

Momen, Moojan. *An Introduction to Shi'i Islam*. New Haven: Yale University Press, 1985.

Morony, Michael. *Iraq After the Muslim Conquest*. Princeton: Princeton University Press, 1984.

Mottahedeh, Roy. *Loyalty and Leadership in an Early Islamic Community*. Princeton: Princeton University Press, 1980.

Mutahhari, Murtadha. *A Discourse on the Islamic Republic*. Tehran: Islamic Propagation Organization, 1985.

.....Jihad. Trans. Muhammad Salman Tawhidi. Tehran: Islamic Propagation Organization, 1985.

.....Society and History. Trans. Mahliqa Qara'i. Tehran: Islamic Propagation Organization, 1985.

Al-Nafeesi, Abdullah Fahad. "The Role of the Shi'ah in the Political Development of Modern Iraq." Ph.D. thesis. Cambridge University, 1972.

Nelson, Joan M. Access to Power. Princeton: Princeton University Press, 1979.

Nieuwenhuis, Tom. Politics and Society in Early Modern Iraq, 1802-1831. The Hague: Martinus Nijhoff Publishers, 1982.

Nonneman, Gerd. Iraq, The Gulf States and the War. London: Ithaca Press, 1986.

Norton, Augustus Richard. Aural and the Shi'a. Austin: University of Texas Press, 1989.

Parsons, Talcott. Essays in Sociological Theory. Rev. ed. New York: The Free Press, 1954.

Penrose, Edith. "Industrial Policy and Performance in Iraq." In the Integration of Modern Iraq, ed. Abbas Kelidar, 150-170. London: Croom Helm, 1979.

Penrose, Edith, and E. F. Penrose. Iraq: International Relations and National Development. London: Ernest Benn, 1978.

Phillips, Doris G. "Rural-to-Urban Migration in Iraq." Economic Development and Cultural Change 7, 4 (1959): 405-421.

"Plots Against Saddam Hussein." Foreign Report, July 23, 1981, 3-4.

Pool, David. "From Elite to Class: The Transformation of Iraqi Political Leadership." In the Integration of Modern Iraq, ed. Abbas Kelidar, 63-87. London: Croom Helm, 1979.

Quint, Malcolm. "The Idea of Progress in an Iraqi Village." Middle East Journal 12, 4 (1958): 369-384.

Qutb, Sayyid. Social Justice in Islam. Trans. J. B. Hardie. Washington, D.C.: American Council of Learned Societies, 1953 (c.1945).

Ramazani, R. K. Revolutionary Iran: Challenge and Response in the Middle East. Baltimore: John Hopkins University Press, 1986.

....."Editorial." Middle East Journal 43, 2 (1989): 165-167.

..... "Iran's Foreign Policy." In Iran's Revolution, ed. R. K. Ramazani, 48-68. Washington, D.C.: Middle East Institute, 1990.

Rassam, Amal. "Al-Taba'iyya: Power, Patronage and Marginal Groups in Northern Iraq." In Patrons and Clients in Mediterranean Society, eds. Ernest Gellner and John Waterbury, 157-166. London: Gerlad Duckworth, 1977.

"Reign of Terror Sweeps Iraq's Scientific Community." New Scientist, April 2, 1981, 3-4.

Renfrew, Nita. "Who Started the War?" Foreign Policy 66 (1987): 98-108.

Al-Rihaimi, Abd al-Halim. History of the Islamic Movement in Iraq, 1900-1924. Beirut: House of Scholarly Printing, Publication and Distribution, 1985.

Riley, Peggy. "Letter from ath-Thagir." Middle East International, April 19, 1985, 20.

Rodenbeck, Max. "Saddam's Opponents Unite." Middle East International, January 11, 1991, 11.

Ross, Dennis. "Soviet Views Toward The Gulf War." Orbis 28, 3 (1984): 437-447.

Sachedina, Abdulaziz. Islamic Messianism. Albany: State University of New York Press, 1981.

Al-Sadr, Muhammad Baqir. Thoughts on the Islamic Call. Information Center of the Islamic Da'wa Party. N.p., n.d.

.....Contemporary Man and the Social Problem. Trans. Yasin Jibouri. Tehran: World Organization for Islamic Services, 1980.

.....Islam and Schools of Economics. Trans. M. A. Ansari. Karachi: Islamic Seminary Publications, 1980.

.....Message of the Martyr Leader Ayatullah al-Sadr to the Muslim Iraqi People. Tape-recorded by Ayatullah al-Sadr and circulated widely as his "Last Message." 1980.

.....The General Bases of Banking in the Muslim Society. Trans. Yasin al-Jibouri. Washington, D.C.: Islamic Revival Movement, 1981.

.....A General Outlook [sic] at Rituals. Trans. Yasin al-Jibouri. Washington, D.C.: Islamic Revival Movement, 1981 (1977).

.....Islamic Political System. Trans. M. A. Ansari. Karachi: Islamic Seminary, 1982.

.....Our Philosophy. Trans. Shams C. Inati. London: Muhammadi Trust, 1987 (1959).

.....Iqtisaduna. Except trans. I. K. H. Howard. In Expectation of the Millennium, eds. Seyyed Hossein Nasr, Hamid Dabashi, and Seyyed Vali Reza Nasr, 117-125. Albany: State University of New York Press. 1989.

Sahliyah, Emile F. "The West Bank and the Gaza Strip." In The Politics of Islamic Revivalism, ed. Shireen Hunter, 88-100. Washington, D.C.: Center for Strategic Studies and International Studies, 1988.

Schahgaldian, Nikla B. The Clerical Establishment in Iran. Santa Monica: Rand Corporation, 1989.

Shaban, M. A. Islamic History. Cambridge: Cambridge University Press, 1976.

Sherbiny, Naien. "Expatriate Labor Flows to the Arab Oil Countries in the 1980s." Middle East Journal 38, 4 (1984): 643-667.

Sick, Gary. "A Glimmer of Hope for Iran-Iraq Peace." New York Times, February 21, 1988. E23.

Siddiqui, Kalim, ed. Issues in the Islamic Movement, 1980-1981. London: Open Press, 1981.

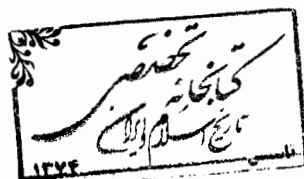
..... Issues in the Islamic Movement, 1982-1983. London: Open Press, 1984.

Sivan, Emmanuel. "Sunni Radicalism in the Middle East and the Iranian Revolution." International Journal of Middle East Studies 21, 1 (1989):1-30.

Sluglett, Peter. Britain in Iraq. London: Ithaca Press, 1976.

Springborg, Robert. "Baathism in Practice: Agriculture, Politics, and political Culture in Syria and Iraq." Middle Eastern Studies 17, 2 (1981): 191-209.

....."Iraq's Agrarian Infitah." Middle East Report 145 (1987): 16-21.



- Stowasser, Barbara, ed. *The Islamic Impulse*. London: Croom Helm, 1987.
- Tamaddonfar, Mehran. *The Islamic Polity and Political Leadership*. Boulder: Westview Press, 1989.
- Tarbush, M. A. *The Role of the Military in Politics*. London: Kegan Paul, 1982.
- Theisiger, Wilfred. *The Marsh Arabs*. Harmondsworth, UK: Penguin Books, 1967 (1964).
- Towler, Robert. "The Changing Status of the Ministry?" *Crucible*, May 1968: 73-78.
- United Activities for a Democratic Iraq. "Appeal to Human Rights Organization." Socorro, N.M." UAD Iraq, June 2, 1991.
- U.S. Department of State. *Country Reports on Human Rights Practices for 1985*. Washington, D.C.: Government Printing Office, 1986.
- Vinogradov, Amal. "The 1920 Revolt in Iraq Reconsidered: The Role of Tribes in National Politics." *International Journal of Middle East Studies* 3, 2 (1972): 123-139.
- Weber, Max. *Economy and Society*. 3 vols. Eds. Guenther Roth and Claus Wittich. Trans. Ephraim Fischhoff et al. New York: Bedmaster Press, 1968.
- Whittleton, Celine, Jabr Muhsin, and Fran Hazelton. "Whither Iraq?" In *Saddam's Iraq*, 2nd ed., ed. Committee Against Repression and for Democratic Rights in Iraq, 242-152. London: Zed, 1986.
- Wilson, Arnold. "Mesopotamia, 1914-1921." *Journal of the Royal Central Asia Society* 8, 3 (1921): 144-161.

Wilson, Rodney. The Arab World. Boulder: Westview Press, 1984.

Wolf, Eric. "Peasant Rebellion and Revolution." In National Liberation: Revolution in the Third World, eds. Norman Miller and Roderick Aya, 48-67. New York: Free Press, 1971.

